

جامعة الجزائر - 03 -

كلية علوم الاعلام والاتصال

قسم علوم الاتصال

الأبعاد الاتصالية للمكان في الرواية الجزائرية
المعاصرة

(دراسة سيميائية لروايتي " ليل الغريب " لمراد
بوكرزازه و " تفنست " لعبد الله حمادي)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الاعلام والاتصال

تخصص سيميولوجيا الاتصال

إشراف الأستاذ

إعداد الطالبة :

عبد الحميد ساحل

ليلى عثمان

أ. عاشور فني _____ رئيسا

أ. عبد الحميد ساحل _____ مقرر

أ. فوزية عكاك _____ عضوا

أ. خيليا دالي وريدة _____ عضوا

العام الجامعي

2017- 2016

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(الرَّحْمَنُ 1 عَلَّمَ الْقُرْآنَ 2 خَلَقَ الْإِنْسَانَ
3 عَلَّمَهُ الْبَيَانَ 4)
صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

" سورة الرحمن : الآية 1 - 4 "

شكر و عرفان

أحمدك ربي وأثني عليك الثناء كله، سبحانك لا أحصي
ثناء عليك أنت، كما أثبتت على نفسك، والشكر لك ربي
على توفيقك وامتنانك وعلى نعمك التي لا تحصى ..

أتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى :

الأستاذ المشرف عبد الحميد ساحل على توجيهه لي
في هذه الدراسة وأسأل الله أن يكتبها له في ميزان
حسناته .

كما أتقدم بالشكر إلى كل الأساتذة الذين درسوني في
المرحلة الجامعية خاصة أستاذة السيميولوجيا فوزية
عكاك التي لها الفضل من بعد الله في تعريفني بهذا
العلم الثري و الغني بالأفكار، كما لا أنسى أن أشكر
أستاذ المنهجية الحاج سالم عطية الذي جعلني أفكر
في دراسة هذا الموضوع عند حديثه ذات مرة عن
كيفية إنتاج المعنى .

خطة الدراسة

الإطار المنهجي

مقدمة

إشكالية

أهمية الدراسة

أهداف الدراسة

منهج الدراسة

عينة الدراسة

الدراسات السابقة

مفاهيم الدراسة

الإطار النظري

الفصل الأول: ماهية المكان في الرواية

المبحث الأول : مفهوم المكان

المبحث الثاني : المقاربة الاصطلاحية للمكان والفضاء

المبحث الثالث : أنواع المكان

المبحث الرابع : مفهوم المكان في الرواية

المبحث الخامس : العلاقة بين المكان والوصف في الرواية

الفصل الثاني : توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

المبحث الأول : توظيف المكان في النص الروائي

المبحث الثاني : دلالات المكان في النص الروائي

المبحث الثالث : الشخصية الروائية والبعد الاتصالي الثقافي للمكان

المبحث الرابع : الأبعاد الاتصالية الدلالية للمكان المفتوح والمغلق في النص الروائي

المبحث الخامس : المكان في النص الروائي الجزائري

الفصل الثالث : تأويل النص الروائي

المبحث الأول : مفهوم التأويل

المبحث الثاني : مفهوم النص

المبحث الثالث : إسهامات الباحثين في ميدان تأويل النص الروائي

الإطار التطبيقي

الفصل الأول : الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

المبحث الأول : التعريف بعينة الدراسة

المبحث الثاني : تحليل الأبعاد الاتصالية لثنائية (قسنطينة / باريس) من خلال التقاطبات المكانية لباشلار ولوتمان

المبحث الثالث : تحليل الأبعاد الاتصالية لثنائية (قسنطينة / باريس) من خلال شجرة الوصف لجان ريكاردو

المبحث الرابع : تحليل الأبعاد الاتصالية لقسنطينة في نص بوكرزازة من خلال الوظائف اللغوية لرومان جاكبسون

المبحث الخامس : تحليل الأبعاد الاتصالية لقسنطينة في نص بوكرزازة من خلال المربع السيميائي لغريماس

الفصل الثاني : الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفتست

المبحث الأول: التعريف بعينة الدراسة

المبحث الثاني : تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان (إليزي) من خلال ثنائية (المفتوح / المغلق)

**المبحث الثالث : تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان (قسنطينة) من خلال ثنائية
(المفتوح / المغلق)**

**المبحث الرابع : تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان (سوق الغرابية) من خلال ثنائية ()
(المفتوح / المغلق)**

نتائج الدراسة

خاتمة

الملاحق

المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

الإطار

المنهجي

مقدمة

تعتبر الرواية قوة اتصالية كبيرة فهي تحمل الكثير من المضامين والرسائل الاتصالية سواء ماتعلق بالأحداث أو الأماكن أو الشخصيات الروائية، حيث تقوم بتوظيف وتسخير هذا الكل لبث رسائل بالغة الدلالة .

إن كل نص روائي له علاماته المكانية التي تكون وسيطا بين المبدع والقارئ، وللمكان مظهران المظهر الجغرافي المباشر الذي يرصد المكان بشكل تقليدي واضح، ويرصد جزئياته، وهناك المظهر الخلفي غير المباشر للمكان حيث يمكن تمثيل المكان بواسطة العديد من الأدوات اللغوية ذات الدلالة غير التقليدية مثل (سافر - خرج - أبحر ...) فيكون المكان حاضرا كصدى وضمن الخلفية .

لايختزل الحدث في النص الروائي في مجرد الحركة، وإنما هو دال على نشاط الإنسان في المكان خلال فترة من الزمن أي تتطور قراءتنا لأحداث النص من فهم الحدث كحدث إلى تحليل المكان ودلالاته.

تحيلنا السيميائية في قراءتها للمكان إلى إدراك جديد للمكان، يتجاوز ماديات المكان إلى علامات المكان فهو ليس فارغا، ولكنه مليء بالكائنات والأشياء، والأشياء جزء لايتجزأ من المكان، وتضفي عليه أبعادا خاصة من الدلالات، فالمكان الذي نحيا فيه ليس سلبيا ولاصامتا، ولكنه يحمل دلالة تتخلل جميع الأبعاد والإحداثيات والأركان والظواهر الطبيعية والأشياء، وهي تتمثل خير تمثيل في الفن، فعندما نذكر أشياء من المكان فهي بمثابة علامة عليه وعلى مكوناته، فلا يحتاج المبدع إلى ذكر تعريف تفصيلي لمدينة شهيرة، وإنما يكفي باسمها، وبعض معالمها في سياق نصه، وتكون هذه المعالم إحالات تعطي أبعادا معرفية وتأويلية ونفسية للقارئ، فنتم دراسة الإشارات المكانية ضمن منظومة سيميائية علامائية كاملة، فعندما يقرأ النص من منظور مكاني، لا يقف القارئ الفطن عند المظهر الجغرافي ولا المظهر الخلفي، وإنما يقرأ المكان ضمن الهرمينوطيقا وهذا يحفز القارئ إلى إعادة التعاطي مع المكان متجاوزا بذلك المادي إلى اللامادي .

إن النص الروائي الجزائري المعاصر يوظف المكان بشكل زاخر وكثيف داخل نصوصه خاصة العاصمة ومدينة تلمسان وقسنطينة وهران و منطقة القبائل وعلاقة هذه المدن بشخصيات الرواية مما يعطيها طابعا اتصاليا دلاليا، فنجد مدينة قسنطينة لوحدها مثلا حاضرة في أعمال الروائية أحلام مستغانمي و الروائي الراحل الطاهر وطار والروائية زهور ونيسي و الروائي باديس فوغالي والروائية نجية عبير خاصة في روايتها باب القنطرة، كما لا تغيب حياة الريف عن النص الروائي المعاصر فنجدها في أعمال الروائي واسيني الأعرج مثل روايته نوار اللوز و سيدة المقام، فلطالما كان للريف حضور طاغي في الرواية الجزائرية نذكر منها روايات الروائي الراحل مولود فرعون الدروب الشاقة و

الأرض والدم و روايات عبد الحميد بن هدوقة مثل ربح الجنوب و الجازية و الدرأوش و الراحل الطاهر جاووت في روايته البحث عن العظام .

لذا فليس غربيا أن نركز على المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة في لما شهده من أحداث كثيرة و تطورات هائلة أثرت في نفسية جيل بأكمله، و اقتصرنا في دراستنا هذه على دراسة الأبعاد الاتصالية للمكان في النص الروائي الجزائري، وذلك اعتمادا على مقارنة التحليل السيميائي السردى للنصوص الأدبية .

لقد قسمنا هذه الدراسة إلى إطار نظري وإطار تطبيقي، الإطار النظري يحوي ثلاث فصول الفصل الأول الذي عنوانه بماهية المكان في الرواية، وقد قمنا بتقسيم هذا الفصل إلى خمس مباحث، المبحث الأول بعنوان مفهوم المكان، و المبحث الثاني يتناول المقاربة الاصطلاحية للمكان و الفضاء، و المبحث الثالث يتحدث عن أنواع المكان، أما المبحث الرابع فقد خصصناه لمفهوم المكان في الرواية، و بالنسبة للمبحث الخامس يتطرق إلى العلاقة بين المكان و الوصف في الرواية .

أما الفصل الثاني فقد عنوانه توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي، وقد قمنا بتقسيم هذا الفصل إلى خمس مباحث، جاء المبحث الأول بعنوان توظيف المكان في النص الروائي، و المبحث الثاني خصصناه لدلالات المكان في النص الروائي، و المبحث الثالث يتناول الشخصية الروائية و البعد الاتصالي الثقافي للمكان، أما المبحث الرابع يتطرق للأبعاد الاتصالية الدلالية للمكان المفتوح و المغلق في النص الروائي، و بالنسبة للمبحث الخامس يتحدث عن المكان في النص الروائي الجزائري .

أما الفصل الثالث فينقسم إلى ثلاث مباحث رئيسية تناولنا في المبحث الأول مفهوم التأويل، أما في المبحث الثاني نتحدث عن مفهوم النص وركزنا على تعريفات كل من رولان بارث و جوليا كريستيفا و بول ريكور و تودوروف للنص، و في المبحث الثالث و الأخير نتطرق إلى إسهامات الباحثين في ميدان تأويل النص الروائي خاصة الذين ينظرون للنص كوحدة تواصلية .

و بالنسبة للإطار التطبيقي فقد قسمناه إلى فصلين، الفصل الأول بعنوان الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب، و قسمناه إلى خمس مباحث سنتناول في المبحث الأول التعريف بعينة الدراسة " المؤلف و ملخص الرواية " ، أما في المبحث الثاني فسنتحدث عن الأبعاد الاتصالية لثنائية (قسنطينة / باريس) من خلال التقاطبات المكانية لباشلار (**bachelard**) و لوتمان (**lotman**)، و سنتناول في المبحث الثالث تحليل الأبعاد الاتصالية لثنائية (قسنطينة / باريس) من خلال شجرة الوصف لجان ريكاردو، و سنتطرق في المبحث الرابع تحليل الأبعاد الاتصالية لقسنطينة في نص بوكرزازة من خلال الوظائف اللغوية لرومان جاكسون (**jacobson**)، أما المبحث الأخير فسنتناول فيه تحليل الأبعاد الاتصالية لقسنطينة في نص بوكرزازة من خلال المربع السيميائي لغريماس .

أما الفصل الثاني جاء بعنوان الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفتنت، وسنركز في عملية التحليل على ثنائية (المفتوح / المغلق)، وقد قسمنا هذا الفصل إلى أربع مباحث المبحث الأول بعنوان التعريف بعينة الدراسة، أما المبحث الثاني بعنوان تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان (إليزي) من خلال ثنائية (المفتوح / المغلق)، وتناولنا في المبحث الثالث تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان (قسنطينة) من خلال ثنائية (المفتوح / المغلق)، وفي المبحث الرابع نتطرق إلى تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان (قرية الغرابة) من خلال ثنائية (المفتوح / المغلق).

إن أهمية المكان لاتخفى على أحد، لما يقوم به هذا المكون من دور رئيسي في حياة الإنسان، فمنه ينطلق وإليه يعود .

لقد طرأت على الأمكنة في الفكر الإنساني تغيرات عدة تحولت خلالها تلك الأمكنة من بدائية إلى معطى ثقافي، ومن تم إلى أمكنة جمالية فنية لها بعد تواصلتي اتصالي كحقيقة معاشة، فالرؤية المكانية في العمل الأدبي هي امتداد لرؤية مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية وغيرها .

يوظف الروائي المكان بشتى أنماطه، وهذه الأماكن تضيف للنص بعدا جماليا دلاليا اتصاليا في الرواية، ومن الأشياء المتميزة في بنية النص الروائي تعدد الأماكن، وتعدد أبعادها الاتصالية مع الآخر " الانسان "، فأصبح المكان لمن يبدعه لا لمن يقيم فيه .

قد يلجأ الروائي إلى إعطاء القارئ لمحة عن الشخصية من خلال سكنها، فالذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها، ولكنها تنبسط خارج حدود هذه الشخصية لتصبغ كل من حولها بصبغتها، وتسقط على المكان قيمتها الحضارية، لذا فإن لظهور الشخصية الروائية ونمو الأحداث التي تسهم فيها، هو ما يعمل على تشكيل البناء المكاني للنص .

يحتوي النص الروائي الجزائري المعاصر على كم هائل من الأمكنة الموظفة في مضامينه لما له من أبعاد و دلالات اتصالية تخدم النص، وسندرس ذلك معتمدين على مقاربة التحليل السيميائي الذي يدرس جميع النصوص والخطابات والأنشطة الانسانية، حيث ينكب هذا التحليل من جهة على دراسة الأشكال السرديّة، ومن جهة أخرى يدرس الأشكال الخطابية ضمن المكون الخطابية .

إن محاولة الكشف عن الأبعاد الاتصالية للمكان في النص الروائي الجزائري المعاصر يفرض علينا معرفة أنماط هذا المكان وملامحه في الرواية، ومدى تفاعل الشخصيات معه في النص حتى يتكشف لنا البعد الاتصالي له، ومن هنا فإن السؤال الجوهرية لإشكالية بحثنا يتمثل فيما يلي :

س : كيف تبرز الأبعاد الاتصالية للمكان في مضامين النص الروائي الجزائري المعاصر؟

ولإثراء هذه الإشكالية دعمناها بجملة من التساؤلات طرحتها على النحو التالي :

س : ماهي أنماط المكان في النص الروائي الجزائري المعاصر؟

الإطار المنهجي

س : كيف يمكن تشكيل نص دلالي اتصالي إعتامدا على العناصر المكانية في النص الروائي الجزائري المعاصر؟

س : كيف يساهم الوعي المكاني للشخصية في إنتاج رسائل اتصالية دلالية للمكان في النص الروائي الجزائري المعاصر؟

س : ماهي طبيعة العلاقة الاتصالية بين الشخصية الروائية والمكان الروائي في النص الجزائري المعاصر؟

أهمية الدراسة

- الدراسات السيميائية في المجال السردي الروائي تتجدد باستمرار لذا البحث فيها يساهم في إثراء الرواية الجزائرية بصفة خاصة، والأدب الجزائري بصفة عامة .

- إن المكان وأبعاده الاتصالية في النص الروائي الجزائري المعاصر تفرض نفسها كإشكالية بحث ذات أهمية كبيرة لأن من يدرس المحيط فهو يدرس نفسه أيضا .

- لفت النظر للعلاقة الموجودة بين عالم الاتصال وعالم الأدب، فدور الاتصال هو نقل شكل الرسالة، أما المعنى فيكتشفه المرسل إليه بعد حل الشفرة، ويخضع شكل الرسالة لطبيعة نظام الاتصال المعتمد " الشفرة " : صوت، ضوء، حركة، حرف، والرواية كرسالة اتصالية سيكون شكلها متمثل في مبناها أي الحروف والكلمات وقواعد تركيبها، ومضمون الرسالة مايفهمه القارئ منها أي المعلومات، وشفرة الرسالة هي اللغة التي كتبت بها " العربية - الأمازيغية - الإنجليزية - الفرنسية ... الخ " .

أهداف الدراسة

- حث الباحثين على الاهتمام بالبعد الاتصالي للمكان في النص الروائي بسبب ندرة الدراسات التي تطرقت إليه .

- محاولة الكشف عن الدلالات والمعاني التي تحملها الأماكن الروائية في النص الروائي الجزائري ومعرفة طبيعة علاقتها بالشخصية .

- إثراء الدراسات التي تهتم بالرواية الجزائرية المعاصرة خاصة فيما يتعلق بتوظيفها لمحور المكان .

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المقاربة السيميائية وذلك من خلال دراسات لباحثين متميزين أمثال: **غاستون باشلار* (gaston bachelard) (1884 - 1962)**، و**جوليان غريماس* (A.J.Greimas) (1917 - 1992)**، و**رومان جاكسون* (roman jakbson)**، و**يوري لوتمان* (yuri lotman) (1922 - 1993)**، و**جان ريكاردو* (jean ricardou)**، وذلك حتى نستطيع إبراز الأبعاد الاتصالية للمكان في الرواية، وكيف يمكن للمكان أن يتصل ويتواصل، أو يصبح همزة وصل.

تهتم السيميائية بدراسة كيفية تأثير الأشكال الأدبية والأعراف والتقاليد والاصطلاحات في معنى اللغة، ومن أبرز الباحثين في مجال السيميائية **فرديناند دوسوسير* (ferdinand de saussure) (1857 - 1913)**، و**رولان بارث* (roland barthes) (1915 - 1980)**، و**تشارليز ساندرز بيرس* (charles sanders pierce) (1839 - 1914)**، و**جوليا كريستيفا* (julia kristeva) (1941)** وغيرهم (1).

* **غاستون باشلار**: عالم فرنسي، من مؤلفاته "جماليات الصورة"، "فلسفة النفي".

* **جوليان غريماس**: باحث ليتواني من مؤلفاته "علم المعاني البنيوي"، "قاموس السيميائيات".

* **يوري لوتمان**: ولد في لينينغراد، ومن مؤلفاته "سيمياء الكون".

* **رومان جاكسون**: باحث روسي من مؤلفاته "ملاحظات حول تطور علم الأصوات الكلامية في الروسية المقارنة مع لغات سلافية أخرى".

* **جان ريكاردو**: ناقد فرنسي من مؤلفاته "قضايا الرواية الحديثة".

* **فرديناند دوسوسير**: عالم لغويات سويسري من مؤلفاته "محاضرات في اللسانيات العامة".

* **رولان بارث**: فيلسوف وناقد أدبي وكاتب وباحث فرنسي من مؤلفاته "لذة النص"، "الكتابة في درجة الصفر".

* **تشارليز ساندرز بيرس**: سيميائي وفيلسوف أمريكي من مؤلفاته "كتابات عن العلامة"، "بحثا عن منهج".

* **جوليا كريستيفا**: أديبة وعالمة لسانيات ومحللة نفسية من أصل بلغاري من مؤلفاتها "علم النص".

الإطار المنهجي

يعرف أمبرتو إيكو * (umberto eco) (1932 - 2016) السيميائية بأنها : " كل ما يمكن إعتبره إشارة "، وقد وردت أول إشارة بينة إلى السيميائية باعتبارها فرعاً من فروع الفلسفة في مؤلف جون لوك * (john locke) (1632 - 1704) مقالة تتناول الفهم البشري (1960)، لكن التقليديين الأساسيين في السيميائية المعاصرة مصدرهما على التوالي الألسني السويسري فرديناند دوسوسير (f.saussure)، والفيلسوف الأمريكي تشارلز ساندرز بيرس (pierce)، فالأول أطلق عليها اسم السيميولوجيا، والثاني أطلق عليها اسم السيميوطيقا، وبالنسبة لدوسوسير (f.saussure) فالسيميولوجيا هي علم يدرس دور الإشارات كجزء من الحياة الاجتماعية .

أما بالنسبة لبيرس (pierce) فحقل الدراسة الذي يسميه السيميوطيقا هو الدستور الشكلاني للإشارات مما يقربها من المنطق، فالمنطق بالمعنى الواسع للكلمة تسمية أخرى للسيميوطيقا ، الدستور شبه الضروري والشكلاني للإشارات " (1) .

- غاستون باشلار (gaston bachelard) " التقاطبات أو الثنائيات المكانية " :

التقاطبات أداة منهجية تستند إليها الدراسات المكانية، وتعد الأداة الرئيسية للكشف عن العلاقات الحاكمة على الأمكنة وعناصرها في النص، وقد قام باشلار (bachelard) بدراسات جماليات المكان في شكل ثنائيات ، فتحدث عن البيت باعتباره المكان الأول وباعتباره يعارض " اللابيت "، وفي هذا التعارض يبرز البيت كحام للأحلام والذكريات، حيث يشكل صدر البيت موطن الدفء حتى أشد البيوت بؤساً يبدو جميلاً وممتعاً طالما يمنح ألفة ما(2)، وسنركز في دراستنا هذه على التقاطبات المكانية المشتقة من مفهوم الاتصال والاستمرارية وهي كالتالي:- " مفتوح / مغلق " - " هنا / هناك " - " الأمان / الخوف " - " الاتصال / الانقطاع " - " الوطن / الغربة " - " الألفة / العدوانية " .

* أمبرتو إيكو : أديب وسيميائي إيطالي ولد في أليساندريا من مؤلفاته " اسم الوردية "، " بندول فوكو"، " القارئ في الحكاية " .

* جون لوك : باحث وفيلسوف إنجليزي من مؤلفاته " رسالة في التسامح "، " الحكومة المدنية " .

(1) دانيال تشاندلر: أسس السيميائية، تر: طلال وهبة (ط1؛ بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2008)، ص 28 - 30 .

(2) رقية رستم بورملكي - فاطمة شيرزاده : " التقاطب المكاني في قصائد محمود درويش الحديثة "، مجلة دراسات في اللغة وآدابها، العدد 9 (2012)، ص 58 - 73 .

- يوري لوتمان (yuri lotman) "التقاطب المكاني - سيمياء الكون" :

لقد أقام لوتمان نظرية متكاملة عن التقاطبات المكانية في كتابه بنية العمل الفني، ويرى لوتمان أن الجماعة تضع نفسها في إطار حيز نفسي يمثل بالنسبة إليها " هنا "، وتضع الجماعات الأخرى " هناك " فيدخل في نطاق " هنا " الأهل و الأقارب الذين ينتمي إليهم الفرد، بينما يدخل في " هناك " الأعراب والأبعاد، ومن أهم الثنائيات التي تميز المكان ثنائية " داخل / خارج " فلكل كائن حي إقليمه الذي يمثل مركز إشعاع بالنسبة إليه، ويتعارض مع العالم الخارجي الشاسع، وينطوي هذا التعارض على تعارض آخر هو ثنائية " أنا / الآخرون " ومن الواضح أن مثل هذا التقسيم يحمل في طياته منظومة قيمة تجعل كل ما هو ملاصق لي وداخل في نطاق إقليمي محط اهتمامي وجزءا من شواغلي، أما كل ما هو خارج هذا الاقليم فلا هم لي به، وهكذا ترتبط كثير من القيم المجردة باحداثيات مكانية محسوسة: عال / منخفض = قيم / غير قيم . يسار / يمين = شرير / خير قريب / بعيد = الأهل / الأعراب . مفتوح / مغلق = قابل للفهم / غير قابل للفهم

إن مثل هذه الأنساق نتاج ثقافي في المقام الأول، ولكنها تدخل في تشكيل النصوص الفنية، و حسب سيزا قاسم فإن الفكرة المحورية التي يؤكد بها لوتمان تتصل بنظرية الاتصال⁽¹⁾ .

يرى لوتمان (LOTMAN) أن الصورة المكانية للعالم التي خلقتها الثقافة تبدو أنها تتأطر بين البشرية والواقع الخارجي للطبيعة، وتعد منجذبة باستمرار بين هذين القطبين، تلتفت نحو البشرية باسم العالم الخارجي الذي تعد صورة له، في حين أن التجربة التاريخية للإنسان تخضع هذه الصورة لإعادة بناء مستمرة، تجهد نفسها لبلوغ تمثل دقيق للعالم⁽²⁾ .

- جان ريكاردو (JEAN RICARDOU) " شجرة الوصف " :

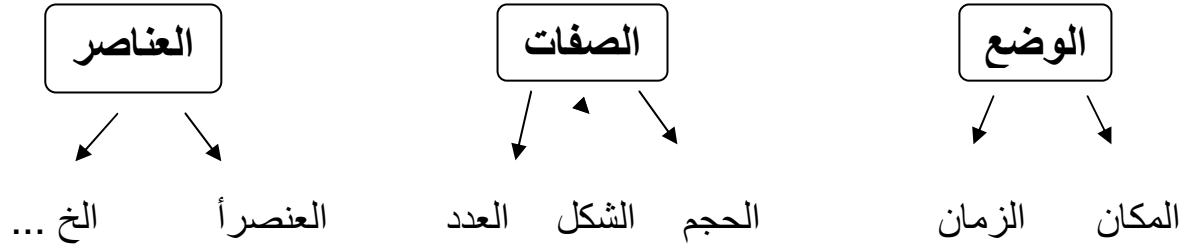
تعتبر شجرة الوصف الطريقة الأنسب لمعرفة المكان وما يحدده وما يملؤه، وفيما يلي مخطط الشجرة كما وصفها ريكاردو (ricardou) (3) :

(1) سيزا قاسم ، حازم شحاتة وآخرون: جماليات المكان (ط²؛ الدار البيضاء: عيون المقالات، 1988)، ص 61 - 67 .

(2) يوري لوتمان: سيمياء الكون ، ترجمة: عبد المجيد نوسي (ط¹؛ المغرب: المركز الثقافي العربي، 2011) ، ص 218 - 219 .

(3) سعاد دحماني: دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ - دراسة تطبيقية (رسالة ماجستير)، جامعة الجزائر، سنة 2007 ، ص 46 .

الشيء الموصوف



شجرة الوصف لجان ريكاردو

لقد وضع ريكاردو هذه التقنية لتتبع درجة الوصف والالمام بكل الصفات المسندة إلى الشيء الأساسي الموصوف، والذي تسير وفقه عملية التفريع الشجري للشيء، والتي تحدد شساعتها ودرجة تفريعها - أي درجة الوصف - عدد عناصرها الجزئية، ونسبة الصفات المسندة إليها، ويقصد بالوضع وضع الشيء من حيث مكانه وزمانه أثناء الوصف، أما الصفات المسندة فتختلف حسب الموصوفات التي يختارها الراوي الواصف كحجم الشيء وشكله وعدده ولونه وقياسه، وإذا كان الشيء الرئيسي الموصوف مكون من عناصر ثانوية (خارجية وداخلية) فتحدد في الشجرة الوصفية الاحقة، وإذا كانت هذه العناصر الثانوية موصوفة أيضاً، فتستمد شجرة الوصف وتتفرع إلى شجرة وصفية ثانوية تحمل العناصر ذاتها الأولية، وما طبق على الشيء الرئيسي ينطبق على العنصر الفرعي "الوضع - الصفات - العناصر" إلى أن يصل الوصف إلى نقطة النهاية فتنتهي حركة الوصف معه⁽¹⁾.

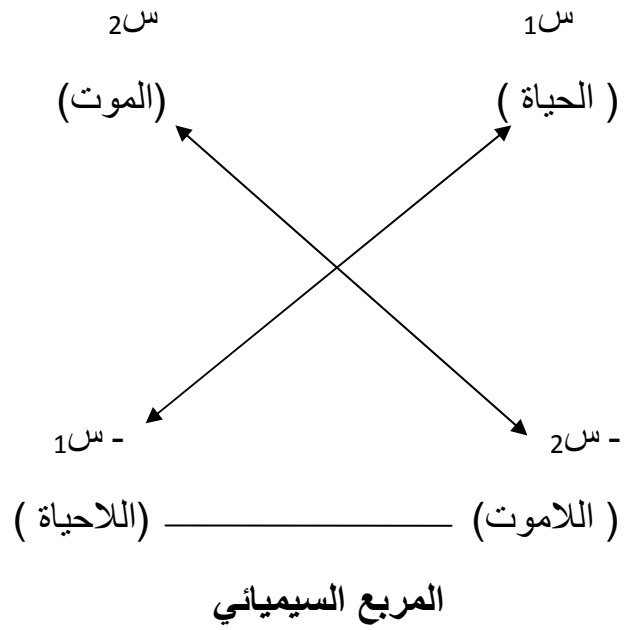
- جوليان غريماس (GREIMAS) "المربع السيميائي" :

بعد تحليل المستوى السردى للدلالة، فإن المرحلة التالية هي فحص المستوى العميق أو ما يعرف بالتركيب النحوي المدرك الذي تتكون فيه القيم الأساسية للنص، وهذه القيم الأساسية يمكن أن تقدم في صورة المربع السيميائي الذي هو تمثيل مرئي للعناصر الأولية للدلالة وإيضاح علاقات التناقض "التضاد" والتضمن فهو التعبير الطبيعي لأي مجموعة دلالية، وأداة نافعة لتصوير الدلالة السيميائية الأساسية، ويتيح معرفة الحركات النصية عن طريق تحديد المراحل الأساسية أو التحولات في القصة و متابعة المسار السردى للذات⁽²⁾.

(1) سعاد دحماني : مرجع سبق ذكره، ص46 .

(2) برنوين ماتن - فليزيتاس رينجهام : معجم مصطلحات السيميوطيقا تر: عابد خزاندان (ط1؛ مصر:

المركز القومي للترجمة ، 2008)، ص24 - 25 .



س1 و س2 بينهما علاقة تعارض أو تضاد .

س1 و - س1 بينهما علاقة تناقض، وس1 تنقض - س1 ، وهناك أيضا علاقة تناقض بين س2 و - س2 .

- س1 و س2 بينهما علاقة تضمينية، و- س1 تتضمن س2، وكذلك - س2 بالمثل تتضمن س1(1) .

- رومان جاكبسون (JAKOBSON) " نموذج التواصل " :

ويتجلى عند جاكبسون (jakobson) في المرسل، والرسالة، والمرسل إليه، والسنن، والمرجع، والقناة .

- المرسل :

وهو مصدر الخطاب المقدم، إذ يعتبر ركنا حيويا في الدارة التواصلية اللفظية، وقد تداول اللسانيون هذا العامل في قوالب اصطلاحية متباينة مثل: " الباث "، و " المخاطب "، و " الناقل "، و " المتحدث " (2) .

(1) برنوين ماتن - فليزيتاس رينجهام : مرجع سبق ذكره، ص25 .

(2) الطاهر بومزبر: التواصل اللساني والشعرية - مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون -، (ط1؛ الجزائر: منشورات الاختلاف، 2007)، ص23 - 24 .

الإطار المنهجي

- المرسل إليه :

يقابل داخل الدارة التواصلية اللفظية أثناء التخاطب، وقد أطلق عليه مجازا المصطلح الفيزيائي " المستقبل "، ويقوم المرسل إليه بعملية التفكيك لكل أجزاء الرسالة سواء أكانت كلمة أو جملة أو نصا.

- الرسالة :

هي الجانب الملموس في العملية التخاطبية حيث تتجسد عندها أفكار المرسل في صور سمعية لما يكون التخاطب شفهيًا، وتبدو علامات خطية عندما تكون الرسالة مكتوبة .

- السنن :

لقد تعددت اصطلاحات اللسانيات بشأن هذا العامل فبعضهم استعمل مصطلح اللغة، وبعضهم فضل النظام فيما أطلق عليه البعض الآخر القدرة، وعلى اختلافها فإنها ذات مدلول واحد يحيل على نظام ترميز مشترك كليًا أو جزئيًا بين المرسل والمتلقي .

- السياق :

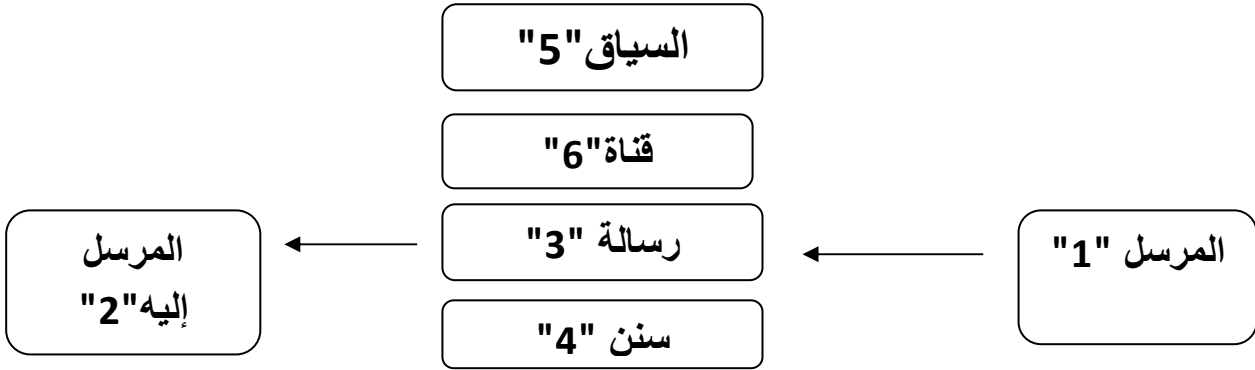
لكل رسالة مرجع تحيل عليه، وسياق معين مضبوط قبيلت فيه، ولا تفهم مكوناتها الجزئية، أو تفكك رموزها السننية إلا بالإحالة على الملابسات التي أنجزت فيها هذه الرسالة قصد إدراك القيمة الإخبارية للخطاب، ولهذا ألح جاكبسون (jacobson) على السياق باعتباره العامل المفعّل للرسالة بما يمدها به من ظروف وملابسات توضيحية، ويدعى أيضا المرجع .

- القناة :

ورد في قاموس اللسانيات أن الرسالة تتطلب اتصال اي قناة فيزيائية، وتواصل فيزيولوجي بين المرسل والمرسل إليه يسمح لهما بإقامة اتصال والحفاظ عليه وذلك قصد التأكد من سلامة الممر الذي تنتقل عبره الرسالة المتبادلة بين المرسل والمرسل إليه⁽¹⁾ .

الإطار المنهجي

ومن خلال المخطط التالي نتحدث عوامل التواصل اللفظي :



أما بالنسبة للوظائف اللغوية عند رومان جاكبسون (JACOBSON) فهي تتمثل فيما يلي :

- **الوظيفة التعبيرية** : وتسمى أيضا الوظيفة الانفعالية، وتركز على المرسل لأنها تهدف إلى أن تعبر بصفة مباشرة عن موقف المتكلم تجاه ما يتحدث عنه، وهي تنزع إلى تقديم انطباع عن انفعال معين صادق أو كاذب .

- **الوظيفة الإفهامية** : ويطلق عليها بعض اللسانيين مصطلح وظيفة تأثيرية، وهو اصطلاح مهم يمكن استثماره إلى جانب الإفهامية، ذلك أن الأول نظر إليها من وجهة نظر عقلية بينما المصطلح يحمل المدلول العاطفي للوظيفة، وتبرز هذه الوظيفة على سطح الخطاب عندما تتجه الرسالة إلى المرسل إليه .

- **الوظيفة الانتباهية** : هناك أنماط لغوية تقوم بأدوار خارجية عن نطاق الخطاب الإبلاغي لتزويد المتلقي بقيم إخبارية، وإنما تؤدي وظيفة المحافظة على سلامة جهاز الاتصال، والتأكد من استمرار مرور سلسلة الرسائل الموجهة إليه على الوجه الذي أرسلت به، وهذا ما ذهب إليه جاكبسون عندما أقر بأن هناك رسائل توظف، في الجوهر، لإقامة التواصل وتمديده أو فسمه، وتوظف للتأكد مما إذا كانت دورة الكلام تشتغل.

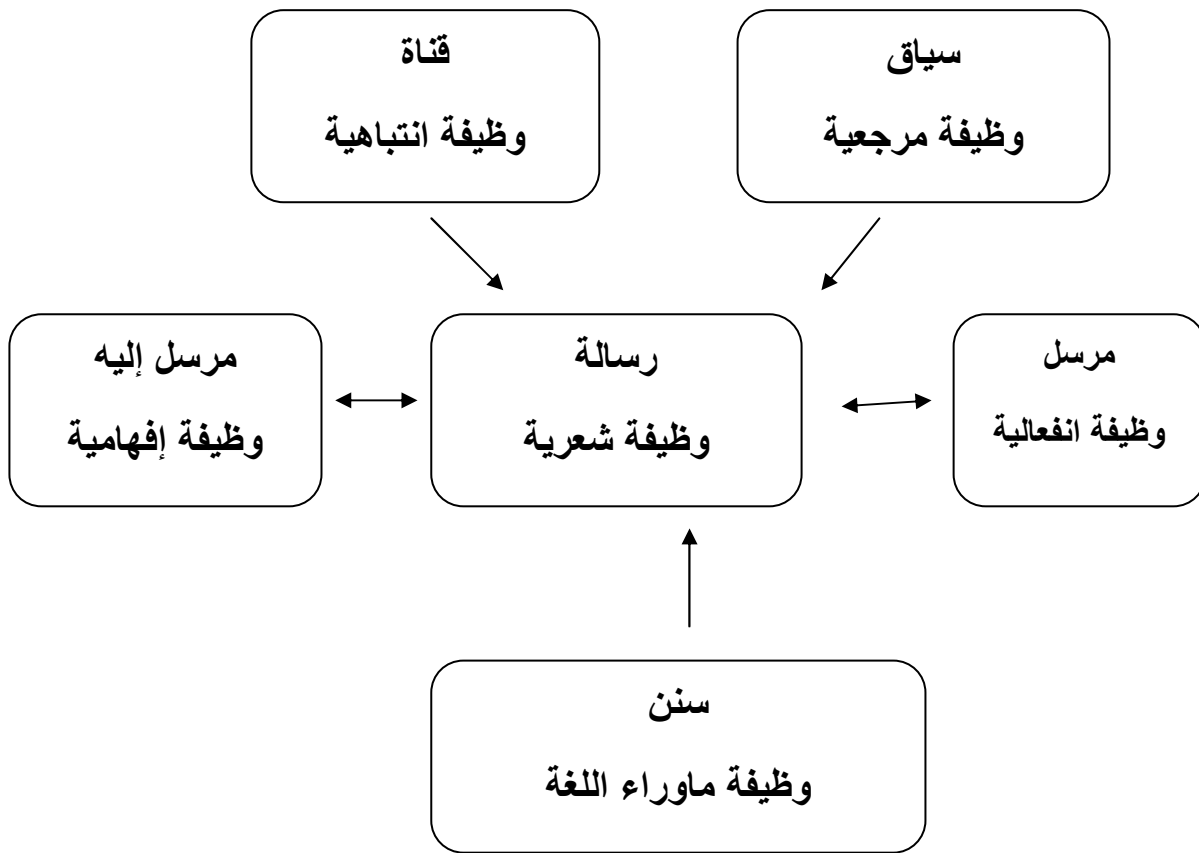
- **الوظيفة المرجعية** : ترجمت باصطلاحات أخرى إلى جانب المرجعية مثل معرفية وإيحائية، غير أن هذه المصطلحات تشترك في كونها تشير إلى الوظيفة المهيمنة عندما تتجه الرسالة إلى السياق، وتركز عليه، وتتلون كل رسالة بهذه الوظيفة عندما يكون محتواها مؤيدا للأخبار الواردة فيها باعتبار أن اللغة فيها تحيلنا على أشياء و موجودات نتحدث عنها وتقوم اللغة فيها بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات والأحداث المبلغة (1) .

الإطار المنهجي

- وظيفة ماوراء اللغة : تستخدم مثل هذه الرسائل عندما يشعر المتخاطبان أنهما بحاجة إلى التأكد من الاستعمال الصحيح للسنن الذي يوظفان رموزه في العملية التخاطبية .

- الوظيفة الشعرية : تركز الوظيفة الشعرية على الرسالة اللفظية مهما كان جنسها لكنها بدرجات متفاوتة فهي لا تستقل بفن القول وحده، كما لا تقتصر عليه فقط .

ويبين المخطط التالي الربط بين عوامل التواصل اللغوي بالوظائف اللغوية عند رومان جاكسون (JACOBSON) (1) :



الإطار المنهجي

عينة الدراسة

- العينة الأولى :

رواية ليل الغريب للروائي الجزائري مراد بوكرزازة الصادرة عن دار الألمعية للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة 2014 .

وسنركز في هذه الدراسة على الأبعاد الاتصالية للمكان وسنخصص بالتحديد مدينة قسنطينة كمكان تدور فيه أغلب أحداث الرواية، من خلال التركيز على ثنائية (الوطن / الغربية) و (هنا / هناك) و (الاتصال / الانقطاع) حتى نستطيع استخلاص البعد الاتصالي لولاية قسنطينة في علاقتها مع الشخصيات الروائية .

- العينة الثانية :

رواية تفتست للروائي الجزائري عبد الله حمادي الصادرة عن دار الألمعية للنشر والتوزيع الطبعة الثانية 2013 .

وسنقوم في هذه الدراسة بالتركيز على الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفتست وبالتحديد مدينة إليزي ومدينة قسنطينة وقرية الغرابة، اعتمادا ثنائية (المفتوح / المغلق) حتى نتعرف على الأبعاد الاتصالية لهذه الأماكن وعلاقتها مع الشخصية الروائية .

وسنعمد في كلتا العينتين على شجرة الوصف لجان ريكاردو للتعرف على تفاصيل المكان، كما سنعمد في التحليل على المستوى المربع السيميائي لجوليان غريماس .

الدراسات السابقة

فيما يخص الدراسات السابقة فإننا لم نجد أي دراسة تناولت موضوع المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة من جانبه الاتصالي الدلالي ، معادا تلك الدراسات التي عالجت المكان من جانبه الوصفي الأدبي ، وتناولت أجزاء من بعض الأماكن مثل " الريف - السجن - المدينة ... الخ " .

وعليه سنتطرق إلى الدراسات التي تناولت موضوع المكان من الناحية الأدبية سواء في الرواية العربية أو الرواية الجزائرية ، وتأتي هذه الدراسات على النحو التالي :

الدراسة الأولى :

- " دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ - دراسة تطبيقية - " (1)

وقد ارتأت الباحثة تقسيم دراستها إلى قسمين الجانب النظري أو مأسمته " الفصل التمهيدي " والجانب التطبيقي .

وفي الفصل التمهيدي تناولت الباحثة فيه مبحثين، يتمثل الأول في مفهوم المكان والفضاء في الرواية حيث حددت فيه مجموعة من المفاهيم والمصطلحات التي تعالج اللبس بين مفهوم كل من المكان والفضاء في الرواية مع تحديد مفهوم الوصف الذي يمثل الأداة الرئيسية في تجسيد المكان، أما المبحث الثاني فتناولت فيه دلالة العناوين الثلاثة للثلاثية وعلاقتها بالمكان الروائي من خلال ثلاث مستويات النحوي والمعجمي والدلالي .

أما الجانب التطبيقي قسمته إلى فصلين الفصل الأول وعنوانته " بنية أمكنة الثلاثية " حيث عالجت من خلاله أنواع الأمكنة الموجودة في الثلاثية، والتي تتحكم فيها ثنائية رئيسية تتمثل في ثنائية " المغلق / المفتوح "، وانطلاقاً منها خصصت للفصل مبحثين، أدرجت في المبحث الأول كل الأماكن المغلقة للثلاثية كالبيت والسجن...وما يتفرع عنها من أمكنة جزئية، أما المبحث الثاني فأدرجت فيه الأماكن المفتوحة على الخارج كأماكن الانتقال الخاصة مثل المقهى، والحانة، والمسجد، وأماكن العمل، وأماكن الانتقال العامة كالأحياء والساحات...وما يتفرع عنها هي الأخرى من أمكنة فرعية .

(1) دحماني سعاد : دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ - دراسة تطبيقية - ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي قديماً وحديثاً، جامعة الجزائر ،كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها ، 2007 .

الإطار المنهجي

أما الفصل الثاني وعنوانه " علاقة المكان بالشخصية والزمن " فيتشكل من مبحثين، تناولت في المبحث الأول علاقة المكان بالشخصية الروائية من خلال ثلاث عناصر أولها مفهوم الشخصية الروائية، وثانيها بنية شخصيات الثلاثية، وثالثها تمثل في علاقة المكان بالشخصية.

أما المبحث الثاني فيتمثل في علاقة المكان بالزمن الروائي، وتناولت فيه مفهوم الزمن وعلاقته بالمكان الروائي ثم متغيرات الزمن حيث أبرزت فيه أثر الزمن على كل من المكان والشخصية في الثلاثية .

وجاءت نتائج الدراسة كالتالي :

- يمثل العنوان أولى العتبات المكانية التي تربطنا بالرواية، وكان في الثلاثية شديد الارتباط بالمكان حيث تظهر على غلاف الرواية وداخل النص، فهو حاضر على امتدادها، وقد فتح العنوان تأويلات خاصة وجملة من التساؤلات أجابت عنها الرواية عبر مساحتها.

- يتجاوز المكان عند نجيب محفوظ حدوده اللغوية والورقية إلى تجسيد عالم بأكمله ورؤى متشعبة قد تلتقي أحيانا، وتختلف في كثير من الأحيان، ومع ذلك لكل جزئية من الأمكنة دلالتها الخاصة، ورمزها الخاص الذي يعكس من خلاله رؤية نجيب محفوظ للعالم من زاوية جزئية تشكل إلى جانب الروايات الأخرى لباقي الأمكنة في نهايتها مجموعة من الرؤى العميقة .

- يشكل المكان عند نجيب محفوظ ثنائية رئيسية وهي ثنائية " المغلق / المفتوح " فبالنسبة للأماكن المغلقة نجدها تمثل عالما خاصا حميميا يكشف عن طبيعة كل شخصية وأغوارها ودرجة تعاملها مع العالم الداخلي، أما الأماكن المفتوحة فهي تمثل جانبا من الحرية حيث يسهل الانتقال خلالها بالانفتاح على العالم الخارجي، والذي يقتصر على الجنس الذكوري.

- أما عن علاقة المكان بالشخصية فهي تتحول من كائن ورقي إلى مدرك زمني ومكاني وكيان يحمل رمزا ورؤية خاصة للعالم، وتمتاز كل شخصية بوقوعتها الخاصة حيث تشكل عند محفوظ مجموعة من القواقع المكانية.

- أما عن علاقة المكان بالزمن يوهم الزمن بواقعيته في الثلاثية ويقف جنب المكان في إعطاء الرواية طابعا واقعيا حقيقيا، والزمن شديد الالتحام بالمكان ، ويبدو في الثلاثية قوة لاراد لها .

الإطار المنهجي

الدراسة الثانية

- " صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج " (1)

لمعالجة إشكالية الدراسة قامت الباحثة بطرح عدة تساؤلات نذكر منها :

- ماهي الإستراتيجية التي تتبناها الروايات في اختيار هيكلها المكاني العام وبنائها المكانية الفرعية ؟

- هل أثرت تحولات الواقع الخارجي على تمظهرات المكان في الروايات وعلى مايطرح من قضايا؟ وما أبرز العوامل المسؤولة عن تغير دلالاته ؟

- ما دور الوعي المكاني للشخصية في إنتاج وتجسيد دلالات المكان ؟

- ما هي أبعاد وعي الروائي بالمكان وإلى أي مدى وظف مفرداته في إنتاج رواية متماسكة؟

وارتأت الباحثة تقسيم البحث إلى أربعة فصول :

تناول الفصل الأول مفهوم المكان في بعده اللغوي، والفلسفي و الفني، ثم تطرق إلى المكان في الموروث العربي الأدبي، والنقدي، وانتقل من خلال هذه العتبة إلى المكان الروائي، فعمد إلى تحديد مفهومه، وإبراز أبعاده، وتتبع مسيرة تطور وظائفه، كما تعرض الفصل لأهم الدراسات النقدية الغربية والعربية التي تناولته وفي مقدمتها مبدأ التقاطب المكاني، وأشار في الأخير إلى الدلالة الأدبية للمكان وإلى إرتباطها بمكونات الرواية الأخرى.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لرصد أنماط المكان في الروايات المختارة، واستعانت في هذا المقام بثنائية المكان الإطاري العام، والبنى المكانية الفرعية، فألفت المكان العام ينحصر في ثنائية القرية والمدينة، وإن كانت المدينة قد شكلت حيزا أكبر في روايات الكاتب، أما البنى المكانية الفرعية التي تشكل صورة القرية والمدينة، فقد بدت موزعة في تشكيلات مكانية كثيرة، ومتنوعة، استعان البحث على رصدها وكشف دلالاتها بثنائية المكان المفتوح والمكان المغلوق .

(1) جوادي هنية : صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في أدب جزائري، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية ، بسكرة ، 2012 .

ويتناول الفصل الثالث آليات تصوير المكان أهم الآليات الفنية التي توصلتها النماذج الروائية المختارة في تشكيل المكان ورسم معالمه، وقد قامت الباحثة بتقسيم هذا الفصل إلى مبحثين، خصصت المبحث الأول لعرض وتحليل آليات التصوير الواقعي، بحيث إنطلق هذا المبحث من فكرة تشاكل الرواية والواقع، وما يوفره هذا التشاكل من أبعاد واقعية للمكان الروائي، ولعناصر الرواية الأخرى.

أما عن الآليات التي اهتم بها هذا المبحث، فتشمل: تقنية الوصف، وقد خص الأماكن وأهم ماتحتويه من أثاث وأشياء، أسهمت في ملء فراغات الأمكنة، وكشفت عن أبعادها الحضارية ومستوياتها الاجتماعية وبخاصة في الروايات ذات الإتجاه الواقعي .

إضافة لعنصر الوصف، ركز المبحث أيضا على الملامح العامة للشخصيات، فاهتم بتحديد مميزاتها الخارجية والداخلية والاجتماعية، وحاول الإبانة عن إسهاماتها في تجسيد البعد الواقعي للمكان، من خلال التركيز على نماذج لشخصيات مرجعية، مثلت تنوعات مختلفة، بما يعطي صورة إجمالية عن الشخصية في النماذج الروائية .

وأخيرا تناول هذا المبحث تقنية الحوارية / التفاعل النصي من خلال معالجته لتفاعل الروايات المختارة مع محيطها الثقافي الجزائري، وإقبالها على استلهام الموروث الثقافي المحلي، واعتماده مكونا أساسا من مكوناتها.

أما المبحث الثاني من هذا الفصل فقد لتحليل آليات التصوير الشعري للمكان، وبالنسبة للفصل الرابع فقد خصصته لدراسة العلاقات المكانية في النماذج الروائية المختارة، تناولت فيه أهم هذه العلاقات وأشدها تأثيرا في البنية الدلالية للمكان، وتتمثل في علاقة المكان بالزمن وبالشخصية، وعنونت المبحث الأول لهذا الفصل بالزمن وآفاق المكانية، تناولت فيه طبيعة العلاقة بين المكان والزمان، ثم قامت بتحليل هذه العلاقات في النماذج الروائية، أما المبحث الثاني فقد عنونته الشخصية ووعي المكان، تطرقت فيه لأشكال الصراع المكاني الذي يقوده الهامش " الشخصيات الريفية / عالم القرية " ضد المركز " المدينة / السلطة البرجوازية المزدوجة " .

وقد جاءت نتائج الدراسة كالتالي :

- أولت الروايات الأولى للكاتب عناية خاصة بفضاء القرية، وقد أبرزت صورة القرية وتحديدا في روايتي " ماتبقي من سيرة لخضر حمروش " و " نوار اللوز " عالما بيزخ تحت طائل الفقر والتهميش والعطالة، بالرغم من التضحيات الجسام التي قدمتها إبان الثورة

الإطار المنهجي

المسلحة ، إذا تمثل القرية النمطية والسلبية والثبات والتردي على مختلف الأصعدة وحتى على مختلف الأصعدة، وحتى على مستوى طبيعتها القاسية التي تركز إنغلاق المكان وتدهور أوضاعه، وعلى الرغم من هذا الإيقاع الرتيب للحياة في القرية، فإننا نجدها تتحرك حركتها الذاتية الخاصة لتصنع مصيرها .

- تظهر القرية في النماذج الروائية مكانا مرفوضا، تسعى الشخصية إلى تغييره إلى الأحسن، ولعل الاستثناء تمثله " سيدة المقام " و " ضمير الغائب " اللتين تبرز فيهما القرية بالنسبة للأبطال الذين ينحدرون من أصول ريفية، ويعيشون - في الزمن الحاضر - بالمدينة مكانا حميميا ومرتعا خصبا للتخيل والعودة الوجدانية إلى قيم الخير والحب ، ومن هنا تمثل علاقة الانفصام بين الشخصية الروائية والمدينة مرآة تعكس مختلف القيم الخلافية بين عالم القرية وعالم المدينة.

- صاحب الالتفات إلى القرية - باعتبارها المنبت الأصلي للشخصية الروائية - إلتفات إلى هويتها الثقافية، وأبعادها الحضارية المتصلة بالذات، وبقيم تأصيلها وتأكيد هويتها .

- أدى الموروث المحلي بأشكاله المتنوعة دورا هاما في رسم تقاسيم الأمكنة وتكثيف دلالاتها .

- تولي رواية التسعينيات لدى واسيني الأعرج اهتماما خاصا بالمدينة، فهي مكان أساسي، يمثل إطار القسم الأكبر من تجاربه الروائية، وهذه العناية جعلت المدينة تسكن روايات الكاتب، وتهيمن على مساحات نصية شاسعة .

الدراسة الثالثة

- " الريف في الرواية الجزائرية - دراسة تحليلية مقارنة - " (1)

وقد قسم الباحث دراسته إلى أربعة أبواب :

جاء في الباب الأول الريف في الرواية ، وهي ملامح الريف في الرواية وقد انحصر في ثلاثة عناصر، العنصر الأول الريف في الرواية الغربية خاصة بعد أن حازت المدينة - كفضاء ضاغط - اهتمام الكتاب الغربيين . أما العنصر الثاني جاء بعنوان الريف في الرواية العربية ، والعنصر الثالث عنوانه الريف في الرواية الجزائرية .

(1) سليم بتقة : الريف في الرواية الجزائرية - دراسة تحليلية مقارنة - ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، باتنة، 2009 .

الإطار المنهجي

وتطرق الباب الثاني لكتابة الريف حيث تناول الكتاب الجزائريين للريف، عن الواقعية في الرواية الجزائرية كمنهج تبناه الكتاب الجزائريون يرصدون من خلاله واقع الريف الجزائري بكل حيثياته، وكيف تشكل هذا الريف واقعا من خلال العناصر: التشكيل الواقعي " الوصف، الحوار، التراث وملامح الشخصية الريفية " العنصر الثاني : الرمز والعنصر الثالث : الأسطورة .

الباب الثالث جاء بعنوان التشكيل الفني وهي الجوانب الفنية التي تحفل بها الروايات، والتي تعكس الوعي الجمالي بالريف كما تجسد في رواية الريف الجزائري من خلال العناصر الآتية تناول العنصر الأول اللغة باعتبارها جزءا هاما في بناء النسيج الفني، وفي العنصر الثاني السرد والزمن، وتطرق العنصر الثالث إلى الفضاء .

وتناول الباب الرابع الأبعاد الدلالية وهي القضايا التي تناولتها الروايات محل الدراسة ودلالاتها المختلفة، المقاومة، والثورة، والإصلاح الزراعي، وصراع القيم، وبؤس الريف. وقد جاءت نتائج هذه الدراسة كالتالي :

- إن جل الروائيين الذين اعتمدت الدراسة على أعمالهم ينحدرون من أصول ريفية، أو عاشوا قسما من حياتهم في الريف، فتجلى اهتمامهم بقضايا الريف من عمق وإنتماء .

- هذا الاهتمام بالريف يعود إلى إرتباطه بالأحداث الكبرى التي عرفتها الجزائر، بدءا بالثورة التحريرية وانتهاء بالثورة الزراعية .

- حاولت الروايات أن تقدم صورة عن الريف الجزائري، فإذا به يبدو سلبيا مضطهدا للإنسان البسيط، قاتلا للأمل، مختفيا وراء البراءة والطيبة، صورة ينتضر فيها الجهل والفقر.

- بروز الريف في مواجهة خفوت المدينة راجع إلى الإيديولوجيا التي جعلت من المدينة رمزا للنظام الكولونيالي .

- كانت النصوص الروائية أثناء فترة الاحتلال تهدف إلى تأسيس خطاب مناهض لخطاب الآخر، منطلقها الفلكلور الريفي .

- في المضمون الاجتماعي تلتقي الروايات في تأكيدها على معاناة الريف منذ فترة الاحتلال إلى مرحلة التحولات .

- " دلالة المكان في رواية عابر سرير " (1)

ولمعالجة إشكالية الدراسة قامت الباحثة بطرح عدة تساؤلات تتمثل فيما يلي :

- هل تمكنت دلالة المكان في رواية عابر سرير من الخروج من جغرافية المكان أم ظلت حبيسة به ؟

- هل اقتضت دلالة المكان في رواية عابر سرير على دلالة واحدة أم تنوعت ؟ وكيف استغلت الكاتبة هذا التنوع ؟

- هل استغلته ككم ؟ أم كبنيات دالة تعمل على الكثافة والإيحاء داخل النص ؟

وقد قسمت الباحثة الدراسة إلى مدخل وثلاثة فصول تطبيقية ، عنونت المدخل **بالمكان** المفهوم، النوع، الدلالة، فقد جاء كخطوة تمهيدية للبحث تناولت فيه مفهوم المكان وأهميته، ثم قدمت أنواع الأمكنة، ودلالات المكان مع التوضيح بالأمثلة والنماذج المناسبة .

أما الفصل الأول جاء بعنوان **دلالة المكان وعلاقته بالشخصية في رواية عابر سرير**، أدرجت فيه تلخيصا لأحداث الرواية ثم قراءة في العنوان، ثم تناولت دلالة الاسم وعلاقته بالشخصية، ثم الشخصية وعلاقتها بدلالة المكان، كما تطرقت إلى دلالة الوطن ودلالة المهجر ودلالة الجسر والتي كانت ضمن جزئيتين " الدلالة الرمزية والدلالة التعبيرية " .

وتطرقت في الفصل الثاني إلى **دلالة المكان وعلاقته بالزمن** تعرضت فيه إلى تعريف الزمن ثم دوره في العمل الإبداعي، كما تناولت فيه أيضا دلالة المكان وعلاقته بالزمن من خلال : المقهى، المعرض، الفندق، السجن، الذاكرة .

أما الفصل الثالث فقد سطرته بعنوان **دلالة المكان وعلاقته بالرمز في رواية عابر سرير**، استهلته بتعريف للرمز، ودلالة الصورة وعلاقتها بالرمز من خلال الصورة كرمز للواقع السياسي، ثم كرمز للجانب العاطفي .

(1) سعدية بن يحيى : **دلالة المكان في رواية عابر سرير** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري، جامعة الجزائر، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية وآدابها ، 2007 .

الإطار المنهجي

وجاءت نتائج الدراسة كالتالي :

- دلالة المكان في رواية عابر سرير لم تعبر عن الواقع الجزائري، فقط وإنما أشارت كذلك للواقع العربي من خلال جمالية كامنة وراء المفردة الرمز، مما أعطى للمكان بعدا وصوتا وصورة .

- المكان في الرواية يحمل أكثر من مفهوم، وأكثر من دلالة، لارتباطه بما هو موجود سواء أكان محسوسا أو مدركا، وبذلك يتجاوز معناه التقليدي المقتصر عليه كجغرافيا.

- البناء الجيد للمكان ساهم في خدمة مكونات الرواية، خصوصا الشخصية مما ساعد على إنتاج أمكنة مشتركة، بفعل دلالة المكان وتفاعل الشخصية كالقلب، الذاكرة ، والرحم، فالقلب تحول إلى مكان بفعل الدلالة حاملا لجملة من المشاعر على اختلافها وتناقضها .

- ذوبان الشخصية في المكان والمكان في الشخصية، بفعل دلالة المكان الرمزية والتأثيرية، سمح بتلاشي حدود الجسد وحدود المكان ليصبح الجسد مكانا، والمكان جسدا .

- وظفت الكاتبة الزمن بشكل مميز تجلت جماليته عبر دلالات المكان مما أعطى تقنيات السرد تماسكا وحضورا من خلال الذاكرة، الاسترجاع، الحذف، فكان نتاج ذلك زمنا إبداعيا يجمع الشخصية بالمكان .

- الصورة كمكان رمزي تجاوزت حدودها الفوتوغرافية بفعل الرمز لتكون رمزا للواقع السياسي، جزائري كان أو عربي الذي أنهكه الإنشطار .

- اللوحات كمكان فني رمزي ضم أكثر من مدلول وأكثر من معنى بفعل دلالة المكان، فكانت اللوحات رمزا للوطن من خلال لوحات زيان التي رسمت فيها الجسور، فكانت بذلك رمزا للحب المشترك الذي جمع قسنطينة وحياء ، ورمزا للواقع السياسي كذلك من خلال اللوحات التي رسمت فيها الأبواب مشيرا بذلك إلى ألمه بسبب إغتيال ابن أخيه .

وهكذا نجد أن كل هذه الدراسات تناولت المكان ودلالاته من الناحية الأدبية الوصفية فقط، ولم تتطرق إلى البعد الاتصالي التواصلي للمكان ، والذي سنحاول التطرق إليه في دراستنا.

الإطار المنهجي

- مفاهيم الدراسة

سنتطرق إلى أهم المفاهيم التي وردت إشكالية الدراسة والمتمثلة في الاتصال و المكان والنص الروائي .

- الاتصال : COMMUNICATION

للاتصال عدد من المعاني، ربما يكون أقدمها تحويل الأشياء مادية، الذي هو معنى يعود تاريخه إلى القرن الرابع عشر، توسع في القرن السابع عشر إلى الفكرة الأشمل عن الوصول أو وسيلة الوصول بين شخصين أو مكانين، أي فعل المرور أو القدرة على المرور من مكان إلى آخر.

في القرن الخامس عشر اتسعت كلمة اتصال لتشمل الوقائع والمعلومات التي كانت تنقل أي مانسميه اليوم بمحتوى الاتصال، ويرجع تاريخ أشهر معنى حديث لكلمة اتصال، وهو الذي يشير إلى فعالية الإرسال أو نقل الرسائل التي تنطوي على معلومات أو أفكار أو معارف، إلى أواخر القرن السابع عشر، ومنذ بواكير القرن الخامس عشر، كان معنى ثان للكلمة لا يركز كثيرا على نقل الرسائل، أو محتواها، بل على فعالية الحوار، والتفاعل والمجاعة، كما في فكرة المحادثة أو الاتصال بين الأشخاص⁽¹⁾، إن علم الاتصال

communication science هو الدراسة العلمية لكل مظاهر الاتصال⁽²⁾ ، إن الترابط بين مصطلحي الاتصال والمجاعة أو الاتصال و الصلة والدور الذي يؤديه الأول في تشكيل الثاني تكمن الفكرة الجوهرية هنا في أن نعرف أن المجاعة ليست كيانا يوجد ثم يحصل له أن يتواصل، بل إن الجماعات تفهم فهما أفضل بوصفها تكونت في ومن خلال نماذجها المتغيرة في الاتصال، ولم تعد المجاعة تقوم بالضرورة على أساس المجاورة الجغرافية⁽³⁾ .

أما المقصود بالمفهوم بالإجرائي للاتصال في الدراسة فإننا نقصد به الأبعاد الاتصالية للمكان في النص الروائي الجزائري المعاصر، أي العلاقة الاتصالية للمكان مع الشخصية الروائية في النص، وكيفية مساهمة العلامات المكانية في النص الروائي في إنتاج دلالات اتصالية .

(1) طوني بينيت ، ميغان موريس وآخرون: مفاتيح اصطلاحية جديدة، تر: سعيد الغانمي (ط1؛ بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010)، ص48 - 50 .

(2) DAVID CRYSTAL: DICTIONARY OF LINGUISTICS AND PHONETICS(SIXTH EDITION, UK: BLACKWELL PUBLISHING,2008)p.89.90.

(3) طوني بينيت. ميغان موريس : ص52 .

الإطار المنهجي

- المكان place :

هذا الاسم حسب موسى بن ميمون اصل وضعه للمكان الخاص والعام ثم إن اللغة اتسعت فيه وجعلته اسما لمرتبة الشخص ومنزلته أي لكماله في أمر ما حتى يقال : فلان في مكان فلان في الأمر الفلاني، يقول بن ميمون وقد علمت كثرة استعمال أهل اللغة ذلك في قولهم يسد مكان آبائه، وكان يسد مكان آبائه في الحكمة أو التقوى⁽¹⁾ .

إن المكان بشكله وملامحه المادية والمعنوية يعطي طابعا للهوية الذاتية القومية والحضارية، ويشكل كيانا مستقلا للانسان .

يمثل المكان بملامحه المادية وشكل أبنيته طابع الرمز الدال على هوية حضارية أو قومية محددة، ولهذا كان حرص الانسان على مكانه حرصا في ذات الوقت على هويته وكيانه، وفي ذلك يقول الدكتور ياسين النصير: " فالمكان دون سواه يثير إحساسا ما بالمواطنة وإحساسا آخر بالزمن والمحلية، حتى لتحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه " .

إن الانسان يقبع في بوتقة المكان، وتشكل الأماكن المحيطة به هاجسا له، وهويته هي التي تحدد مكانه الذي يثيره بالتحديد، بل أصبحت جزءا من حياته، لا يمكن الاستغناء عنها أو تجاهلها، حتى أن الأديب يبحث في المكان حتى يبرز الهوية الثقافية لديه، لأن المحيط البيئي في المكان يمثل ملامح الخصوصية التي تشكل لهويته الثقافية، فعلاقة الانسان بالمكان علاقة متجذرة، وإرتباطه به على هذه الشاكلة نابع من عده موطننا وهوية⁽²⁾ .

يعتمد الراوي في حديثه عن المكان في النص الروائي وإبراز معالمه من خلال الوصف، ويقصد بالوصف Description هو الكتابة الوصفية المعدة لجعل القارئ يتصور مسرح الأحداث، وشكل هذا الوصف يأتي غالبا في شكل استحضار حيث تستحضر الشخصية استجابة شعورية متعمدة لمكان ما فنقوم بوصفه من خلال ذلك الاستحضار أو الاسترجاع للمكان⁽³⁾ .

(1) موسى بن ميمون: دلالة الحائرين ، تر: حسين آتاي، (مكتبة الثقافة الدينية، ب ت) ، ص34 .

(2) بدر نايف الرشيد: صورة المكان الفنية في شعر أحمد السقاف، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الشرق الاوسط ، كلية الآداب والعلوم، 2012، ص36 - 37 .

(3) Ira mark milne: ipid p.915.

الإطار المنهجي

ونقصد بالمكان في المفهوم الإجرائي للدراسة الأمكنة المذكورة في النص الروائي الجزائري المعاصر، وبالتحديد قسنطينة في رواية ليل الغريب للروائي مراد بوكرزازة و إليزي وقرية الغرابة وقسنطينة في رواية تفنست للروائي مراد بوكرزازة .

- النص الروائي **novle / text** تطلق اللسانية كلمة نص على مجموع الأقوال الخاضعة للتحليل، فالنص بهذا المعنى مرادف للمتن اللغوي **corpus** ويطلق **هيلمسليف (hjelmslev)** كلمة نص على القول الشفوي والخطي، الموسع أو الموجز، القديم أو الجديد، فكلمة قف نص، والرواية بكاملها نص⁽¹⁾ .

يرى **ميشال زيرفا (m. zeraffa)** أن الرواية تبدو في المستوى الأول عبارة عن جنس سردي نثري، بينما يبدو هذا السرد في المستوى الثاني حكاية خيالية، بينما يميل سارتر إلى ربط الرواية بالتاريخ وهو موقف نقدي تقليدي لم يبرح رائجا بين كثير من نقاد الرواية والمتعصبين للتأثير الاجتماعي في الأدب⁽²⁾، وتؤسس الرواية غالبا من خلال حبكة روائية أو موضوع يتناول من خلال كيفية تطور الأحداث والشخصيات في النص الروائي⁽³⁾ .

إن الرواية ككل ظاهرة متعددة الأسلوب واللسان والصوت⁽⁴⁾، فالرواية هي الأعلى للعبة التداخل النصي، وهو النوع الذي يعطي تنوع الملفوظات حيزا واسعا للعمل، بالنسبة **لباختين (bakhtin)** فإن الرواية هي نوع لا يشبه الأنواع الأخرى لأن كل لحظة من لحظاتها فردية تماما ولا يمكن اختزالها⁽⁵⁾ .

نقصد بالمفهوم الإجرائي للنص الروائي في الدراسة النص الروائي الجزائري المعاصر، وبالتحديد رواية ليل الغريب ورواية تفنست.

(1) لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، (ط1؛ لبنان: دار النهار للنشر، 2002)، ص167 .

(2) عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ب.ت)، ص15 .

(3) *ira mark milne: ipid.p298* .

(4) ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، تر. محمد برادة، (ط1؛ القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر، 1987)، ص38 .

(5) تزيفيتان تودوروف: ميخائيل باختين - المبدأ الحوارى -، (ط2؛ الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع، 1996)، ص162 - 163 .

الإطار النظري

الفصل الأول : ماهية المكان في الرواية

المبحث الأول : مفهوم المكان

**المبحث الثاني : المقاربة الاصطلاحية للمكان
والفضاء**

المبحث الثالث : أنواع المكان

المبحث الرابع : مفهوم المكان في الرواية

**المبحث الخامس : العلاقة بين المكان والوصف
في الرواية**

الفصل الأول: ماهية المكان في الرواية

المكان تاريخيا أقدم من الانسان، والانسان بوجوده وكيونته في المكان يعيد تشكيله و تحويله إلى أشكال مختلفة حسب احتياجاته الحياتية ووفق ثقافته ، والمكان ثابت وهو في ثبوته واحتوائه الأشياء الحسية المستقرة فيه يدرك بالحواس إدراكا مباشرا، ذلك أن المكان صورة أولية ترجع إلى قوة الحساسية الظاهرة التي تشمل حواسنا الخمس .

وقد حظي كل من المكان والفضاء في الرواية باهتمام كثير من الدارسين، لأن المكان في النص الروائي ليس مجرد شيء صامت أو خلفية تقع عليها أحداث الرواية، فهو عنصر غالب في الرواية حامل لدلالة، ويمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها عناصر الرواية .

وهذا ماسنحاول التطرق إليه من خلال هذا الفصل الذي عنوانه ماهية المكان في الرواية، وقد قمنا بتقسيم هذا الفصل إلى خمس مباحث، المبحث الأول بعنوان مفهوم المكان، والمبحث الثاني سيتناول المقاربة الاصطلاحية للمكان و الفضاء، والمبحث الثالث يتحدث عن أنواع المكان، أما المبحث الرابع فقد خصصناه لمفهوم المكان في الرواية، وبالنسبة للمبحث الخامس فسيتطرق إلى العلاقة بين المكان والوصف في الرواية .

المبحث الأول : مفهوم المكان

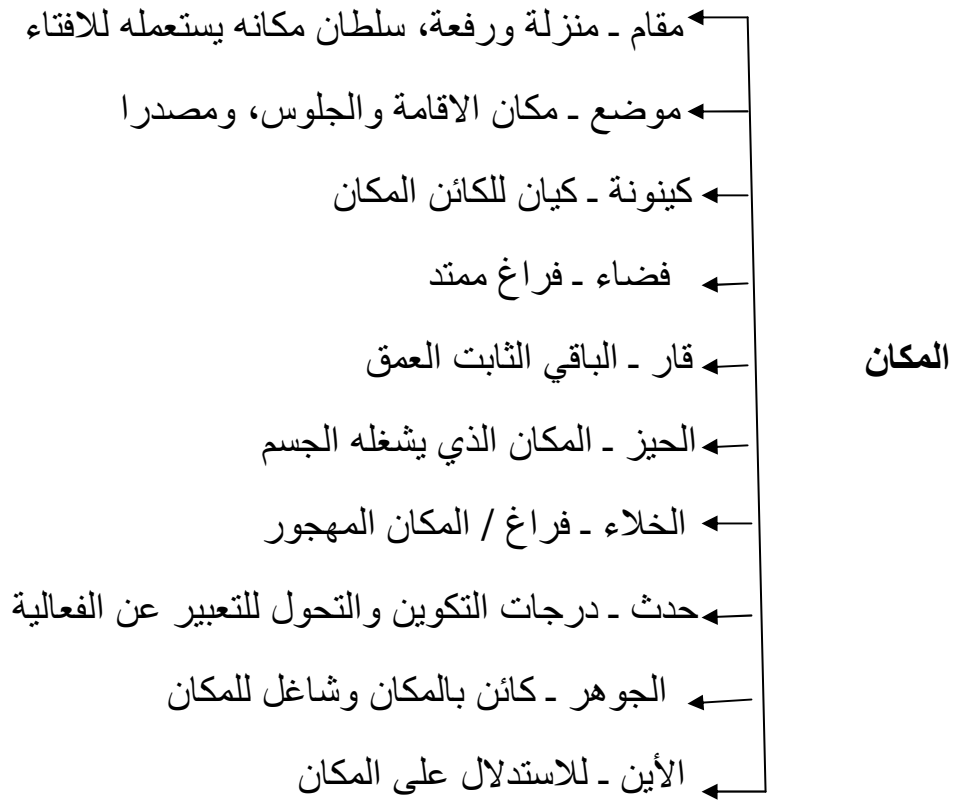
ينجذب الانسان نحو الأمكنة المختلفة، ولها دور هام في حياة الانسان فمعايشة المكان أمر ضروري لكل فرد في حياته، حيث إن الكون قد أحيط بالمكان، فعندما يعايش المرء مكانا جميلا تبقى في ذهنه ذكريات جميلة من ذلك المكان فيميل إليه ويشعر فيه نوعا من الطمأنينة والحماية والعكس صحيح، فسلسلة الإحباطات التي يعايشها المرء في مكان ما تجعل من ذلك المكان مكانا عدوانيا لا يستطيع الانسان أن يبقى فيه، وهكذا يتخذ الانسان دائما أمام الامكنة موقفا إيجابيا أو سلبيا (1) .

إن المكان في اللغة هو من أهم المفردات التي تطرقت إليها المعاجم اللغوية العربية، وفيما يخص تعريف المكان في اللغة وفق المخطط أدناه (2) :

(1) رقية رستم بورملكي - فاطمة شيرزاده: مرجع سبق ذكره، ص56 .

(2) القسم المعماري جامعة العلوم والتكنولوجيا: " الزمان والمكان في العمارة الاسلامية بين التأثير والتأثر"، مجلة العلوم والتكنولوجيا 2 ، المجلد 12، وهران، (2007) ، ص5 .

الفصل الأول ماهية المكان في الرواية



تعريفات المكان في اللغة (1)

أما المصطلحات المقاربة للمكان من حيث المفهوم هي :

1 - الامتداد :

ويرجع إلى المدة، وهي لغة " الغاية من الزمان والمكان "، وقد ورد المصطلح فلسفيا على أنه : " جزء من المكان، وهو متناه" ، أما في الفلسفة الحديثة فيعد " الامتداد جزءا من المكان " كقولهم : الامتداد خط محدود مثلا، وتكون نسبة الامتداد في هذه الحالة إلى المكان كنسبة المدة إلى الزمان .

2 - البيئة :

وهي لغة من " أبأت بالمكان " : أقمت به، أما اصطلاحا فيختلف مفهومها باختلاف الميادين التي تستخدمها، ففي ميدان العلوم البحتة هي " القشرة الأرضية والغلاف الحيوي " (2) .

(1) القسم المعماري جامعة العلوم والتكنولوجيا: مرجع سبق ذكره، ص5 .

(2) غيداء أحمد سعدون شلاش: " المكان والمصطلحات المقاربة له - دراسة مفهوماتية - "، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية 2 ، المجلد 11 (2011)، ص254 .

الفصل الأول — ماهية المكان في الرواية

أما في ميداني علم الاجتماع و علم النفس فتطلق اللفظة على مجموع الظروف والعوامل الخارجية التي تعيش فيها الكائنات الحية، وتؤثر في العمليات الحيوية التي تقوم بها .

وقد أشار الدكتور أحمد الشايب* (1896 - 1976) إلى أن لفظة البيئة في الدراسات اللغوية والأدبية تدل على مجموع العوامل المكانية والزمانية الأصلية أو الطارئة التي تتوافر في بقعة ما، ويتكون منها جميعاً، فالبيئة بهذا الحد حاوية للمكان بمدلوله الجغرافي فضلاً عن الزمان والتيارات الاجتماعية .

3 - الحيز :

وهو من الألفاظ المرادفة أو المتعلقة بلفظة المكان التي حظيت باهتمام دارسي المكان في الأدب، وهو في اللغة من " التحوز: التلبث و التمكن " ، والحوز من الأرض أن يتخذها رجل، ويبين حدودها فيستحقها فلا يكون فيها حق معه، وبهذا فإن مصطلح الحيز مقتصر على ماتحد له حدوداً مميزة، وهناك رأي آخر يعد " الحيز: المكان، وهو مأخوذ من الحوز أي الجمع "، وبهذا أيضاً يشير الحيز إلى المكان المحدد لا المكان المطلق، وإن كان يصعب تحديد أبعاده بالنسبة للإنسان، في حين خص ديكارت* (rene descartes) " 1596 - 1650 " " الحيز " بالسطح الداخلي للجسم على خلاف الامتداد الذي يمثل السطح الخارجي له .

ويرى الباحث كريم رشيد الذي حاول فك الإشتباك الاصطلاحي بين المكان والحيز، إن الحيز يشير إلى الصلة بين الأجسام داخل المكان، وهو فراغ ذو ثلاثة ابعاد ليس كالمكان الممثل لسطح ذي بعدين .

4 - الخلاء :

وهو صفة من صفات المكان، ففي اللغة : " خلا المكان والشئ يخلو خلوا وخلاء، وأخلى إذا لم يكن فيه أحد ولاشئ فيه " .

والخلاء عند الفلاسفة من " خلو المكان من كل مادة جسمانية تشغله "، وبذلك يكون الخلاء صفة للمكان، في حين يرفض ابن رشد اتصاف المكان بالخلو مفرداً لذلك بحثاً معمقاً (1) .

*أحمد الشايب :شاعر مصري من مؤلفاته " النقد الأدبي "، " تاريخ النقائض في الشعر العربي " .

*رينيه ديكارت : فيلسوف وعالم رياضي من مؤلفاته " مبادئ الفلسفة "، " مقال في المنهج " .

(1) غيداء أحمد سعدون شلاش: مرجع سبق ذكره، ص254 - 256 .

الفصل الأول _____ ماهية المكان في الرواية

5 - الفسحة :

لغة من " السعة "، بيد أن الباحث أنطوان المقدسي يذهب إلى أن دلالة هذا اللفظ تقود إلى النظر للمكان وعلاقته مع ما يحيط به، ذاهبا إلى أن أول من انتبه إلى مفهوم الفسحة هم الجغرافيون عند إنتقالهم في القرن العشرين من الجغرافية الطبيعية المكانية إلى الجغرافية البشرية حيث تتحول الأشياء إلى علائق فيما بينها وبين البشر.

6 - الفضاء :

في اللغة : " هو الخالي الفارغ الواسع من الارض "، أما في اصطلاح المحدثين فقد تجاوز معنى السعة والخلو للمكان، إذا استقصى الدكتور إبراهيم جنداري هذا المصطلح في الكتب اللغوية والفلسفية والأدبية، و خرج بحصيلة مفادها أن " الفضاء أداء يشتمل على المكان والزمان لا كما هما في الواقع، ولكن كما يتحققان داخل النص مخلوقين ومحورين من لدن الكاتب، ومسهمين في تخصيص واقع النص، وفي نسج نكهته المميزة "، ويختص هذا التعريف بالفضاء الأدبي إن صح التعبير ليتلاءم والسياق الذي ورد فيه " (1)، وقد حدد جيرار جينيت * (Gerard Genette) أربع فضاءات قائمة في صلب التكوين الأدبي :

- فضاء اللغة : فاللغة نظام من العلاقات المميزة، يكتسب فيه كل عنصر صفته من موقعه داخل النظام، ومن العلاقات الأفقية والعمودية التي يقيمها بالعناصر القريبة والمجاورة .

- فضاء الكتابة : تعتمد الكتابة على التأثيرات البصرية للخط والتبويب، فهي لاتندرج وفق خط الزمن الطبيعي بل تتداخل فيها المقاطع المتباعدة وتتواصل، وتفرض النظر إلى الكتاب كوحدة تامة لا تنحصر في العلاقات الأفقية (النظمية - النحوية - التسلسلية) بل تمتد إلى العلاقات العمودية (الاستبدالية - المعجمية)، حيث يظهر الانتظار والتوقع والتذكير والمنظور، وهذا ما يجعل القارئ يجول في الكتاب في كل اتجاه ويحوّله إلى عمارة كاملة .

- فضاء التعبير : لا تؤدي الكلمة في العبارة الأدبية معنى بسيطا ومباشرا، بل كثيرا ماتزدوج لتؤدي معنيين : حقيقي ومجازي، ظاهر وباطن، مباشر ورمزي، هذه الصور الأدبية هي الشكل الذي يتخذه فضاء التعبير، وهي رمز فضاء اللغة في علاقتها بالمعنى (2).

(1) غيداء أحمد سعدون شلاش : مرجع سبق ذكره، ص 256 - 257 .

* جيرار جينيت : ولد في باريس من مؤلفاته " الناسخ والمنسوخ "، " الرواية والبيان " .

(2) لطيف زيتوني : مرجع سبق ذكره، ص 127 .

الفصل الأول _____ ماهية المكان في الرواية

- فضاء الأدب: يتمثل في الإنتاج الأدبي ككل، أي كنتاج ضخم يتجاوز حدود العصور والجغرافيا، وقد تكون الصورة الأوضح هي التي تمثلها المكتبة العامة، حيث نتاج الشعوب والعصور مبذول أمام الناس في الحاضر، يتصفحونه كما يحتاجون (1).

أما الدكتور عبد الرحيم مراشدة (1955) فقد استقصى مفهوم الفضاء في الفلسفة العربية وغير العربية، وخرج بحصيلة مفادها أنه مصطلح جامع لمفومات المكان والزمان والخلاء والأبعاد جميعا، فالمكان بهذا المفهوم جزء من الفضاء الشمولي، وقد أشار إلى هذا الرأي العديد من الباحثين غيره.

7 - المحل والموضع :

وهما لفظان مرادفان للمكان، فالمحل لغة " حل بالمكان يحل حلولا ومحلا ... وهو نقيض الارتحال " والموضع لغة جمعه " المواضع " واحدها موضع .

أما اصطلاحا فلم يختلف استخدام هذين اللفظين عن استخدام لفظة " المكان " في الدراسات الأدبية، حتى أن الدكتور محمد عابد الجابري يرى أن " المكان والموضع والمحل كلها بمعنى واحد " (2).

وقد ورد أيضا المكان في القرآن الكريم، ويحمل دلالات ومعاني متنوعة منها :

- مايدور حول معنى الموضع أو المحل كقولة تعالى في سورة مريم " الآية 16 " : " واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا " (3)، أي موضعا أو محلا شرقيا عن أهلها أو عن بيت المقدس (4).

- منها ماجاء بمعنى " بدل " مثل قوله تعالى في سورة يوسف " الآية 78 " : " قالوا ياأيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدها مكانه إنا نراك من المحسنين " (5).

(1) لطيف زيتوني : مرجع سبق ذكره، ص127 .

(2) غيداء أحمد سعدون شلاش : ص257 .

(3) القرآن الكريم، سورة مريم : الآية 16 .

(4) غيداء أحمد سعدون شلاش: ص242 .

(5) القرآن الكريم، سورة يوسف : الآية 78 .

الفصل الأول ماهية المكان في الرواية

- بينما وردت في مواضع أخرى بمعنى المنزلة كما في قوله تعالى في سورة مريم " الآية 75 : " قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا مايوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكان واضعف جندا "(1) .

أما بالنسبة لمفهوم المكان عند الفلاسفة فقد أخذ مفهوم المكان يحتل أهمية في أبحاث الفلاسفة فأفردوا له مكان خاصة في معظم المؤلفات، وإن اختلف أصحابها في تحديد مفهوم محدد له، وهذا المفهوم شغل فكر الفلاسفة منذ أفلاطون (plato) " 427 ق. م - 347 ق. م " إلى وقتنا الحاضر، ومازالت الدراسات الفلسفية حوله كثيرة وغير منقطعة، فقد قسم أرسطو طاليس المكان إلى قسمين " عام و خاص " فالعام هو الذي فيه الأجسام كلها، والخاص هو أول ما فيه الشيء، وهو الذي يحويك وحدك، ويشكل المكان العام مجموعة من الأماكن الخاصة، أما المكان الخاص فلا يحوي أكثر من جسم في زمان واحد (2) .

وقد اتخذ المفهوم الاصطلاحي للمكان بعدا فلسفيا مع الفلسفة اليونانية، ويعد أفلاطون (plato) أول من صرح به استعمالا اصطلاحيا إذ عده حاويا وقابلا للشيء .

وبعد أفلاطون (plato) أخذ الاهتمام به يتزايد حتى عده أرسطو (aristotle) " 384 ق. م - 322 ق. م " ثالث خمسة أشياء مشتملة على الطبائع كلها، وهي العنصر والصورة والمكان والحركة والزمان، وعد المكان عرضا لا جوهر، واعتبر المكان أنه الحدود الداخلية غير المتحركة للشيء المحتوى فافتراض بذلك وجود الشئية لتحديد المكان الذي يحويها وعده غير متحرك ، أما المكان عند إقليدس فهو ثلاثة أبعاد هي الطول والعرض والعمق .

وفيما يتعلق بتصورات الفلسفة الإسلامية للمكان فقد صنف حسن مجيد الربيعي آراء الفلاسفة العرب قبل ابن سينا إلى اتجاهات ثلاثة هي :

الأول : يذهب إلى أن المكان " سطح الجسم الحاوي " ، وبه قال الكندي " 801 - 865 م " والفارابي وإخوان الصفا وفلاسفة بغداد (3) .

(1) القرآن الكريم، سورة مريم : الآية 75 .

(2) خالدة حسن خضر " المكان في رواية الشماعية لعبد الستار ناصر "، مجلة كلية الآداب 102 ،العراق، ص116 .

(3) غيداء أحمد سعدون شلاش: ص246 .

الفصل الأول ماهية المكان في الرواية

الثاني : وهو ما صرح به أبوبكر الرازي " 865 - 965 م " إذ يرى أن المكان بعد لامتناه، وقد ميز نوعين من الأماكن **أولهما**: الكلي أو المطلق، وهذا يساوي الخلاء ولا يوجد فيه متمكن ، **وثانيهما** المكان الجزئي، وهذا ما لا يمكن تصوره بدون متمكن لكنه لا ينتهي بنهاية الجسم، بل هو موسع في الجهات، وفي هذا دلالة متطورة للمكان تخرج عما كان عند عرب الجاهلية و صدر الإسلام، إذ كان المكان عندهم دوما هو مكان الشيء، لا ينفك عن المتمكن فيه حتى على صعيد التصور، والاتجاه الثالث هو اتجاه ابن الهيثم " 965 - 1039 م " الذي عارض فيه سابقه، في حين أيده الفيلسوف ابن رشد " 1126 - 1198 م "، إذ برهن على ما مفاده أن " المكان هو النهايات المحيطة بالجسم الطبيعي " كما عده بعدا متخيلا يحيط بالجسم، تكون أبعاده وأبعاد الجسم واحدة، وهي مفاهيم متطورة تدل على عمق تفكير الفلاسفة العرب والمسلمين، إذ أن تحديد مفهوم المكان بهذه الصورة لم تتبلور في أوربا إلا في القرن السابع عشر الميلادي في عصر **غاليلي وإسحاق نيوتن (newton)** " 1642 - 1727 "، أما المكان عند ابن سينا " 980 - 1037 م " فيعني : " السطح الباطن من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي " (1) .

وفي الفلسفة الحديثة والمعاصرة شغل المكان اهتمام الفلاسفة، فرأى **إيمانويل كانط (Immanuel kant)** " 1724 - 1804 " أن المكان يصدر من تنبيه العقل، وأن هناك تصورا مسبقا لدى الانسان عن طبيعة المكان (2) ، و **ليبنتز** يرى أن المكان ليس مطلقا، وليس جوهرًا، ولا عرضا لجوهر، بل هو علاقة ولا يمكن أن يكون جوهرًا (3) .

يقول جميل صليبا " 1902 - 1976 " في معجمه الفلسفي : " إن المكان هو الموقع وجمعه أمكنة وهو المحل المحدد الذي يشغل الجسم " ، وينشغل الفلاسفة بمصطلح آخر هو الامتداد الذي هو الصورة الجسمية المتحققة في حال كون الجسم الموجود في المكان، في حين يرى فلاسفة آخرون أن الامتداد جزء وهو متناه، أما المكان فغير متناه (4) .

(1) غيداء أحمد سعدون شلاش : ص 246 - 247 .

(2) **صالح علي الشتيوي** " تجليات المكان في شعر علي بن الجهم "، مجلة جامعة دمشق ، العدد 2 ، المجلد 24، سوريا، 2008 ، ص 198 .

(3) **عبد الرحمن بدوي**: **موسوعة الفلسفة**، (ج1، ط1 ؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر : بيروت، 1984)، ص 262 .

(4) **خالدة حسن خضر**: مرجع سبق ذكره، ص 117 .

الفصل الأول _____ ماهية المكان في الرواية

وهكذا فإن الفلاسفة والمفكرون ينطلقون في محاولاتهم لتحديد مفهوم المكان من منطلق يقوم على عد المكان أبعاد هندسية وحجوما ملموسة تخضع للقياس والتغيير، ويقبل المكان احتواء مايفرض عليه من ذوات وأشياء تقع فيه أو تنفصل عنه (1).

وهكذا فإن للمكان حضورا طاغيا في مباحث الفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والإنثروبولوجيا، ولقد تفصد الاهتمام بالمكان عن الدراسات الوضعية التي نظرت إلى الظاهرة الاجتماعية باعتبارها شيئا ذا أبعاد مكانية وزمانية، لا تختلف عن الظواهر العلمية الأخرى في الطبيعيات مثلا، وعمل الاجتماعيون الوضعيون على تأكيد هذا التوجه، منذ أوجست كونت (1798 - 1893)، وإميل دور كايم (1858 - 1917)، وتين (1828 - 1893).

لقد أخذ الاهتمام بالمكان يكتسب طابعه العلمي، حين غدا امتداد للجسد عند المفكرين الاجتماعيين والنفسانيين على حد سواء، فقد قارن عالم الاجتماع " أ . ت . هل " (EDWARD T. HALL) هذا الحيز بالفقاعة التي يعيش الفرد بداخلها، ويحملها أينما ذهب، وهو فضاء تتعدد وظائفه ومعانيه بالنسبة لصاحبه وللآخرين، وكل اعتداء على جزء منه قد يولد ثورة، وقد يكون في صورة أخرى دلالة على التقرب والمحبة، وهي معان لا تنشأ من المكان أصالة بقدر ما تنشأ عن الظواهر المصاحبة له (2)، وفيما يتعلق بالمكان في العمل الفني فقد اتخذ عند غاستون باشلار (Gaston bachelard) " 1884 - 1962 " مكانة متميزة، إذ ليس المقصود بالمكان الموضوع الذي إليه ينسب العمل الفني، وليس مجرد حدود جغرافية أو أبعاد هندسية تمنح له لتحدد موضعه، ففكرة المكان في العمل الفني كما يطرحها باشلار تتجاوز المكان الذي يتسم بالخصوصية القومية أو يحمل ملامح المدينة المألوفة، إذ أنه يتعلق بجوهر العمل الفني، فهو الصورة الفنية ذاتها، التي يتواصل معها المتلقي مما يجعله قادرا على استحضار الصورة المتخيلة لذكريات مكانه الأليف (3).

(1) وجدان توفيق الخشاب " وتحدث الوقائع في المكان - قراءة للمكان في قصص (غانم الدباغ) "، مجلة دراسات موصلية العدد 21 ، فصلية محكمة ، العراق (2008) ، ص2 .

(2) حبيب مونسي : فلسفة المكان في الشعر العربي - قراءة موضوعاتية جمالية - ، (منشورات اتحاد الكتاب العرب : دمشق ، 2001)، ص11 - 13 .

(3) غاستون باشلار: جماليات الصورة، تر: غادة الإمام، (ط1؛ دار التنوير: لبنان، 2010) ، ص289 .

الفصل الأول _____ ماهية المكان في الرواية

إن المكان عند باشلار (**bachelard**) هو " المكان الأليف، وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة إنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا، فالمكان في الأدب هو الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة "، ويرى باشلار أن هناك مستويين للمكان " معمارية المكان " التي تعني الأبعاد الهندسية والجغرافية للمكان، إذ يتجلى المكان في المقام الأول بوصفه كيانا هندسيا واقعيا، بحيث يعد البعد الجغرافي للمكان ممثلا لأبعاده الموضوعية المميزة له، أما المستوى الثاني فهو " شاعرية المكان " التي تظهر وتجسد المكان الأليف أو بيت الطفولة الذي يتسم بقيم الحماية والأمان والاحتواء.

وحسب باشلار (**bachelard**) يرى أن بيت طفولتنا يمكن أن يصبح بيتا حلميا نمارس فيه أحلام يقظتنا، ويتشكل فيه خيالنا وتتكون فيه ذكرياتنا، وهذا يوضح لما يطلق باشلار على البيت الحلمى اسم " بيت الذكرى " إنه ذلك المكان الذي نحي فيه ذكرياتنا.

يقول " بيير ألبير بيرو " أن : " نبض العالم يخفق خلف بابي " فالبيت هو ركننا في العالم، وأن ساكن البيت يضفي عليه حدودا .

تعلق الفنانة الكندية " تشار دافيز " على كتاب " شاعرية المكان " بقولها : " عن طريق تغير المكان، وعبر ترك أحاسيس ومشاعر المرء المألوفة، يدخل المرء في علاقة اتصال بالمكان كصورة شعرية الذي يجدد ويبدع نفسيا لأننا لا نغير المكان، ولكن بالأحرى نغير طبيعتنا " ، ويؤكد باشلار (**bachelard**) على هذا الطابع الانساني لبيت الطفولة الذي نشعر إزاءه بالألفة والحميمية، هذا البيت الذي نظرت إليه الكاتبة " أوليفر روتجر " بوصفه بيت البيوت الذي يعد مأوى لنا ولأحلام يقظتنا ولذكرياتنا، فإنه البيت الذي يعد بمثابة كما تصفه هي نفسها : " كتاب أطفال، قصيدة من عائلتي، الذي فيه أظهر كيف يمكننا أن نحمل بيت العائلة معنا، وتحت أضلعنا، ولذلك يمكننا أن نعود إليه مرة أخرى بخيالنا عندما نحتاجه و نشتناق إليه " .

يقول الباحث نيل ليتش : " نسافر إلى أرض الطفولة لنجلب ماضيها لقيم معنا في البيت الجديد " (1) ، ومنه يعرف غاستون باشلار (**bachelard**) المكان الفني بأنه : " المكان الذي يمكننا الإمساك به، والذي يمكن الدفاع عنه ضد القوى المعادية، وهذا المكان الذي يجذب نحو الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب " (2) .

(1) غاستون باشلار : مرجع سبق ذكره، ص 290 - 306 .

(2) صالح علي سليم الشتيوي: مرجع سبق ذكره، ص 198 .

الفصل الأول ماهية المكان في الرواية

وقد نشأ الاهتمام بالمكان الفني نتيجة لظهور بعض الأفكار والتصورات التي تنظر إلى العمل الفني على أنه مكان تحدد أبعاده تحديدا معينا، وقد أسفرت سلسلة من التجارب عن أن مفهوم العالمية نفسه ينطوي على خاصية مكانية واضحة بالنسبة لمعظم الناس، وهكذا يمكن القول إن بنية مكان النص تصبح نموذجا لبنية مكان العالم، وتصبح قواعد التركيب الداخلي لعناصر النص الداخلية لغة النمذجة المكانية، ولكن المسألة لا تنتهي عند هذا الحد، فالمكان هو مجموعة من الأشياء المتجانسة من " الظواهر، أو الحالات، أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة... الخ"، تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة / العادية " مثل الاتصال، المسافة... الخ" (1).

المبحث الثاني : المقاربة الاصطلاحية للمكان والفضاء

تشير دلالة الفضاء إلى المكان الواسع من الأرض، والفعل فضاء، يفضو فهو فاض، وفضا المكان وأفضى إذا اتسع، وأفضى فلان إلى فلان إذا وصل إليه، وأصله أن صار في فرجته وفضائه وحيزه، والفضاء الخالي الواسع من الأرض .

أما الفضاء اصطلاحا فهو الحيز الزماني الذي تظهر فيه الشخصيات والأشياء متلبسة بالأحداث تبعا لعوامل عدة تتصل بالرؤيا الفلسفية، وبنوعية الجنس الأدبي، وبحساسية الكاتب أو الروائي (2).

وقد عرف مصطلح الفضاء اختلافا بين النقاد العرب والمسلمين، سواء من الناحية الشكلية أو المضمونية، فترجم ترجمات مختلفة فغالبا هلسا يترجمه بالمكان، وذلك حين نقل كتاب " غاستون باشلار (g. bachelard)" إلى العربية تحت عنوان "جماليات المكان"، أما الجزائري عبد المالك مرتاض فقد أثر استخدام مصطلح " الحيز " وعرفه بأنه: " وسط منسجم وغير محدود تقع فيه الأشياء اللطيفة الشديدة الحساسية " في حين يجمع عبد الحميد بورايو بين لفظتي " حيز " و " مكان " في دراسته المعنونة " المكان والزمان في الرواية الجزائرية"، ولكن المصطلح الشائع في مختلف الدراسات العربية هو مصطلح " الفضاء " بإعتباره أكثر تعبيراً عن مفهوم المصطلح الغربي (3).

(1) سيزا قاسم - محمود البطل وآخرون: مرجع سبق ذكره، ص 68 - 69 .

(2) بان صلاح الدين محمد حمدي " الفضاء في روايات عبد الله عيسى السلامة"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية العدد 1، المجلد 11، العراق (2011)، ص 198 - 199 .

(3) فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، (ط1؛ منشورات الاختلاف: الجزائر، 2010)، ص 124 .

الفصل الأول ماهية المكان في الرواية

يرى شريط أحمد شريط أن أول من أدخل مصطلح الفضاء إلى المعجم العربي الحديث هو سعيد علوش في عمله الموسوم " معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة "، وقد أورد فيه التعاريف التالية : - يستعمل مصطلح الفضاء في السيميائيات كموضوع تام يشتمل على عناصر غير مستمرة، إنطلاقاً من إنتشارها لهذا جاءت تكون موضوع الفضاء، إعتبار كل الحواس، في سيميائية الاهتمام بالفاعل كمنتج ومستهلك للفضاء .

- يفترض الفضاء إعتبار كل الحواس في سيميائية الاهتمام بالفاعل كمنتج ومستهلك للفضاء.

- يقابل موضوع الفضاء جزئياً، سيميائية العالم الطبيعي، لأن إكتشاف الفضاء هو تكون مباشر لهذه السيميائية .

- بالإضافة إلى مفهوم الفضائية والتحديد الفضائي تستعمل السيميائية السردية والخطابية " الفضاء الإدراكي " (1) .

ومع اختلاف الدارسين في تحديد مفهوم المصطلح اختلفت تسمياته، فالبعض أطلق عليه اسم " الحيز المكاني "، والبعض الآخر المكان وآخرون الفضاء، وراح كل باحث يدافع على تسميته ويبرز دلالاته الأدبية، مع ان مصطلح الفضاء أشمل و أوسع من مصطلح المكان، والمكان هو مكون الفضاء، ورغم المصطلحات المتداولة في الدراسات الحديثة ممارسة وتطبيقاً، إلا أن مصطلح الفضاء عد من أبرزها شيوعاً وأغناها لأنه أوسع في المعنى وأعمق دلالة، ولهذا كان الفضاء من أبرز مكاسب الحركة النقدية الحديثة الغربية (2)، وهكذا فإن الباحثين يختلفون في إطلاق المصطلحات على ما يخص المكان فحميد لحميداني يميز بين مصطلحي فضاء ومكان قائلاً: " الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء، ومادامت الأمكنة في الروايات غالباً ما تكون متعددة، ومتفاوتة، فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعاً إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية، فالمقهى أو المنزل، أو الشارع أو الساحة، كل واحد يعتبر مكاناً محدداً، لكن إذا كانت الرواية تشمل هذه الأشياء كلها فإنها جميعاً تشكل فضاء الرواية " (3) .

(1) فيصل الأحمر: مرجع سبق ذكره، ص125 - 126 .

(2) كلثوم مدقن " دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب الصالح " مجلة الأثر العدد 4 ، جامعة ورقلة، (2005)، ص140 .

(3) وجدان توفيق الخشاب: مرجع سبق ذكره، ص3 .

الفصل الأول ماهية المكان في الرواية

أما أنطوان المقدسي (1914 - 2005) فيقترح هذه الملاحظات : " أقول (مكان) حيث تتواجد الأشياء بذاتها، و(فسحة) حيث العناصر رموز و خطوط وأشكال مستقلة هي وعلاقتها ببعضها، ومن علائق الأشياء ببعضها إلى الأشياء ذاتها، وتوحي (فضاء) بوعاء ضخم بوسعك أن تضع فيه ماشئت من أشياء ورموز وصور " (1) .

ويشير حسن نجمي * " 1960 " إلى هذا التداخل في كتابه " شعرية الفضاء " بحيث يرى ضرورة تمييز الحدود بينهما، غير أن هذا التمييز لا يتضح تماما إلى درجة أن صاحب الكتاب ينتهي إلى عدم ضرورة الإلحاح على هذا الفصل فيقول : " إذا كان الفصل بين الفضاء و المكان ضروريا، ويستلزم كل قراءة نقدية جدية القيام به فإنه بالمثل أن لا نلح عليه كثيرا، بل الأفضل أن نكتفي بتشغيل الفضاء على امتداد الدراسة، ولا نذكر المكان إلا حيث ينبغي أن يذكر "، وينتهي الباحث إلى نقد ترجمة كتاب غاستون باشلار (bachelard) " جماليات المكان " حيث رأى أن الخلط بين مصطلح الفضاء والمكان بدأ في الخطاب النقدي من هذه الترجمة التي عربت الفضاء بالمكان .

إن كل الملاحظات التي أبداها الكاتب في محاولته الفصل بين المكان و الفضاء تؤكد درجة تداخلهما، بحيث يصعب فصلهما في الدراسة التطبيقية، ومن هنا فإن توظيف أحدهما أو توظيفهما معا يخضع لما يتطلبه السياق، وهو ماذهب إليه حسن نجمي في دراسته التطبيقية التي تلت المقدمة النظرية بحيث أطلق مصطلح الفضاء على ما له علاقة بوجود متخيل أي تحول المكان في النص الأدبي إلى متخيل يعكسه الصورة، وهذا ما يوحي عنده أن الفضاء ليس المكان رغم التداخل المشار إليه، وفي الوقت نفسه يربطه بالمكان، فهو عندما يتحول إلى الدراسة التطبيقية يتحدث عن أمكنة بعينها أو يمزج بين المصطلحين عندما يقول: " إن الفضاء بالأساس يكون مكانا لمجرى، وكل عنصر يتموقع فيه يبدي حركية هي بصورة ما باطنية "، أما حميد لحميداني في كتابه " بنية النص السردي " فقد رأى أن مصطلح المكان / الفضاء من مكونات الخطاب الروائي، وفي معرض تعريفه بالفضاء في الحكى يذهب إلى أن الدراسات لم تقدم مفهوم واحد للفضاء (2) .

(1) وجدان توفيق الخشاب: ص141 .

* حسن نجمي : شاعر ومؤلف وصحفي مغربي، يشغل حاليا منصب مدير هيئة الكتاب والمطبوعات في المغرب .

(2) محمد علي البنداق " الفضاء المكاني في رواية حقول الرماد (المواصفات - المكونات - الوظائف) "، المجلة الجامعة العدد 15 ، المجلد الثالث ، (2013)، ص6 .

الفصل الأول ماهية المكان في الرواية

ولذلك فهو عبارة عن مجموعة آراء مختلفة يحصرها في نقاط أساسية تتوزع على :

- الفضاء كمعادل للمكان .

- الفضاء النصي .

- الفضاء الدلالي .

- الفضاء كمنظور .

وهو يحصر العنصر الاول في تصور خاص بالمكان، حيث يفهم في هذا التصور على أنه الحيز المكاني ويطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي .

وبعد هذه الأشكال التي قدمها لتصورات الفضاء يعود لمحاولة التمييز بين الفضاء والمكان، ويتفق مع حسن بحراوي في الإشارة إلى صعوبة التمييز بين الفضاء والمكان إلا أن الفضاء ليس المكان، ومادامت الدراسة تركز هي الأخرى على العمل الروائي فإن الكاتب يتحدث عن المكان في الرواية الذي يفترض فيه أن يتغير بتغير الأحداث وتطورها في الرواية .

وبالنسبة لحسن بحراوي فإنه في كتابه " بنية الشكل الروائي " يختار دراسة المكان باعتباره عنصرا حكاثيا، ويرى كذلك أن الفضاء مكون أساسي، وهكذا يظل يجمع بين المصطلحين دون تمييز أحدهما من الآخر إلا في حدود التعريفات والشواهد التي أوردها حيث إرتبط عنده المكان بالفضاء على إعتبار أن لكل مكان فضاءاته، وفي تحليله لتلك الفضاءات نجده يعتمد على مقاربات باشلار (bachelard) و لوتمان (yuri lotman)" 1922 - 1993 " .

وعندما يتحدث عن أماكن الإقامة الاختيارية فإنه يشير إلى أهمية فضاء البيت باعتباره مصدرا للمعاني والقيم، كما يستعمل في موضع آخر شعرية المكان، وأثره في تشكيل الفضاء إذ أنها تسلم بتأثير الوجود الانساني على تشكيل الفضاء الروائي، وتلح خصوصا على أهمية رؤية الانسان للمكان الذي يأهله، ورغم استعماله للمصطلحين فإنه لايعطي تعريف محدد لهما، بل يطلق أحيانا الفضاء على المكان والعكس، كما يعتبر تشكل الفضاء الروائي من الكلمات أساسا، فيجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات المكانية التي تستطيع اللغة التعبير عنها، فهو يتحدث عن فضاء لا يوجد إلا من خلال الكلمات (1) .

الفصل الأول ماهية المكان في الرواية

المبحث الثالث: أنواع المكان

اختلف النقاد والباحثون المعاصرون في تعيينهم أنواع المكان في الرواية، فقد ميز غالب هالسا بين ثلاثة أنواع للمكان بحسب علاقة الرواية به، وهي :

- المكان المجازي :

وهو موجود في رواية الأحداث، وهو محض ساحة لوقوع الأحداث لا يتجاوز دوره التوضيح، ولا يعبر عن تفاعل الشخصيات والحوادث .

- المكان الهندسي :

وهو الذي تصوره الرواية بدقة محايدة، تنقل أبعاده البصرية، فتعيش مسافاته، وتنقل جزئياته، من غير أن تعيش فيه .

- المكان بوصفه تجربة :

تحمل معاناة الشخصيات وأفكارها ورؤيتها للمكان، وتثير خيال المتلقي فيستحضره بوصفه مكانا خاصا متميزا⁽¹⁾ .

أما باختين (mikhail bakhtin) " 1895 - 1975 " فقد حدد أربعة أنواع للمكان، وأعطى لكل منهم اسما خاصا بحسب دوره في الرواية، وهو المكان الداخلي، والمكان الخارجي، والمكان المعادي، واطلق على الرابع فضاء العتبية، وهو المكان الذي يكون ممر للبطل عبر تنقلاته، كما أنه يتمثل في الأبواب، والنوافذ، والحافلات، والسيارات والبواخر، ويقصد باختين (bakhtin) بالمكان الخارجي المكان المفتوح الذي يخرج عن نطاق غرفة في مقابل البلد، والبلد الأصلي في مقابل بلد الغرفة، وهو مكان رحب وواسع، غالبا مانجد الفرد يتفاعل معه إيجابيا، أما المكان الداخلي فهو يمثل الانسداد والانغلاق، كما أنه يتصف بالتحديد، وهذا لا ينفى انفتاحه على أمكنة أخرى، فالغرفة المحددة مساحتها قد تنقل عبر جدرانها إلى عوالم و أمكنة عديدة، من خلال أثاثها أو رسوماتها أو المجسمات التي تحويها، وبالتالي تعطيها دلالة تفوق دلالتها الأولى، والمكان المعادي عند باختين (bakhtin) هو المكان الشبيه بالداخلي أو الضيق، ينكس على حالة الفرد نفسيا فهو المكان الذي يحس بالضيق فيه وإن كان واسعا⁽²⁾ .

(1) أحمد زياد محبك: متعة الرواية - دراسة نقدية، (ط1؛ لبنان: دار المعرفة، 2005)، ص33 .

(2) كلثوم مدقن : مرجع سبق ذكره، ص141 .

الفصل الأول _____ ماهية المكان في الرواية

وقد استنبط بروب (vladimir prop) " 1895 - 1970 " من خلال دراسته لمجموعة من القصص الشعبية ثلاثة أطر مكانية:

- **المكان الأصل**: وهو عادة مسقط الرأس ومحل العائلة ، لكن الإساءة تحدث في هذا المكان فيترتب سفر الفاعل بحثا عن وسائل الاصلاح والإنجاز، ولذلك أطلق **غريماس (GREIMAS) " 1917 - 1992 "** على هذا المكان مصطلح " مكان الأنس الجاف " ، فالمكان الحقيقي في الحكايات الشعبية هو مكان الاختبارين الترشيحي والحاكم.

- **المكان الذي يحدث فيه الاختبار الترشيحي**: وهو مكان عرضي ووقتي، وقد اطلق عليه **غريماس (GREIMAS)** مصطلح " المكان الترشيحي الجاف "، وهو يعني بذلك أن هذا المكان مجاور للمكان المركزي الذي يقع فيه الإنجاز المقوم للإفتقار .

- **المكان الذي يقع فيه الإنجاز**: أو الإختبار الرئيسي، وقد أسماه **غريماس (GREIMAS)** (باللامكان، مبينا بذلك أن الفعل المغير للذات و الجوهر لا يمكن أن يتجسم في إطار مكاني معين فمكان الفعل هو اللامكان أي نفي للمكان بوصفه معطى ثابت .

وقد حدد مور ورومير أربعة من الأماكن حسب السلطة التي تخضع لها هذه الأماكن:

- مكان أمارس فيه سلطتي " عندي "، ويكون بالنسبة لي مكانا حميما و أليفا .

- مكان يشبه الأول في نواح كثيرة، ولكنه يختلف عنه من حيث أنني أخضع فيه بالضرورة لوطأة سلطة الغير " عند الآخرين "، ومن حيث أنني لا بد أن أعترف بهذه السلطة .

- أماكن ليست ملكا لأحد معين " عامة "، ولكنها ملك للسلطة العامة النابعة من الجماعة " الدولة " والتي يمثلها الشرطي المتحكم فيها، ففي كل هذه الأماكن هناك شخص يمارس سلطته وينظم فيها السلوك، فالفرد ليس حرا، ولكنه " عند " أحد يتحكم فيه .

- المكان اللامتناهي ويكون هذا المكان بصفة عامة خاليا من الناس، فهو الأرض التي لا تخضع لسلطة أحد، مثل الصحراء التي لا يملكها أحد، وتكون الدولة وسلطانها بعيدة بحيث لا تستطيع أن تمارس قهرها فيها، وكثيرا ماتفتقد هذه الأماكن إلى الطرق والمؤسسات الحضارية وإلى ممثلي السلطة، ولذا تكتسب دلالات خاصة، غير أن مثل هذه الأماكن أخذت في الانقراض بفعل تطور وسائل الاتصال⁽¹⁾ .

الفصل الأول _____ ماهية المكان في الرواية

وللمكان في العمل القصصي المتخيل مكانة ذلك أن " الأحداث حتى ولو كانت داخلية حميمية تحتاج إلى إطار تدور فيه، وكلما كان المكان ضيقاً مغلقاً يرتبط بمعان غير مستحبة كالسجن والقبر والموت، وكلما اتسع وانفتح كان رمزاً للحرية والحياة والانطلاق، وغالباً ما توجد علاقة بين ضيق المكان وإنغلاقه وانفتاحه واتساعه " (1).

ويعمد حسن بحراوي في دراسته للمكان إلى نظرية لوتمان، فجاء تقسيمه للمكان على النحو الآتي :

1 - أماكن الإقامة الاختيارية :

درس فيها فضاء البيوت .

2 - أماكن الإقامة الإجبارية :

درس فيها فضاء السجن ورموزه وتوقف عند فضاء الزنزانة والفسحة والمزار بوصفها مكونات لفضاء السجن .

3 - أماكن الانتقال :

وتنقسم في طروحاته إلى :

- أماكن الانتقال العمودية: فضاء الأحياء الشعبية الراقية .

- أماكن الانتقال الخصوصية : مثل فضاء المقهى (2) .

وسواء تحدد المكان أو أصبح لامكان، نراه يتسع تارة، ويضيق تارة، ويفتح تارة، ويغلق تارة، وهناك من النقاد أمثال غاستون باشلار (BACHELAR)، من تحدث عن جدلية المفتوح والمغلق، وعن اتساع المكان إلى أقصى حد أو اقتصاره على جسم الإنسان، ولكل هذا معناه الرمزي المستمد من خيال الإنسان (3) .

(1) محمد نجيب العمامي: البنية والدلالة في الرواية - دراسة تطبيقية -، (ط1؛ السعودية : مطبوعات نادي القصيم الأدبي، 2013)، ص55 .

(2) وجدان توفيق الخشاب: مرجع سبق ذكره، ص6 - 7 .

(3) سامية أسعد ، " القصة القصيرة وقضية المكان "، مجلة فصول 4، المجلد الثالث، مجلة فصلية، مصر، (1986)، ص179 .

الفصل الأول _____ ماهية المكان في الرواية

ومن الدراسات النقدية العراقية التي اعتمدت على الطروحات النقدية لباشلار (BACHELAR)، دراسات ياسين النصير، وقد اتخذت النتاج الروائي العراقي ميدانا لتطبيقاتها، فقسم النصير المكان كالتالي :

- **الأمكنة المفترضة** : وهي أمكنة تخيلية افتراضية تنشأ بتأثير الخيال كاشفة عن مصداقية الواقع المفترض

- **الأمكنة الموضوعية** : ويعني بها السجون والمنافي والأمكنة النائية، وغالبا ماتستخدم كعكس لتتكرر الأماكن المفتوحة .

- **أمكنة البعد الواحد** : وهي أماكن عامة، لا تكتسب هوية مميزة لأنها تمنح فرصة للاهتمام ببناء الشخصيات وأفكارها .

ويعتمد تقسيم الأمكنة إلى مواقع اصغر :

- موقع تنافذي .
- موقع حركي .

فالموقع التنافذي يتخذ منه الراوي نافذة يفتح على مواقع اخرى، وهذا الانفتاح معتمد على الحركة الذهنية للراوي في استحضاره أماكن أخرى حسب المثير، فالشخصية تتموقع في هذا المكان، وتنش ذاكرتها التصويرية لتتنقل الأماكن الأخرى إلى القص، فهو موقع يكاد يكون قارا للشخصية، أما الموقع الحركي فهو موقع تتحرك في مجالاته المختلفة شخصية رئيسية فتتنقل مثلا من البيت إلى الدائرة وعلى أي مكان آخر (1) .

وعادة مايرتبط المكان على مستوى الرمز ببعض المشاعر والأحاسيس، وبعض القيم السلبية والإيجابية، فهناك أماكن محببة هي بمثابة المرفأ والملاذ، أهمها البيت رغم أنه مكان مغلق، وهناك أماكن مكروهة عادة ماتكون مغلقة وضيقة، يشعر فيها الانسان بالاختناق واليأس، وأهم هذه الأماكن السجن الذي تتباين صورته، قد يكون السجن مكانا للأسر بمعنى الكلمة، وقد يكون سجن النفس البشرية، أو القبر الذي يكون عادة تحت الأرض، أو الحجرة وقد يقتصر المكان على عين الانسان، والعين مكان أساسي يطل منه الانسان على العالم، لكنها أيضا تعكس العالم، وكل مايعتمل في النفس البشرية، وكأنها مرآة، أي أنها المكان الذي ينقل ما في الداخل إلى الخارج : الحب، والحقد، والرغبة، والإعجاب ... الخ (2) .

(1) وجدان توفيق الخشاب : ص 7 - 8 .

(2) سامية أسعد: مرجع سبق ذكره، ص 180 - 186 .

المبحث الرابع : مفهوم المكان في الرواية

إن كلمة رواية **novel** مأخوذة من اللغة الإيطالية **novella**، والتي كانت تشير في الأصل إلى حكايات أو قصص قصيرة، ففي القرن الرابع عشر ظهرت مجموعة من القصص باللغة الإيطالية والفرنسية نذكر منها على سبيل المثال **boccaccio's decameron** (1) .

هكذا نجد أن هذه التسمية الانجليزية المشتقة من اللغة الإيطالية يقصد بها من الناحية الأدبية شيء جديد وقصير **a little new thing**، وقد كانت عبارة عن حكايات قصيرة لاقت رواجاً وشعبية في إيطاليا في القرن الرابع عشر، وبعض هذه الحكايات كانت ذات طابع جدي ومثير، وبعضها كان مبتذلاً، ولكن أفضل هذه المجموعات هي **boccaccio's decameron** (2)، وفي القرن السابع عشر أصبحت هذه التسمية تشير بصفة عامة إلى قصص الحب المحرمة والمحظورة **illicit love**، أما في القرن الثامن عشر أصبحت تستخدم للدلالة على أعمال نثرية طويلة في كتب ذات أحجام مختلفة، وهنا تبدأ الإشارة إلى نشأة الرواية الحديثة، وكانت غالباً عدد كلماتها تتراوح ما بين " 30.000 - 100.000 ألف كلمة " كحد أقصى خاصة مع ظهور الطباعة مما ساهم في زيادة الأعمال الأدبية وانتشارها على نحو واسع (3)، ومن أهم المؤلفين والكتاب والروائيين الذين اشتهروا ما بين القرنين الثامن عشر والقرن التاسع عشر نذكر على سبيل المثال: **هنري جيمس henry james** وروايته " أجنحة الحمامة "، و**صامويل ريتشاردسون samual richardson's** وروايته " بامبلا "، و**جين أوستن jane austen's** وروايتها " إيما "، و**فرجينيا وولف virginia woolf's** وروايتها " أورلاندو "، و**تولستوي tolstoy** وروايته " الحرب والسلام " (4) .

(1) TOM MCARTHUR: **THE OXFORD COMPANION TO ENGLISH LANGUAGE** (USA: OXFORD UNIVERSITY PRESS,1992), P711 .

(2) M.H.ABRAMS: **A GLOSSARY OF LITERARY TERMS** (EDITION 7, USA: HEINLE ET HEINLE 1999), P190 .

(3) TOM MCARTHUR : P 711 .

* أو ما يعرف بالأدب الإباحي **pornography**، أو روايات إباحية **pornographic novels**، ومنها أعمال جون كلياند وروايته سنة 1748، وهذه الرواية تتكلم عن حياة البغاء أو المتاجرة بالشرف .

(4) M.H. ABRAMS : P 190 .

الفصل الأول — ماهية المكان في الرواية

ويكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، لا لأنه أحد عناصرها الفنية، أو لأنه المكان الذي تجري فيه الحوادث، وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى مسرح يحتوي كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات، وما بينها من علاقات، ويمنحها المناخ الذي تفعل فيه، وتعبّر عن وجهة نظرها، ويكون هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية، والحامل لرؤية البطل، والممثل لمنظور المؤلف . إن المكان ليس عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا، ويتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله .

كما أن المكان في الرواية أيا كان شكله ليس هو المكان في الواقع الخارجي، ولو أشارت إليه الرواية، أو عنته، أو سمته بالاسم، إذ يظل المكان في الرواية عنصرا من عناصرها الفنية .

إن المكان في الرواية هو المكان اللفظي المتخيل، أي المكان الذي صنعه اللغة انصياعا لأغراض التخيل الروائي وحاجاته، فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقوماته الخاصة وأبعاده المتميزة .

إن المكان في الرواية قائم في خيال المتلقي، وليس في العالم الخارجي، وهو مكان تستثيره اللغة، من خلال قدرتها على الإيحاء، ولذلك كان لابد من التمييز بين المكان العالم الخارجي والمكان في العالم الروائي .

وإذا كانت نقطة انطلاق الروائي في التقاليد الواقعية هي الواقع، فإن نقطة الوصول ليست هي العودة إلى عالم الواقع ، إنها خلق عالم مستقل، له خصائصه الفنية، التي تميزه عن غيره، وعندما يستعين الروائي بوصف المكان أو تسميته، فهو لا يسعى إلى تصوير المكان الخارجي، وإنما يسعى إلى تصوير المكان الروائي، وأي مطابقة بينهما، هي مطابقة غير صحيحة، وما استعانة الروائي بالتسمية أو الوصف إلا لإثارة خيال المتلقي .

في الرواية التقليدية يظهر المكان مجرد خلفية تتحرك أمامها الشخصيات أو تقع فيها الحوادث، ولا تلقى من الروائي اهتماما أو عناية، وهو محض مكان هندسي .

أما في الرواية الرومانتيكية يظهر المكان معبرا عن نفسية الشخصيات، ومنسجما مع رؤيتها للكون والحياة وحاملا لبعض الأفكار (1) .

الفصل الأول _____ ماهية المكان في الرواية

وفي هذه الحالة يبدو المكان كما لو كان خزاناً حقيقياً للأفكار والمشاعر، حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر فيها كل طرف على الآخر.

إن الوضع المكاني في الرواية يمكنه أن يصبح محددًا أساسياً للمادة الحكائية، ولتلاحق الأحداث و الحوافز، أي إنه سيتحول في النهاية إلى مكون روائي جوهري، ويحدث قطيعة مع مفهومه كديكور.

وهكذا يدخل المكان في الرواية عنصراً فاعلاً، في تطورها، وبنائها، وفي طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه، وفي علاقات بعضها ببعضها الآخر (1).

إن المكان الروائي بصيرة وليس بصراً، وإدراك شعوري وليس إدراكاً حسيًا، فهو إذن موضوع يبدعه الروائي بجميع أجزائه، ويحمله طابعاً مطابقاً بطبيعة الفنون الجميلة ولمبدأ المكان نفسه، وهكذا يصبح عنصراً مهماً يسهم في خلق المعنى داخل الرواية، ويمكن للروائي أن يحول عنصر المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال من العالم.

ويوضح يوري لوتمان (yuri lotman) العلاقة المتبادلة بين الإنسان والمكان إذ يقول : " إن المكان حقيقة معاشة، ويؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه، فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي، ويحمل المكان في طبيعته قيماً تنتج من التنظيم المعماري كما تنتج من التوظيف الاجتماعي فيفرض كل مكان سلوكاً خاصاً على الناس الذين يلجأون إليه، والطريقة التي يدرك بها المكان تضيف عليها دلالات خاصة إذ أن المكان الروائي هو المكان الذي صنعته اللغة فهو يختلف عن المكان الطبيعي الذي يمثل المكان الحقيقي .

وبعض الروائيين يمتلك من القدرات التمويهية العالية " القدرة الفنية " التي تؤهله لتحويل المكان القابع في الأبنية اللغوية والكتابية، إلى ما يشبه المكان الواقعي بحيث يجعل القارئ، يعيش فيه ويتنفس هواءه، وقد ينفّر منه ويشعر بالاختناق أو الخوف أو الرهبة.

فعلى سبيل المثال كازانتزافي في روايته الخالدة " المسيح يصلب من جديد " فقد حول القرية الصغيرة النائية المنسية على خريطة الجغرافيا، إلى قرية تخلصنا، وكأن القارئ يتجول بين طرقها وشوارعها وكنيستها، وهو ما فعله نجيب محفوظ في روايته " زقاق المدق " فقد جعل القارئ يرى المكان المكتوب ويتلمسه كما لو كان مادياً ماثلاً للعيان (2).

(1) أحمد زياد محبك: ص 31 .

(2) خالدة حسن خضر: ص 115 - 116 .

الفصل الأول ماهية المكان في الرواية

إن أول من اهتم بدراسة المكان هم الفرنسيون، وذلك في فترة الستينات والسبعينات وأبرز هؤلاء " جورج بولي "، و " جليير دوران "، و " رولان برونوف "، وكان أبرز من أسهم بفعالية في لفت الانتباه لمصطلح المكان في بنية نسج العمل الإبداعي هم الباحثون يوري لوتمان (lotman)، و " روبير بيتش "، و " هيرمان ميير "، ومن أبرز المؤلفين في دراسات المكان الروائي " هنري ميتران "، وذلك بإصداره كتاب " خطاب الرواية " عام 1980، وهناك المكان النصي الذي يحدد طبيعة تعامل القارئ مع النص الروائي، وأكثر المهتمين به ميشال بيتور (michle bittor)، وقصد به الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها باعتبارها أحرفا طباعية على مساحة الورق من تصميم الغلاف، وترتيب الفصول، وتغيرات الكتابة وتشكيل العناوين، وهذا المكان لا تتحرك فيه الأبطال إنما تتحرك فيه عين القارئ⁽¹⁾.

وهكذا فإن الدراسات المتعلقة بدراسة الفضاء المكاني في النص، تعتبر حديثة العهد، وهي لم تتطور بعد لتشكل نظرية متكاملة، وفي هذا الصدد يقول هنري ميتران (h. mittern) : " لا وجود لنظرية مشكلة من فضائية حكائية، ولكن هناك مسارا للبحث مرسوم بدقة، كما على هيئة نقط متقطعة " (2)، وهكذا فإن الألفاظ في تواردها وتشكلها تعمل على نقل المكان من عالم القاص التخيلي إلى عالم القارئ عبر الشخصيات، لأن شخصيات القاص لا يمكن أن تتحرك إلا و تضمها أمكنة تكون أرضية لواقعها وأحداثها، وبهذا يصبح المكان وسطا ديناميكيا تتجسم من خلاله تلك الشخصيات التي تأخذ في مسارها خطا مزدوجا متناقضا، فهي حينما في حال من التداخل والتشابك، وحينما آخر تتنافر و تتباعد فتبدو في شكل وحدات درامية منفصلة، توحى بمدى ما تتميز به كل شخصية من استقلال واكتفاء، وبالتالي فهي رهينة عالمها الخاص أو تجربتها الانسانية الفريدة، إن القاص وهو يعمل على تشييد عالمه القصصي ومكوناته ومنها المكان، يراعى أن يكون بناؤه له منسجما مع مزاج وطبائع شخصياته، وأن لا يتضمن أية مفارقة، وذلك لأن من الازم أن يصبح هناك تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي تعيش فيه أو البيئة التي تحيط بها، حيث يكون بإمكان بنية الفضاء الروائي أن تكشف عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية، بل قد تساهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليه⁽³⁾.

(1) كلثوم مدقن: مرجع سبق ذكره، ص 140 - 143 .

(2) عبد الحق منصور بوناب " واقعية المكان في قصص السائحي " حوليات الأداب واللغات العدد 1، دورية علمية أكاديمية محكمة، جامعة المسيلة (2013)، ص 253 .

(3) وجدان توفيق الخشاب: ص 2 - 3 .

المبحث الخامس: العلاقة بين المكان والوصف في الرواية

الوصف **DESCRIPTION** هو تمثيل الأشياء أو الحالات أو المواقف أو الأحداث في وجودها ووظيفتها، قد يحدد الراوي الموصوف في بداية الوصف ليسهل على القارئ الفهم والمتابعة، أو يؤخر تحديده إلى نهاية الوصف للتشويق، وهناك طرق مختلفة للوصف منها:

- بيان الحال الذي يقوم على تعيين الخصائص الأساسية للموصوف (الشكل، اللون، الحجم ...)، أو على تعداد أجزائه .

- بيان العلاقة الذي تقوم على تعيين موقع الموصوف داخل المكان والزمان أو على مقارنته بموصوفات أخرى من خلال التشبيه والاستعارة وصيغ الموازنة والنفي.

يمكن للوصف أن يتناول الموصوف مجملًا ثم جزءًا جزءًا، ويمكن أن يتناوله من حيث سماته أو وظائفه، ويمكن أن يتناوله بصورة مفصلة أو مقتضبة، موضوعية أو ذاتية، تقليدية أو إبداعية تعطي النص طابعًا محددًا أو تساهم في رسم الشخصية أو تقدم لموضوع أو ترمز إلى حدث آتٍ، ويسعى الوصف إلى تحاشي الجمود بخلق حركته الخاصة، وتأتي الحركة من تعدد مستويات الزمن (أولاً ... ثم ... بعد ذلك)، ومن إعطاء الحياة لمن لا يملكها (تشخيص الأشياء)، ومن تعدد مستويات النظر بسبب تعدد الجهات (شرق، غرب ، أمام، وراء)، أو بسبب تقدم الشخصية صوب الموصوف أو تقدم الموصوف صوب الشخصية .

فغاية الوصف هي إعادة تكون الوضع **SITUATION** داخل السرد واستيعابه كسياق لغوي، أما الفرق بين الوصف والسرد فهو أن السرد يستعيد تعاقب زمن الأحداث من خلال تعاقب زمن الخطاب، بينما الوصف محكوم باستخدام التعاقب لنقل صورة الأشياء التي تظهر دفعة واحدة في المكان، ويؤدي الوصف في الرواية إلى بطء الحركة، وأحيانًا إلى التوقف⁽¹⁾ ، ومن الأغراض الأولية للوصف تصوير انطباع حسي والدلالة على مزاج نفسي، كما يحاول الوصف أن يجعل تلك الانطباعات الحسية أو الحالات الوجدانية مماثلة عند القارئ من ناحية حيويتها ومشابقتها للواقع، ويكون الوصف في أشد أحواله فاعلية حينما يستخدم في فقرات قصيرة تسهم في الشرح والسرد⁽²⁾ .

(1) لطيف زيتوني: مرجع سبق ذكره، ص 171 - 172 .

(2) إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، (تونس: التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، 1986 ، ص 407 .)

الفصل الأول _____ ماهية المكان في الرواية

إذا الوصف هو عرض وتقديم الأشياء والكائنات والحوادث⁽¹⁾ ، وقد تعرض الوصف للاحتقار منذ العصور القديمة إلى اليوم من قبل مصنفات البلاغة الكلاسيكية وتعليم الأشكال الخطابية، والأمر لم يكن كذلك في التراث العربي، فالوصف وإن لم يعتبر من الأغراض الرئيسية كالممدح والهجاء والرثاء فقد إعتبر من مزايا الشعر، لقد تعرض للقدح لما فيه من نقص تأسيسي، وفي الشعرية والسيميائية الأدبية حاز الوصف على اهتمام ب . هامون فانطلق من قراءة متأنية لروايات زولا (zola) و جول فارن اقترح ب . هامون نظرية عامة لما حدده بأنه " أثر ما للنص " أو " للسائد "، وهو أول من أبرز إجراءات افتتاح اللحظات الوصفية وغلقتها، وإجراءات التصوير المجازي⁽²⁾ .

الوصف هو الوسيلة الأساسية في تصوير المكان، وهو محاولة لتجسيد مشهد من العالم الخارجي في لوحة مصنوعة من الكلمات، والكاتب عندما ما يصف لا يصف واقعا مجردا، ولكنه واقع مشكل تشكيلا فنيا، إن الوصف في الرواية هو وصف لوحة مرسومة، أكثر منه وصف واقع، و الوصف يتناول الأشياء، في رسمها بوساطة اللغة، وفي الرواية يظهر الوصف إلى جانب السرد، بل لعله من الممكن استخراج أسطر أو مقاطع خاصة للوصف .

إن للوصف وظائف متعددة منها التصوير الفني الجميل للمكان، ومنها التمجيد للشخصية التي ستخترق المكان، فمن خلال وصف المكان يتم التمهيد لمزاج الشخصية وطبعها، فيصبح المكان تعبيرات مجازية عن الشخصية، لأن بيت الانسان امتداد له، فإذا وصفت البيت، فقد وصفت الانسان، والوظيفة الثالثة التي يؤديها الوصف، وخاصة عندما يقف عند التفاصيل الصغيرة، وهي وظيفة إيهامية، إذ يدخل العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخيلي، فيشعر القارئ أنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال، ويخلق إنطباعا بالحقيقة أو تأثيرا مباشرا بالواقع، وما الوصف في الحقيقة إلا صورة ذهنية متباينة بين الروائيين سواء أكانت محاكاة لمكان حقيقي أم كانت متخيلة، وهي مرتبطة بمنظور الراوي، أي وجهة نظره في علاقة المكان بالحوادث والشخصيات، ومرتبطة بقدرة الروائي التعبيرية⁽³⁾ .

(1) جيرالد برنس: المصطلح السردى، تر: عابد خزاندان، (ط1؛ مصر: المجلس الأعلى للثقافة، 2003)، ص58 .

(2) باتريك شارودو، دومنيك منغو: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القاهر المهيري، حمادي صمود(تونس: المركز الوطني للترجمة، 2008)، ص161- 162 .

(3) أحمد زياد محبك: مرجع سبق ذكره، ص35 - 38 .

الفصل الأول _____ ماهية المكان في الرواية

ويمكن تقسيم الوصف من خلال علاقته بالسرد إلى :

أ - **الوصف البسيط** : ويعطي من خلال جملة وصفية مهيمنة قصيرة لا تحتوي إلا على بعض التراكيب الوصفية الصغرى، ويكون ذلك حين يتم الاستغناء عن الأجزاء و الصفات، وهذا النوع من الوصف لا يستطيع مجاوزة دلالاته المسخر لها من قبل السرد .

ب - **الوصف المركب** : ويقصد به الوصف الذي ينصب على الشيء الموصوف " العنوان " الذي ينتمي إليه السرد الروائي، شريطة كون هذا الوصف معقدا، إما بفصل الانتقال من الموصوف إلى أجزائه ومكوناته، أو بالانتقال إلى المحيط الضام لهذا الموصوف أو المضموم ضمنه .

ونهض التعامل مع المكان في القصة على منظورات شتى، تنوعت بتنوع الاتجاهات والتصورات التي يحملها كل منهم عن وظيفة المكان داخل القص، وبالتالي يمكن أن يؤديه وصف المكان من وظائف إنطلاقا من أن المكان يساهم في إنتاج المعنى داخل الرواية، ولا يكون دائما تابعا أو سلبيا، بل إنه أحيانا يمكن للروائي أن يحول عنصر المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال من العالم⁽¹⁾ ، ويعتبر المذهب الواقعي هو مذهب يهدف إلى الوصف، والوصف هو تثبيت لصورة الحياة / المجتمع في لحظة ما إلا أن الواقع متغير دائما، وقد كان **غوستاف كوربي** " 1819 - 1877 " يصر دائما على اتخاذ معطيات المعيش واليومي وما يلتصق بالتجربة اليومية والمعاناة الحسية مصدرا لإلهامه، وإكتسب هذا الانكباب على الواقع أشكالا عديدة للتمظهر، ويميز النقاد و مؤرخو الفن بين ثلاثة اتجاهات رئيسية: الواقعية النقدية و الواقعية الاشتراكية و الواقعية الطبيعية، ويعد أول هذه الاتجاهات امتداد للبحث العلمي العقلي التجريبي الذي بدأه فلاسفة القرن الثامن عشر، وقد ظلت موازية للرأسمالية، تحاول إعطاء صورة عن الحياة المعاصرة هذه الكلمة ذكرها بودلير في مقاله " تصوير الحياة المعاصرة "، وتعد أعمال بلزاك أفضل نموذج يمثل هذا الاتجاه الذي سينعكس من خلال أعمال كثيرين ممن يحسبون على الرومانسية: **ألفريد دي موسي**، **فكتور هيجو (victor hogo)**، **جورج صاند (george sand)**، **تشارلز ديكنز (charles dickens)**، **تولستوي**، و **غو غول**، و **تورغينيف** ، كلهم ظهر في أعمالهم الهاجسان الواقعيان بامتياز: وصف الأمراض الاجتماعية، وفضح الفساد بأصنافه كلها، وكذلك الولوج بالدقة في التصوير و جودة الوصف⁽²⁾ .

(1) وجدان توفيق الخشاب: ص 13 - 17 .

(2) فيصل الأحمر: دراسات في الآداب الأجنبية، (ط1؛ الجزائر: دار الألمعية، 2013)، ص 81- 87 .

الفصل الأول _____ ماهية المكان في الرواية

وقد سميت الواقعية النقدية بالواقعية الأوروبية لأنها شاعت بصورة واسعة في أوربا، بسبب التوافق الفكري بين الروائيين وأصحاب الرؤى الفلسفية المنغمسة في الصراع البرجوازي، ويمثل هذه الواقعية الروائي الفرنسي **جوستاف فلوبير (flaubert gustave)** .

أما الواقعية الاشتراكية فقد كانت تعنى بقضايا المجتمع وتصويب مساره، ويعتبر **مكسيم غوركي** " 1868 - 1936 " رائد أدب الواقعية الاشتراكية حيث يقول " على الكاتب أن يعرف كل شيء، البناء العام للحياة وكل القنوات الصغيرة التابعة له، كل تناقضات الواقع، دراماته و كوميدياته، رفيعه و وضيعه، زيفه و حقيقته "، وعلى هذا النمط تقريبا وضع كبار كتاب الروس رواياتهم، و جاؤوا بأدب يعكس بوضوح طموح الطبقات وصراعاتها ومن أعمالهم " أنا كارنينا " **لتولستوي (tolstoi)**، و " الجريمة و العقاب " **لدستوفسكي (dostoevsky)**، ورواية " الأم " **لمكسيم غوركي (1)** ، وهكذا فإن الدراسات الاشتراكية منحت نهاية القرن التاسع عشر نظرت جديدة صوب البواعث البشرية، وظروف الناس وتحديات الجماعات .

أما الواقعية الطبيعية المرتبطة بأعمال **إميل زولا (zola)** و تنظيراته فقد أشار زولا و تلامذته بكثرة إلى فكرة الربط بين التفكير الطبيعي في الرواية وفي ملامح الشخصيات، وأصول النفسيات ومنابع السلوك البشري بحكم كونها المادة الخام للأدب، وبين التفكير العلمي " البيولوجي أساسا "، وهذا المبدأ الذي أعلن عنه زولا سير رواياته الكثيرة التي تشكل مواقع كثيرة على رقعة بيولوجية غنية هي أفراد عائلة فرنسية اسمها هو اسم السلسلة " آل روغون - ماكار "، وكل رواية تعرض تجربة منفردة وتبرهن المنطق العلمي القائل بأن مصير الإنسان تشترك فيه وراثته مع تكوينه البيولوجي (2) ، وفيما يتعلق بالواقعية في إنجلترا فقد كانت مقارنة بفرنسا وروسيا أقل علمية وترابط حتى عام 1880، حيث اتجه النقاد والروائيون هناك إلى النظر أنه من واجب الرواية أن تكون معبرة عن واقع الحياة المعاشة، والتركيز على البحث على السلوك الأخلاقي للناس في المجتمع (3) .

(1) ياسين الأيوبي: واقعية الأدب في رواية - أنا كارنينا - لتولستوي، (ط1؛ لبنان: الدار النموذجية ، 2001)، ص 15 - 19 .

(2) فيصل الأحمر : دراسات في الآداب الأجنبية، مرجع سبق ذكره، ص 83 - 86 .

(3) PETER CHILDS. ROGER FOMIER : THE ROUTLEDGE DICTIONARY OF LITERARY TERMS, (EDITION3,USA:ROUTLEDGE TAYLOR ET FRANCIS GROUP,2006)P 198-199.

الفصل الأول _____ ماهية المكان في الرواية

هكذا نجد أن الواقعية ظهرت لأول مرة في فرنسا مع بلزاك (balzac) ثم انتشرت في إنجلترا مع جورج إليوت (george eliot) وروسيا مع مكسيم غوركي، وفي الولايات المتحدة الأمريكية مع ويليام دين هوليز (william dean howells) حيث يعتبر أول كاتب واقعي في الولايات المتحدة الأمريكية⁽¹⁾.

إن وصف المكان يعد من أهم وسائل تحديد صورة المكان، إن للوصف في القصة الواقعية وظيفة بالغة الأهمية والخطورة وصلت إلى ذروتها على أيدي بلزاك (balzac) وفلوبير (flaubert)، فاكتسب الوصف وظيفة جديدة يمكن تسميتها بالوظيفة التفسيرية، ذلك أن مظاهر الحياة الخارجية من مدن ومنازل وأثاث وأدوات وملابس... الخ، وتذكر لأنها تكشف عن حياة الشخصية النفسية، وتشير إلى مزاجها وطبعها، وأصبح الوصف عنصرًا له دلالة خاصة و اكتسب قيمة جمالية حقة .

يؤكد فلوبير (flaubert) أن الوصف لا يأتي دون مبرر، بل إن كل مقطع من مقاطعه يخدم بناء الشخصية، وله أثر مباشر أو غير مباشر في تطور الحدث، وهكذا تلتحم كل العناصر المكونة للنص القصصي، وتكتمل الوحدة العضوية للعمل وتصبح الأجزاء المختلفة مرآة تعكس بعضها بعضًا، لتقديم الصورة المجسمة .

والقاص يستعين بالوصف لتجسيد صورة فنية، صورة مكانية من الأشياء الموجودة في المكان، وهي تكون من أجمل طرق التعبير الفني لأنها تعتمد على حالة من التوافق والانسجام المتفاعل بين لغة الروائي، وتهيبء للمتلقى حالة من المعرفة، تتعلق بمظاهر العالم الخارجي المنطبعة في ذاكرته، وخبرته، وتمكنه من ربط معارفه بالوجود الخارجي⁽²⁾، وهكذا يلعب المكان دورًا وظيفيًا هامًا في تكوين حياة الانسان، وترسيخ كيانه وتثبيت هويته وتأطير طبائعه، و بالتالي تحديد تصرفاته وتوجهاته وإدراكه للأشياء، وهذا لكونه أشد التصاقًا بحياة الانسان وأكثر تغلغلًا في كيانه، وذلك لأن المكان يدرك إدراكًا حسيًا، يبدأ بخبرة الانسان بجسده، هذا الجسد (المكان) هو مكنم القوى النفسية والعقلية و العاطفية والحيوية للكائن الحي، ليتعداه بعدها إلى الحيز الذي يحتويه، ثم إلى البيت، ثم غيره من الأمكنة⁽³⁾.

(1) IRA MARK MILNE : ,P 654.

(2) محبوبة محمدي محمد آبادي: جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية، (سوريا : منشورات الهيئة العامة للكتاب، 2011)، ص15 - 16 .

(3) محبوبة محمدي محمد آبادي: مرجع سبق ذكره، ص92 .

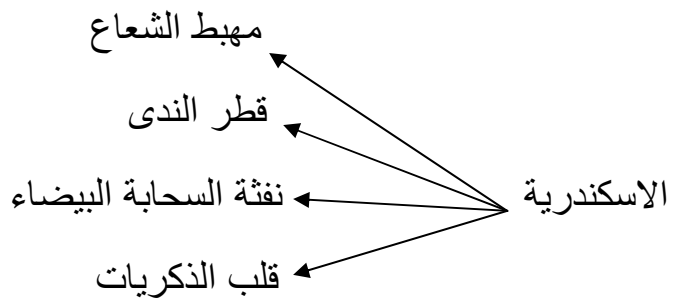
الفصل الأول _____ ماهية المكان في الرواية

وتتراتب أهمية هذه الأمكنة التي تحتوي لشدة أو ضعف علاقة الإنسان بها، ولعل مايفسر أهمية المكان أكثر، ويعكس شدة تغلغله في كيان البشر هو أنه المنطلق لتفسير كل تصرف، فيحكم على سلوك الانسان من خلال تواجده في المكان فضلا عن تعبير كل مفاهيم الإنسان الأخلاقية والنفسية والسلوكية... الخ ، بتعبير مكاني كأعلى وأسمى، وواسع الصدر أو ضيقه، ويمد المكان الانسان بتصوراته ومفاهيمه ويكون دعامة أساسية لكل تصور إنساني (1) .

فتولستوي (tolostoi) مثلا في رائعته " أنا كارنينا " عرض للحياة الريفية في مواضع كثيرة من روايته، فوصف الحقول والمواشي والمزارع ومواسم الحصاد، وأيام الحرثة و البذار، كما لو كان يؤرخ أو يدرس دراسة طبيعية، إجتماعية، جغرافية، ولكنه درس ممتع ومشوق، تداخل فيه الصدق العياني بالصدق الفني الشعوري، فتوثقت العلاقة ما بينه وبين القارئ الذي كان يجد في كل زاوية ريفية أو مشهد طبيعي زراعي، فسحة انشراح في عالم الانسان النقي البهي (2) .

نذكر مثلا آخر لنجيب محفوظ في روايته ميرامار حيث يصف الإسكندرية : " الاسكندرية أخيرا. الاسكندرية قطر الندى ، نفثة السحابة البيضاء، مهبط الشعاع المغسول بماء السماء، وقلب الذكريات المبللة بالشهد والدموع " .

هنا يحدد محفوظ المكان بذكر الاسم، إنها الاسكندرية، والوصف المعتمد جاء شعريا تعبيريا يعتمد على الإيحاء، وذلك بهدف التأكيد على أهمية المكان، إنها وقفة شاعر على المكان تعطي أكثر من صورة فنية لمثبه واحد هو الاسكندرية(3) .



(1) محبوبة محمدي محمد أبادي : ص92 .

(2) ياسين الأيوبي : مرجع سبق ذكره، ص163 .

(3) صدوق نور الدين: البداية في النص الروائي، (ط1؛ سوريا : دار الحوار للنشر والتوزيع، 1994 (، ص 49 .

الفصل الأول — ماهية المكان في الرواية

ومن خلال هذا العرض للفصل الأول الذي ضم خمس مباحث نجد أن المكان يمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب، فهو يلعب دورا مهما وبارزا في حياة الانسان، إنه يرتبط به ويسكنه ويصبح مع الأيام جزءا لا يتجزأ من كيانه، ويكون الأمر أكثر أهمية مع الانسان / الفنان، لأن المكان يهيمه بدرجة كبيرة، لأنه ليس فقط الحيز الذي يعيش فيه بل هو أيضا الملهم الأول الذي يمنحه القدرة على الإبداع .

ومما لا شك فيه أن الكاتب أكثر إرتباطا بالمكان من غيره، لأنه يشكل بالنسبة إليه حالة إبداعية، فعلاقة الكاتب بالمكان الأول أو المدينة الأولى علاقة خاصة ومميزة، فهي المنبع الذي يمتد في أعماقه ويمنحه باستمرار مادة للكتابة والذكرى، ويبدو أن المدينة الحلم كلما إبتعدت جغرافيا أصبحت أقرب إلى الكاتب .

فالإبداع لا يعيش خارج المكان، ومنه يغدو هذا المكان بطلا من أبطال العمل الإبداعي كما أنه قد يغدو أكثر في عمل الفنان من أجمل المناظر حتى وإن كان يفتقد إلى الجمالية في حقيقته .

والمكان الروائي لا يتشكل إلا باختراق الأبطال له، ومن هنا تبرز الأبعاد الاتصالية للمكان فالأمكنة تتشكل من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال ومن المميزات التي تخصهم وهذا ما سيتم التطرق إليه في الفصل الثاني حيث سيتم التركيز على البعد الاتصالي للمكان .

**الفصل الثاني: توظيف المكان كبعد اتصالي في النص
الروائي**

المبحث الأول : توظيف المكان في النص الروائي

المبحث الثاني : دلالات المكان في النص الروائي

**المبحث الثالث : الشخصية الروائية والبعد الاتصالي
الثقافي للمكان**

**المبحث الرابع : الأبعاد الاتصالية الدلالية للمكان
المفتوح والمغلق في النص الروائي**

المبحث الخامس : المكان في النص الروائي الجزائري

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

الفصل الثاني: توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

تناولنا في الفصل السابق ماهية المكان وتطرقنا إلى تعريف المكان، وأنواعه ومفهومه في الرواية، وفي هذا الفصل سنتطرق إلى البعد الاتصالي للمكان في الرواية، حيث يلعب المكان في النص الروائي دورا هاما، فهو ليس مجرد ترف يكثُر به الكاتب سواد الصفحات، فالمكان الروائي مختلف تماما عن المكان الذي نعرفه ينتجه المؤلف في النص عن طريق الكلمات، ويجعل منه شيئا خياليا، فهو بناء لغوي يشيده خيال الروائي .

يحمل المكان في جعبته أبعادا دلالية مختلفة أهمها البعد الاتصالي الثقافي سواء أكان مفتوحا أو مغلقا، وهذا ما سنحاول التطرق إليه من خلال هذا الفصل الذي عنوانه توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي، وقد قمنا بتقسيم هذا الفصل إلى خمس مباحث، جاء المبحث الأول بعنوان توظيف المكان في النص الروائي، والمبحث الثاني خصصناه لدلالات المكان في النص الروائي، والمبحث الثالث يتناول الشخصية الروائية والبعد الاتصالي الثقافي للمكان، أما المبحث الرابع فسيتطرق للأبعاد الاتصالية الدلالية للمكان المفتوح والمغلق في النص الروائي، وبالنسبة للمبحث الخامس يتحدث عن المكان في النص الروائي الجزائري .

المبحث الأول: توظيف المكان في الرواية

للمكان أهمية كبيرة في النص الروائي، فهوبنية أساسية من بنياته الفنية، ولا يمكن تصور أحداث قصصية إلا بوجود مكان تنمو فيه وتتشعب، لأن المكان يحتوي على الأحداث ويبنيها ويشعبها، ويحدد المكان في النصوص الروائية مسار الشخصيات، وهو ضروري بالنسبة في الرواية، ويرى أحد الباحثين " أن المكان هو الذي يؤسس الحكى لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة "، ويعد المكان البوابة الأقدر على تمكين القارئ من النفاذ إلى دواخل الروايات واكتناه أعماقها، ومن هنا، فإن تشكل الأحداث وسيرورتها يفترض صوراً جديدة للأمكنة، ويرى بول كلافال أن المكان بالنسبة لقاطنيه يشكل رمزا للأمان، ومصدرا للإعتزاز والتعلق يقول: " المكان هو أحد الدعائم المفضلة للنشاط النموذجي، ينظر إليه من يسكنونه أو من يعطونه قيمة، بطرق مختلفة، يضاف إلى الامتداد الذي يشغلونه، ويتجولون فيه ويستعملونه في فكرهم امتداد يعرفونه ويحبونه، والذي هو بالنسبة إليهم رمز أمان، باعث عزة، أو مصدر تعلق " (1) .

(1) محمد عبد الرحمن يونس " مقارنة نظرية في مفهوم الفضاء الروائي وبنيته و دوره السردى في النص الروائي "، مجلة جامعة ابن رشد العدد 2، دورية علمية محكمة، هولندا (2001)، ص 16-17 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

فوصف الأثاث والأغراض داخل المكان هو نوع من وصف الأشخاص الذي لا غنى عنه فهناك أشياء لا يمكن أن يفهمها القارئ ويحسها إلا إذا وضعنا أمام ناظره " الديكور " ، وتوابع العمل ولواحقه(1) .

الاحساس بالمكان هو ظاهرة حديثة نسبيا في تاريخ القصة، حيث لاحظ **ميخائيل باختين (bakhtin)** أن المدن في القصص الكلاسيكية تشكل بالنسبة للحبكة خلفية يمكن الاستعاضة بواحدة منها عن الأخرى، كما أن أوائل الروائيين الانجليز لم يكونوا أكثر تحديدا بالنسبة للمكان، فلندن في روايات **هنري فليدينج** مثلا، تفتقر إلى التفاصيل المرئية الحية للندن في كتابات **ديكنز (dickens)**، فحين يصل توم جونز إلى العاصمة بحثا عن حبيبته صوفيا، يقول الراوي: " إنه كان غريبا تماما في لندن، ولما كان قد وصل أول ما وصل إلى حي من أحياء المدينة لا يكاد يوجد لسكانه أي صلة ببيوتات هانوفر أو ميدان جروزفونر فقد جال تائها لبعض الوقت ... " .

نجد وصفا للندن من وجهة نظر الاختلافات في الطبقة والمركز بين سكانها، كما يجري تفسيرها من جانب رؤيا المؤلف الساخرة، وليست هناك أي محاولة لجعل القارئ يرى المدينة، أو لوصف أثرها الحسي على شاب يفد إليها لأول مرة من الريف، على عكس مانجده في وصف **ديكنز (dickens)** لجزيرة يعقوب في " أوليفر تويست " : " يتعين على الزائر كي يصل إلى هذا المكان أن يخترق متاهة من الشوارع الخائقة الضيقة الموحلة، التي يحف بها زمرة من أخشن وأفقر الناس الذين يعيشون قريبا من النهر ... " .

قد نشرت رواية " توم جونز " في عام 1749 ، و رواية " أوليفر تويست " في عام 1838، وماحدث بين هذين التاريخين هو الحركة الرومانسية، التي ركزت على أثر البيئة على الإنسان، وفتحت أعين الناس على الجمال السامي للطبيعة، وبعد ذلك للحياة المتجهمة في المدن في عصر الصناعة .

يعتبر **مارتين إيميس** هو من التابعين المتأخرين لسياسة **ديكنز (dickens)** في تصوير العنصر البشع في حياة المدن، فوصفه المبهور والمفزع للمدينة في عصر التصنيع يوحى برؤيا نبوية للثقافة والمجتمع في حالة تحلل ميؤوس منه(2) .

(1) محمد عبد الرحمن يونس: مرجع سبق ذكره، ص 17. (2) ديفيد لودج : الفن الروائي، تر: ماهر البطوطي (ط1؛ القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، 2002) ، ص 66 - 67 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

وأكدت بعض التيارات في الفكر الفلسفي الحديث مثل الظاهرانية أهمية المكان، بل لقد ذهبت هذه التيارات إلى أن الزمان لا وجود له من دون المكان إذ أنه الحركة في المكان والأشياء، وقد اقترب غاستون باشلار (**bachelard**) من هذا المعنى في بعض الأحيان عندما يقول: " نعتقد أننا نعرف أنفسنا من خلال الزمن، في حين أن كل مانعرفه هو تتابع تثبيّات في أماكن استقرار المكان الانساني ".

عبر **دستويفسكي (dostoevsky)** أيضا عن هذا المعنى من خلال الحديث للأمير " ميشكين " في رواية (الأبله) عن ذلك المحكوم عليه بالإعدام، الذي أوقف من النوم في الساعة الخامسة صباحا ليقال له إن موعد إعدامه قد تقرر ليكون في الساعة العاشرة من ذلك الصباح، ويعبر الراوي عن الإحساس بالزمن لدى المحكوم بالإعدام، وعن قياس الزمان بواسطة المكان حين يقول: " لا يزال أمامي من الحياة ثلاثة شوارع، فعندما نجتاز هذا الشارع، فسوف يتبقى شارع ثان، ثم الشارع الآخر الذي يقع في المخبر على اليمين ومتى سنصل إليه إنه عمر طويل ... " ، ويعبر **دستويفسكي (dostoevsky)** بذلك عن الحقيقة القائلة بأن الزمن ليس إلا حالة من حالات الأشياء، وأننا نستخدم المكان لقياس الزمان، وليس أدل على ذلك من دوران الأرض حول نفسها من جهة، وحول الشمس من جهة أخرى ينتج عنه الليل والنهار والفصول والأعوام، هذا فضلا عن أنه يعبر بقوله عن نسبية الزمن في الخبرة البشرية⁽¹⁾.

نجد مثلا الاهتمام بالمكان وتوظيفه في عدد من الأعمال الروائية لكاتب واحد بكثرة في الوطن العربي والاسلامي نذكر منهم الناقد وكاتب القصة والمسرحي والباحث الفلسطيني غسان كنفاني " 1936 - 1972 " الذي اهتم بقضية المكان " الأرض " فسؤال الوجود والهوية يشكل قلب عمل كنفاني الروائي، ويركز غسان منذ عمله الروائي الأول " رجال في الشمس " (1963)، على الإشكاليات المصيرية التي صنعت معنى الوجود الفلسطيني الواسع من خلال اختيار الشخصيات وإخضاعها لعملية تفحص تقضي في النهاية إلى تشكيل المعنى الذي يحاول الروائي إيصاله إلى القارئ، أي القول أن التجارب الفردية للفلسطينيين محكومة مسبقا بواقع الفلسطينيين كشعب استؤصل من أرضه، وأصبح مستحيلا على أفرادهم أن يعيشوا حياتهم، فرواياته تهتم بتقديم إجابة سردية على الخروج الفلسطيني ومواجهة تهديد الموت⁽²⁾.

(1) خالدة حسن خضر: ص 188 - 119 .

(2) فخري صالح " الهوية الوطنية الفلسطينية - غسان كنفاني - "، مجلة العربي العدد 654، شهرية كويتية، الكويت (2013)، ص 77 - 78 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

إن المكان دالة حركية ثقافية لها قوانينها المعرفية، يفصح عن وجوده وفعله من خلال قدرته على التفاعل الحي بين هذه العناصر، ويشارك في تكوينها وبلورتها بما يتناسب ومساحة الحوار وأشكاله والصراع الذي يتشكل في الرواية، ولعل قدرة الروائي المبدع في عملية إنحراف المكان عن وجوده الواقعي إلى متخيل يعطي مديات ثقافية واسعة لإحتمالات كثيرة ينتجها الروائي من خلال السرد، بحيث تتجاوز معطيات الذاكرة، فيحقق بذلك وظائف عديدة، منها مايتعلق بتقنيات النص والسرد والحوار بأنساقه المتعددة الثقافية والدينية... الخ، متزامنا مع الحدث من جهة، وتحقيق التجربة الفنية من جهة أخرى .

إن ثقافة المكان تشكل بنية نصية حية في النص الروائي، له القدرة على تكوين وإنبعاث أفاق ثقافية واسعة لم يعهدها صاحبه من قبل، بفعل حركة الإنسان والتناقضات الحاصلة في المفاهيم الانسانية⁽¹⁾ .

ف نجد أن رواية " نزييف الحجر " للروائي الليبي " إبراهيم الكوني " تشتغل على البعد المكاني الذي يتعلق بالقيمة الجغرافية المهمة للصخر داخل فضاء الصحراء الواسع، فهو المكان الشاهد على تعاقب الحضارات عند شعب الطوارق، لذا اهتم الأديب بظاهرة الربط بين الطبيعة الصماء والثقافة السياحية التي تنتجها لغة النص الروائي.

ففي رواية نزييف الحجر يعمل السارد على تحويل الصور الأيقونية للطبيعة الصحراوية إلى علامات دالة على مخيال سحري و أسطوري مناسب لإنجاز مدونة تقوم على إحياء المعتقد الشعبي في صحراء ليبيا، وقد عرف الكوني بتأسيسه لأدب المكان الصحراوي في أعماله الأولى التي اهتمت بسرد عالم الصحراء الليبية بوصفها مكانا جغرافيا يحمل طابع التميز والغرابة، فغضبها وصفائها وعمتها وأمانها وغدرها يترك أثره في الأبنية السردية بما في ذلك الشخصيات والأحداث واللغة ن حيث يقوم الكوني بتحويل عناصر الطبيعة الصماء للصحراء إلى عالم سردي بديع تؤثته اللغة الجمالية التي لا تعتنى بوصف المظاهر الخارجية للمكان فحسب بل برصد الأبعاد الثقافية والاجتماعية لأصحاب المكان، وهم شعب الطوارق الذين يمثلون صورة مشهدية متفردة استطاعت التعايش مع عالم جغرافي يتصف بالقسوة والحرمان، وتتميز روايات الكوني باهتمامها بالعودة إلى الماضي السحيق للصحراء، والكشف عن أساطيرها و رموزها⁽²⁾ .

(1) فارس عبد الله بدر الرحاوي " ثقافة المكان وأثرها في الشخصية الروائية - رواية الملاك - أنموذجا " مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية العدد 2، المجلد 11، العراق، (2011)، ص 263 - 267 .

(2) نسيمة عطوي " دلالة المكان في رواية - نزييف الحجر - لإبراهيم الكوني "، حوليات الآداب واللغات العدد 1 ، دورية علمية محكمة، المسيلة، (2013)، ص 177 - 179 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

المكان مثل الخشبة المسرحية التي تتجه صوبها العيون، ففيها تتجلى الأحداث وتنطلق، وعليها يتكئ الشخص للفاعل في إطار زمني يتكفل صاحب العمل بتحديدده، لهذا السبب إعتبر مرشد أحمد المكان بأنه " العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص الروائي ببعضها البعض، وهو الذي يسم الأشخاص والأحداث في العمق ويدل عليها " (1)، فالتخييل مسألة لا تسلب المكان وجوده الفعلي الجغرافي / التاريخي بل تكسبه عند كل محاولة جديدا يضاف إليه عند كل قراءة (2) .

في رواية زوربا مثلا للروائي اليوناني نيكوس كازانتزافي توظيفا ووصفا كثيرا لعدة أمكنة في الرواية نذكر منها :

- وصف لأحد المنازل : " ... إنه لمصدر فرح كبير أن تدخل إلى منزل فلاحين كريتيين، فكل ما يحيط بك يدل على سيطرة الأب: المدفأة، وقنديل الزيت، والدنان المصفوفة على طوال الجدار، ومائدة، وبضعة مقاعد ... " (3) .

- وصف الدير: " كان الدير الصغير يتألق بياضا، عند شاطئ البحر، وهو محصور بين صخرتين ضخمتين، وفي الوسط كانت تنتصب قبة الكنيسة التي أعيد تبييضها حديثا، فتبدو صغيرة ومستديرة كئذي امرأة، وحول الكنيسة خمس أو ست حجرات ذات أبواب زرق... " (4) .

أما في رواية الابن الضال للأديب الفرنسي هنري بوردو فنجد تركيزا كبيرا على وصف المزرعة وذكرها في عدة مواضع في الرواية، فقد ركز الروائي على وصف المزرعة ومدى إرتباطها بالشخصية والحدث الروائي أكثر من أي مكان آخر في الرواية حيث يقول الرواي : " .. ولم يكن يقرأ عل صفحة هذه الارض - المتباينة الزرع - قصة تعاقب العصور ، وإنما راح يقرأ تاريخ أسرته ... " (5) .

(1) نصيرة زوزو" بناء المكان المفتوح في رواية - طوق الياسمين - لواسيني الأعرج "، مجلة المخبر العدد 8، جامعة محمد خيضر، بسكرة(2012)، ص21 - 22 .

(2) حبيب مونسى: مرجع سبق ذكره، ص 132 .

(3) نيكوس كازانتزافي: زوربا، تر: جورج طرابيشي، (ط3، بيروت: دار الأدب، 1978)، ص63

(4) نيكوس كازانتزافي: ص176 .

(5) هنري بوردو: الابن الضال، تر: حلمي مراد، (بيروت: دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع، 1999)، ص 11 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

ويعتبر الأديب الفرنسي ألبير كامو (Albert Camus) من أهم الكتاب الفرنسيين الذين كتبوا على الجزائر، لكنها ظلت بالنسبة إليه أرضاً فرنسية، يقول في روايته "أعراس": "إن الحب الذي تتبادله مع مدينة، هو على الأغلب حب سري، إن مدناً كباريس، وبراغ... هي مدن منغلقة على نفسها وتحدد بالتالي العالم الخاص بها، لكن الجزائر مع بعض الأوساط الممتازة كالمدين على البحر، تنفتح في السماء مثل فم أو جرح، وماقد تحبه في الجزائر هو ما يعيش منه جميع الناس، البحر عند منعطف كل شارع" (1).

كما نجد الروائي الكندي ميشيل ترامبليه يعود إلى التاريخ يختار العام 1913 ليكون خلفية زمانية تدور فيها أحداث روايته، عبر تقديم عدد من المدن والأماكن في مرحلة تاريخية محددة على طول القارة الأمريكية، يقدمها على أنها محطات تنتقل فيما بينها بطلته روايته "عبور القارة" في حين أن المركز المكاني يكون متعدد، ينطلق من الريف في أقصى الغرب إلى مونريال في الشرق، مرورا بريجينا، ووينيغ وأوتاوا وغيرها من المدن التي يمر بها القطار الذي يحمل دلالات كثيرة، زمانية ومكانية، يقدم عبر رحلتها لقطات عن حياة معظم المدن الكندية، المختلطة السكان واللغات التي تشكل كندا بوتقة جامعة لها (2).

المبحث الثاني : دلالات المكان في النص الروائي

يربط غريماس (greimas) مفهوم المكان عنده بالخطاطة السردية، إذ لا يعتبر في نظره مجرد فضاء فارغ تصب فيه التجارب الإنسانية، إنما يتعلق بما تمليه عليه الخطاطة السردية، وبذلك يتوزع المكان كسلسلة من المحطات التي لا وظيفة لها إلا بتفاعلها مع رحلة البطل، ومن خلال تلك المحطات تطرح مجموعة من الإشارات الشكلية التي تساهم في تفكيك القصة على مقاطع ومن تم تؤدي إلى كشف الأماكن، ويركز غريماس (greimas) في هذا الصدد على دور اللغة في إبراز المكان من خلال الأحداث التي تسردها، ويبقى لكل مكان يتردد عليه أبطال الرواية دلالات خاصة، وبالتالي يخرج المكان من كونه مجرد كلمات تتضمنها الرواية إلى مكان أوسع متصل بالعالم الخارجي (3).

(1) كريمة ناوي "رواية الغريب لألبير كامو من الرواية إلى الفيلم"، مجلة الخطاب العدد 6، دورية أكاديمية محكمة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، (2010)، ص 147.

(2) هيثم حسين "الرواية والحياة"، كتاب الرافد العدد 41، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، (2013)، ص 15.

(3) كلثوم مدقن: مرجع سبق ذكره، ص 142.

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

استعمل مصطلح " المكان " في السيميائية كموضوع تام يشمل عناصر غير مستقرة إنطلاقاً من إنتشارها، ويهتم بالفاعل كمنتج ومستهلك للفضاء، وبفضل تدخل الانسان في إنتاج علاقات جديدة.

تركز السيميائية في هذا الصدد على دور البطل في إنتاج الدلالات، لأنه يعكس أصناف المكان من خلال تنقلاته وتفاعله مع الأمكنة التي يتردد عليها ويعطيها صورة شاملة عنها، وبالتالي يضفي عليها إنطباعات حسنة وسيئة .

إن المكان مجسد في الصور التي تقدمها الرواية، وقد يكون ظاهراً حيث يصفه الروائي وصفاً دقيقاً، أو باطنياً يدفعنا إلى استنباطه من خلال رموز الكلمات وتطور الأحداث، وبالتالي تصبح البيانات التي تضمها الرواية الأساس في كشف المكان⁽¹⁾ .

إن المكان سواء كان مشهداً وصفيًا أو مجرد إطار للحدث يدخل في صلات وثيقة مع باقي المكونات الحكائية في النص الروائي، كما يدخل في نسيج النص من خلال حركة السارد، فيغير إيقاع السرد بعبور السارد أمكنة مختلفة في الرواية مما يؤدي إلى تغيير الأمكنة داخل الفضاء الروائي الذي ينتج عنه نقطة تحول حاسمة في الحكاية وبالتالي في تركيب السرد والمنحى الرامي الذي يتخذه .

إذا كانت العناصر المكانية في تفاعلها وتضادها تشكل بعداً جمالياً من أبعاد النص الروائي، فإنه يمكن النظر إلى المكان الروائي على أنه بؤرة تجمع فيها شبكة العلاقات التي تجمع بين عناصر الرواية المختلفة، ومن ثم يصبح المكان عنصراً غير زائد في الرواية، ويتخذ أشكالاً ويتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله، ويكون منظماً بنفس الدقة التي تنظم بها العناصر الأخرى في الرواية، لذلك فهو يؤثر فيها ويقوي من نفوذها⁽²⁾، فالدلالات التي يكتسبها المكان، والتي هي مغايرة لدلالاته المباشرة يمكن أن تنبثق من أحد عناصره، والذي يدل عليه هو السياق المكاني في النص الروائي، فتحليق الطير في السماء يمكن تفسيره على أنه رمز للحرية، كما أن السماء في حد ذاتها رمز للاعتلاء والصعود الروحي والقوة والخلود⁽³⁾ .

(1) كلثوم مدقن: ص143 .

(2) سليم بركة " تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي "، مجلة المخبر، العدد 6 ، (2010)، ص1 - 2 .

(3) سيزا قاسم وآخرون: مرجع سبق ذكره، ص103 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

تعتبر الروايات هي مسارات الأمكنة، وفي هذا الصدد للبنيات السردية قيمة تركيبات " نحوية " مكانية، فهي تنظم بواسطة مجموعة من الإشارات والسلوكيات المنتظمة تغيرات المكان التي تؤديها الروايات تحت شكل مواطن موضوعة في سلسلة خطية أو متشابكة مثل : من هنا " باريس " نذهب إلى هناك " مونتارجيس "، هذا الموضع " غرفة " ينطوي على موضع آخر " حلم أو ذكرى " الخ .

هذه الأمكنة المصورة في تصنيفات أو كما يمثلها الفاعلون (الأجنبي - ساكن المدينة - الشبح)، ترتبط فيما بينها بشكل ضيق أو سهل بواسطة إجراءات نمطية تحدد نمط الانتقال من مكان إلى آخر، فكل رواية هي رواية سفر، ممارسة في المكان، فهي تخص التكتيكات اليومية وتنتمي إليها .

إذا ميزنا بين الموقع والمكان في الرواية، الموقع هو النظام " أيا كان " الذي تتوزع بموجبه العناصر في علاقات التواجد **coexistence** ، فلا يمكن لشيئين أن يتواجد في المحل نفسه، يسود فيه قانون الخصوصية، أي أن العناصر المعتبرة تتواجد إحداها بجانب الأخرى، وكل عنصر يقع في موقع " خاص " ومتميز يحدده، فالموقع إذا هو تشكيل فوري للمواضع يدل على الاستقرار .

أما المكان هو نقطة التقاطع بين أشياء متحركة، فهو يحيا بمجموع الحركات التي تنتشر فيه، فهو ماتنتجه العمليات وتوجهه وتضفي عليه الظرف والزمان وتحمله على الاشتغال كوحدة متعددة البرامج والمتصارعة أو التجاورات المتعاقدة .

المكان هو موقع يمارس مثلا يتحول الشارع الذي يحدده التمددين هندسيا إلى مكان يشغله المارة، وأيضا القراءة هي المكان الناتج عن ممارسة الموقع الذي يشكله نسق من العلامات ألا وهو المكتوب⁽¹⁾ .

- دلالات الأرض " الأم " في الرواية :

يعتقد البدائيون الذين يجهلون دور الأب في الحمل، إن الجنين البشري يولد في الأرض، والصخور والماء، إنه يوجد بشكل سحري في أحشاء المرأة، فالأرض مثلت إذا بالمرأة⁽²⁾ .

(1) ميشال دوسارتو : إبتكار الحياة اليومية فنون الأداء العملي، تر: محمد شوقي الزين، (ط1؛ المغرب: دار الأمان، 2011)، ص215 - 219 .

(2) فيليب سيرنج : الرموز في الفن - الأديان - الحياة، تر: عبد الهادي عباس، (ط1؛ سوريا : دار دمشق، 1992)، ص361 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

تؤكد النصوص الهندية على الرمزية النسوية للأرض، وفي إيطاليا كانت الأرض مقدسة أيضاً، ويبقى تراب الوطن الأم حتى يومنا مقدساً بالنسبة لأولئك الذين حافظوا على المعنى الوطني، وبالنسبة لعلماء اللغة فإن الأرض هي رمز الجفاف، وتأتي كلمة **terre** في الواقع من جذر هندو - أوربي **ters** التي تعبر عن فكرة الجفاف، والتي أعطت في السنسكريتية **trisyami** بمعنى أنا عطشان، وفي الفرنسية **torride** بمعنى حار⁽¹⁾، ونضرب مثلاً على إرتباط الأرض بالمرأة في رواية " باب الساحة " للروائية سحر خليفة فهي منذ روايتها الأولى وصولاً على روايتها باب الساحة ركزت على علاقة الإنسان الفلسطيني بالمكان (المدينة)، والمكان (الأرض)، وبالنسبة إلى ربط المكان بالمرأة في رواية باب الساحة فنجد منذ البداية أم الشباب زكية القابلة أو شخصية الداية التي تنتقل من مكان إلى آخر بحكم عملها، وهي تعلم أن غلطة واحدة أو زلة لسان قد تقضي على مهنتها أو سمعتها كركن للحارة وأم للجميع⁽²⁾ .

كما تحمل بعض أعمال الروائي و القاص المغربي علي أفيلال مثل رواية " أينطفئ الحريق " ، علامات استفهام كثيرة، فيها عمق الالتصاق بالمنبع، بالشرق الذي يفرض نفسه إرادياً أو لإرادياً، يلتقي هذا هناك بالهنا أي بالغرب كي يحيكا معا قصصاً تزدهم بالحقول الدلالية التي تكون معطيات أساسية لمختلف أعمال الكاتب علي أفيلال، ونجد في روايات كرواية ميلودة، والآن ياهند، و بوح العواصف تساؤلاته الدائمة عن الغربة والوطن وما بعد الوطن، وما بعد الغربة⁽³⁾ .

- دلالات البيت في الرواية :

البيت هو ركننا الأول، فهو كوننا الأول، فكل الأمكنة المأهولة تحمل جوهر فكرة البيت، فهو واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية، ومبدأ هذا الدمج وأساسه هو أحلام اليقظة⁽⁴⁾ .

(1) فيليب سيرنج : مرجع سبق ذكره، ص 362 - 364 .

(2) بسام علي أبو بشير " جماليات المكان في رواية باب الساحة لسحر خليفة "، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الخامس، العدد الثاني، (2007)، ص 279 .

(3) الطيب ولد العروسي " الغربة من الآباء إلى الأحفاد - علي أفيلال - "، مجلة جيل، العدد 8 (2004) ، لبنان، ص 100 - 101 .

(4) غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، (ط2؛ لبنان، المؤسسة الجامعية للنشر، 1984، ص 35 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

الكثير من ذكرياتنا محفوظة بفضل البيت، وذلك لأن البيت يمدنا بصورة متفرقة، وفي الوقت ذاته يمنحنا مجموعة متكاملة من الصور، ولا تقتصر مسالة البيت على إعطاء وصف له، أو ذكر مختلف أجزائه وتبيان وظيفة كل جزء، وماتمنحه من الراحة بل على العكس إذ يتوجب التجاوز عن وصف البيت للوصول غلى الصفات الأولية التي تكشف إرتباطا بالبيت يتوافق على نحو من الأنحاء مع الوظيفة الأساسية للسكنى فهو جسد وروح⁽¹⁾ .

هكذا يتضح أن البيت من أخص الأشياء التي نملكها، كما أن له خصوصية عائلية ذلك أن لهم أسراراً وأهدافاً وأساليب يتفوقون عليها في مجتمعهم الصغير ولا يفشونها لغيرهم كما أن البيوت تحتاج إلى تهوية اجتماعية بالضيافة والزيارة، فهي وسيلة الاتصال بين البيت والمجتمع⁽²⁾ .

هناك رواية لبولكاكوف بعنوان " المسرحية " تحكي عن كاتب بدون مأوى يعيش في غرفة بئيسة، والمسكن عند بولكاكوف داخلي مغلق مصدراً للأمن، وللتناغم والإبداعية، بعيداً عن جذرانه يوجد العماء والهدم والموت⁽³⁾ .

- دلالات المدينة في الرواية

يقدم جورج سيميل* (george simmel) في كتابه " المدينة والحياة العقلية " مخططا تحليليا للتفاعل بين الوعي الفردي والمدينة الحديثة، حيث يوجه الانتباه إلى الطريقة التي تتباين فيها حياة المدينة بمعناها الحديث مع التقاليد، ففي المدينة تحل الروابط الرسمية بين الأفراد محل أكثر من الروابط العاطفية والودية التقليدية⁽⁴⁾ .

(1) غاستون باشلار : مرجع سبق ذكره، ص36 - 39 .

(2) سلامة موسى: فن الحياة، (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ب.ت)، ص89 - 96 .

(3) يوري لوتمان : مرجع سبق ذكره، ص182 - 183 .

* جورج سيميل : ولد في برلين ومن مؤلفاته : " المدينة والحياة العقلية - فلسفة المال " .

(4) جون ليشته : خمسون مفكراً أساسياً معاصراً - من البنيوية إلى ما بعد الحداثة - ،تر: فاتن البستاني، (ط1؛ بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2008)، ص446 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

يرى **جان إيف تادييه** في الفصل الرابع (رواية المدينة و مدينة الرواية) من كتابه (الرواية في القرن العشرين) أن المدينة الروائية هي قبل كل شيء عالم من الكلام، سواء كانت إنعكاسا أو انزياحا، وهي في ذلك قريبة من شخصية الرواية(1) .

تشكل المدينة في بعدها المعماري والسكاني إطارا تنظيميا واجتماعيا وسياسيا أكثر تعقيدا، وتشكل فضاءاتها نمطين من العناصر:

- عناصر أساسية صغيرة كالبيوت الفردية .

- عناصر كبيرة ضخمة وهي القصور، والمساحات العامة، وفضاءات العبادة، والأسواق التجارية و دور المسرح و السينما، والمقاهي، والحدائق العامة، والملاعب الرياضية .

قد كانت الرواية العربية أكثر الخطابات الأدبية تعبيراً عن المدينة، فقد إرتبط إزدهار الفن الروائي بنشأة المدن الكبرى، وعلى الرغم من أهمية المدينة وعلاقتها في الرواية العربية، فإن معظم الروائيين العرب الذي يشكلون خطابهم السردي من داخل المدينة يدينونها وينفرون منها، فهي تبدو في رواياتهم مكانا للإغتراب والاستلاب والقتامة، مكان يفقد فيه المرء حرته وكرامته(2) .

لقد غدت العلاقة بين الرواية والمدينة في التراث النقدي الغربي، موضوع أساسي مهم من الموضوعات التي يمكن إنطلاقاً منها وخلالها التعرف على قطاع كبير من تجارب الروائيين، ومعرفة معالم الطور الفني للرواية الحديثة والمعاصرة إذ أصبح القول بأن الرواية هي كائن مديني إنتساباً إلى المدينة الضخمة بديهية في نقد الرواية، لا سيما رواية القرنين التاسع عشر والعشرين(3) .

(1) نبيل سليمان: أسرار التخيل الروائي، (سوريا: منشورات إتحاد الكتاب العرب، 2005)، ص 34 .

(2) محمد عبد الرحمن يونس : مرجع سبق ذكره، ص 18 .

(3) حسن حمودة : الرواية والمدينة - نماذج من كتاب الستينيات في مصر - ، (مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2000)، ص 19 - 20 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

المبحث الثالث : الشخصية الروائية والبعد الاتصالي والثقافي للمكان

الاتصال هو عقد صلة بين شخصين، وهناك الكثير من ترسيمات الاتصال، ولكن أشهرها هي تلك التي قدمها جاكبسون (jakobson) حيث يبعث المرسل (المتكلم ، الراوي ، الكاتب) برسالة إلى المرسل إليه (المتلقي، المستمع، القارئ)، وهذه الرسالة تتطلب سياقاً لغوياً يفهمه المرسل إليه، وشفرة مصطلح عليها، وصلة مادية تجمع بين الطرفين، وتسمح بإقامة الاتصال ومواصلته .

الرواية رسالة موجهة من كاتب (مرسل) إلى قارئ (مرسل إليه)، خارجياً، ومن راوٍ إلى مروى له، داخلياً، شفرتها هي اللغة، وصلة الوصل المادية هي الخط المكتوب، والسياق الخارجي هو الظروف الثقافية والسياسية المشتركة بين الكاتب والقارئ، والسياق الداخلي هو الظروف العامة التي يرسمها النص للشخصيات والأحداث⁽¹⁾ .

الجدول التالي يبين الوظائف اللغوية الست عند جاكبسون (jakobson)⁽²⁾ :

النمط	موجه إلى	الوظيفة	مثال
إرجاعي	السياق	يطلق المعلومة	إنها تمطر
تعبيري	المتكلم	التعبير عن الأحاسيس والمواقف	ياللمطر المزعج مجدداً
نزوعي	المخاطب	التأثير في السلوك	إنظر هنا إلى أن يتوقف المطر
للمجاملة	الاتصال	إقامة العلاقات الاجتماعية أو تثبيتها	طقس مزعج جداً أليس كذلك
وصف اللغة	الشفيرة	الحديث عن طبيعة الاتصال	هذه هي نشرة الطقس
شعري	المرسلة	إبراز سمات النص	هطل كأنه مطر لطيف

(1) لطيف زيتوني: مرجع سبق ذكره، ص11 - 12 .

(2) دانيال تشاندلر: مرجع سبق ذكره، ص311 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

هناك في كل اتصال - سواء أكان رواية أو محادثة عشوائية - العديد من الأنظمة المختلفة للمعرفة تأتي لتلعب دورا، وهذا أسلوب آخر للقول بأن النصوص شديدة التعقيد⁽¹⁾ .

حسب إدوارد تي هل* (EDWARD T. HALL) فإن الشعوب طورت إقليمها إلى حد لا يصدق تقريبا، ومع ذلك فإننا نعامل المكان إلى حد ما كما نعامل الجنس، فهو موجود ولكن لا نتحدث عنه، حتى ثقافتنا ولسبب غير معروف كانت تميل إلى تقليل أهمية المكان أو إلى إحداث كبت وفصل للمشاعر التي لدينا بشأن المكان، إننا ننزله إلى مرتبة غير الرسمي، ومن المحتمل أن نشعر بالذنب كلما وجدنا أنفسنا نغضب لأن شخصا ما قد أخذ مكاننا .

عندما يدرس الشخص الطرق التي يتم التعامل بها مع المكان، فسيتم اكتشاف تنوعات مذهلة، اختلافات نستجيب نحوها بقوة، ونظرا لأن لا أحد منا قد تعلم أن ينظر إلى المكان في معزل عن باقي الأشياء المترابطة فإن المشاعر الملمح إليها بالتعامل مع المكان تعزى غالبا إلى شيء آخر .

عند النضوج يتعلم الناس واقعا آلاف الكلمات الخاصة بالحيز، وجميعها لها معانيها الخاصة في سياقها الخاص، هذه الكلمات تطلق إستجابات تم تكوينها سابقا إلى حد بعيد بالطريقة نفسها التي جعلت أجراس بافلوف كلابها يسيل لعابها، ولكن كم هي دقيقة الذاكرة المكانية هو أمر لم يختبر تماما أبدا، ومع ذلك توجد دلائل على أنها طويلة المدى غلى حد بعيد .

يضيف هول (HALL) تعلمنا آلاف التجارب، وبشكل غير واع أن المكان يتواصل، ومع ذلك فإن هذه الحقيقة من المحتمل أنها لم تكن ستصل إلى مستوى الوعي أبدا لو لم يكن قد تم إدراك أن المكان منظم بشكل مختلف في كل ثقافة .

إن الروابط والمشاعر المنطلقة من أحد أفراد ثقافة ما دائما تقريبا تعني شيئا آخر في ثقافة أخرى، عندما نقول مثلا إن بعض الأجانب جريئون أكثر من اللازم فكل ذلك يعني أن معالجتهم للمكان تستدعي هذا المعنى في أذهاننا⁽²⁾ .

(1) روجر فاو لير: اللسانيات والرواية، تر: أحمد صبرة، (مصر: مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، 2009)، ص 191 .

* إدوارد . تي . هول : عالم الانسان ومن مؤلفاته : " اللغة الصامتة " .

(2) إدوارد . تي . هل: اللغة الصامتة، تر: لميس فؤاد اليحي، (ط1؛ الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، 2007)، ص 209 - 212 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

هكذا نجد أن الفعل التواصلي ضروري في النص الروائي خاصة في علاقة الشخصيات مع بعضها البعض، وعلاقتها بالمكان، ويقصد بالفعل التواصلي حسب هابرمس بأنه اتفاقات وتفاهمات في الحوار بين فاعل وفاعل معني من التفعيل، تتأسس العلاقة بين الفاعلين ف اللغة ولا تسبقها، وسيكون هذا الفعل التواصلي إذن القاعدة التي يبنى عليها الإدماج الاجتماعي⁽¹⁾، ومن خلال هذا الفعل تتباين حركات الشخصيات في النص الروائي فحسب نانسي كريس ترى أن هناك أربعة أنواع للشخصيات في الرواية هي :

- شخصيات لا تتغير أبداً، لا على صعيد الشخصية ولا على صعيد الدافع، بل تبقى على حالها، وتبقى رغبتها كما هي .

- شخصيات تبقى شخصيتها الأساسية على حالها من دون أن تتطور أو تتغير خلال القصة، إلا أن ماتريده يتغير مع تطور أحداث القصة .

- شخصيات تتغير عبر القصة على الرغم من عدم تغير الدافع .

- شخصيات تتغير عبر القصة ويتغير دافعها⁽²⁾ .

إذا تمثل الشخصية حياة الأدب⁽³⁾ ، فهي العمود الفقري في الرواية لأنها تصطنع اللغة وتثبت الحوار وتلامس الخلجات، وتقوم بالأحداث ونموها وتصف مانشاهد، وهذه المكان التي احتلتها الشخصية جعلت بعض النقاد ينظرون إلى الرواية على أنها تصور تجربة انسانية تعكس موقف كاتبها إزاء واقعه بنفس القدر الذي تفصح فيه عن مدى فهمه لجماليات الشكل الروائي، والرواية تقول هذا وأكثر من خلال أداة فنية مميزة هي الشخصية، وهذا ماجعلهم يعرفونها بقولهم أنها فن الشخصية⁽⁴⁾ .

(1) جان فرانسوا دورتيي: فلسفات عصرنا - تياراتها، مذاهبها، أعلامها، وقضاياها، تر: إبراهيم صحراوي، (ط1؛ لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009)، ص163 - 166 .

(2) نانسي كريس: تقنيات كتابة الرواية، تر: زينة جابر إدريس، (ط1؛ لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009)، ص101 .

(3) ANDREW BENNETT . NICOLAS ROYLE, INTRODUCTION TO LITERATURE : CRITICISM AND THEORY (THIRD EDITION, BRITIAN: PEARSON LONGMAN, 2004),P. 60 .

(4) عبد الرحيم حمدان حمدان " بناء الشخصية الرئيسية في رواية عمر يظهر في القدس للروائي نجيب الكيلاني "، المؤتمر الخامس لكلية الآداب ، الجامعة الإسلامية، غزة، (مايو 2011)، ص113 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد الاتصالي في النص الروائي

عالم الشخصية الروائي هو عالم الحياة الواقعية التي نعيشها، ولكن في الرواية يدخل فيه الجانب الفني، وعالم الحياة حسب هابرمس (habermas) هو عالم الحياة اليومية، الدائرة الكلية لتجربة الفرد، بما في ذلك خزان التجارب السابقة، إنه الموقف المحدد من ناحية سيرة حياة الفرد الذي يجد نفسه مقحما فيه، طوعا أو كرها .

بالنسبة لهابرمس* (habermas) فإن عالم الحياة هو أفق من آفاق الوعي، ويشمل مجالين : العام والخاص، إنه دائرة تكوين الهوية الذاتية والفعل التواصل، وهكذا مع أن التواصل ينقطع أو ينهار، إلا أن الشفافية بالنسبة إلى هابرمس (habermas) هي مع ذلك غاية اللغة، ومن الواضح أنه يمكن للمرء أن يلاحظ بأن الأعمال الأدبية والخيالية الروائية على كافة أنواعها هي تجسيد اللغة⁽¹⁾ .

عند الكثير من الفنانين والمفكرين أحدث القرن العشرين خسارة في الاحساس بالمكان، فأصبحت الرابطة بين الذات و المكان هشة إعتباطية، وعند بعضهم خلق الحراك المتزايد والعولمة لا أماكن (NON - PLACES) كالمطارات، والمصارف، والمجمعات حيث يتم التخلي عن الهوية والسكنى للتجارة والفردية المنزوية⁽²⁾ .

إذا كان المكان يتخذ دلالاته التاريخية والسياسية والاجتماعية من خلال الأفعال وتشابك العلاقات، فإنه يتخذ قيمته الكبرى من خلال علاقته بالشخصية، وتظهر هذه القيمة في أعلى درجاتها حين يكون المكان جزءا من بناء الشخصية لأن الذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها، ولكنها تنبسط خارج هذه الحدود لتصبغ كل ماحولها بصفاتها .

إن التسليم بهذه العلاقة " علاقة التأثير والتأثر " يؤكد أن المكان قطعة شعورية وحسية من ذات الشخصية نفسها لذا لا غرابة في أن الروائي يلجأ عند تصميم المكان إلى مطابقة هذا المكان مع طبائع الشخصيات ومزاجها، ويجعله كاشفا عن الحالات اللاشعورية للشخصيات، ومساهما في التحولات التي تطرأ عليها، وكأنه هنا يقوم بدور العاكس لمشاعر الشخصيات وأحاسيسها، بل يمكن أن يقوم بدور الشخصية ذاتها باعتباره تصويرا لغويا يشكل معادلا حسيا و معنويا للمجال الشعوري والذهني للشخصية⁽³⁾ .

* يورغين هابرمس : من مؤلفاته : نظرية الفعل التواصل - القول الفلسفي للحدث .

(1) جون ليتشه: مرجع سبق ذكره، ص 379 - 384 .

(2) طوني بينيت و آخرون : مرجع سبق ذكره، ص 650 - 651 .

(3) سليم بتقة: مرجع سبق ذكره، ص 2 - 3 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

يمكن أن يكون المكان رمز من رموز الانتماء بالنسبة للشخصية خاصة إذا كان هذا المكان أليفا في علاقته بالشخصية حيث ينمي الإحساس بالامتلاك، وذلك حين تمتلك الشخصية مكانا وجدانيا، وعليه يمكن القول بأن هناك أماكن مرفوضة وأماكن مرغوب فيها، فكما أن البيئة تلفظ الانسان وتحتويه، فإن الانسان طبقا لحاجته ينتعش في بعض الأماكن ويذبل في بعضها(1).

هكذا تتحقق الروائية كوحدة دلالية اتصالية من مجموع المحمولات السردية المسائرة للمسار القصصي يقول **فيليب هامون**: " إن السمة الدلالية للشخصية ليست ساكنة، ومعطاة بشكل قبلي، يتعين علينا فقط أن نتعرف عليها، ولكنها بناء يتميز عبر زمن القراءة، زمن المغامرة الخيالية إنها شكل فارغ تقوم المحمولات المختلفة بملئها - الأفعال أو الصفات - إن الشخصية هي دائما وليدة مساهمة الأثر السياقي وبناء يقوم به القارئ " .

إن الشخصيات الروائية علامات لسانية، والعلامة من منظور علم العلامات وحدة لسانية متكونة من " دال / مدلول " دال حاضر، ومدلول غائب، وهما مترابطان إرتباطا وثيقا، بحيث يقتضي وجود أحدهما الآخر، والشخصية / العلامة تتكون من هذين العنصرين، الدال / الاسم، والمدلول / المحمولات الدلالية المندرجة بداخله(2).

إن الطريقة الأكثر وضوحا، والتي تستطيع الشخصية أن تولد بها حبكة عبر التفاعل مع بيئتها هي في أن تكون شاذة، سواء كانت متمرده عدوانية أو ضحية تنفجر عاطفة، تعاني بصمت وتكبت طاقتها حتى يأتي شخص آخر أو يقع حدث معين يكون كفيلا بإشعال الفتيل، شخصية تثير وتحرض ضد المجتمع، وتصبح محفزا قويا (3).

(1) سليم بنقة : ص3 .

(2) نبيلة بونشادة " الشخصية من المستوى المحسوس إلى المستوى المجرد في رواية غدا يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة " ، مجلة المخبر 7 ، بسكرة ، (2011) ، ص111 - 112 .

(3) مجموعة من المؤلفين: تقنيات الكتابة، تر: عبد الجليل جواد، (ط1؛ سوريا: دار الحوار، 1995)، ص124 - 125 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

المبحث الرابع: الأبعاد الاتصالية الدلالية للمكان المفتوح والمغلق في النص الروائي

يعتبر المكان المفتوح فسحة هامة تسنح للناس بالالتقاء والتواصل، وكل واحد يمتلك حق إرتيادها، كما يسمح بالحركة والتفاعل والنمو داخل النص الروائي .

لهذا النمط من الأمكنة أهمية بالغة، بإعتبار أنه يمدنا بمعلومات وفيرة، وتصورات متعددة تكفل الإمساك بحقيقة الأمكنة المتموضعة على الخارطة الروائية وقيمها ودلالاتها .

تشكل أماكن الانتقال بوسائلها المختلفة الروح النابضة للحياة البشرية، ففيها يلتقي الناس ويتفاعلون ويتحاورون، ويقضون حوائجهم اليومية للعودة إلى مواطن سكناهم الأولى المغلقة عادة " البيت " .

تقدم أمكنة التنقل بوسائلها المختلفة للإنسان جزءا من تداعيات التفاعل وومضاته التي تحرك الأحداث ونموها تحت نسيج من العلاقات الاجتماعية سواء أكان أثناء ركوب الحافلات أو السيارات أو العربات أو السير على الأقدام، على سبيل المثال عادة ماترتبط لفظة " الشارع " بدلالات الإزدحام و الإختلاط والحركة، فهو مكان للتسكع والتوهان، مكانا اللامكان، وهو الحزن الذي يتلقف الذات المنعزلة، والمنفردة، والتائهة على الرغم مما يحيطها من أسباب الأُنس " مثقلا بالبشر " .

كما ترتبط لفظة المقبرة كمكان للعبرة والاعتاظ، وهو النهاية الحتمية التي ينتهي عندها المرء بعد رحلة حياتية طويلة مليئة بالمسرات والأحزان، فهي مكان اللاعودة، ورمز لإنقطاع الأمل في هذه الحياة، ورمز للانتشار والفناء، والخلوة مع الذات(1) .

إذا فالمكان سواء أكان مفتوحا أو مغلقا هو الموقع الثابت المحسوس القابل للإدراك والحاوي للشيء، وهو مستقر بقوة إحساس الإنسان، والعلاقة بين الإنسان والمكان تقوم على ركيزتين :

- التضاد من حيث ثبات المكان وحركة الانسان .

- الالتقاء لأنهما يمثلان معا المُدرَك و المدرِك(2) .

(1) نصيرة زوزو : مرجع سبق ذكره، ص23 - 32 .

(2) محمد أيوب : دراسات في الأدب والنقد، (دار الصداقة للنشر الالكتروني: ب.ت)، ص104 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

من أهم خصائصه وصفاته هي التواصل بمعنى أنه يمكن تجزئة المكان إلى أقسام، والاتصال بمعنى أنه من النادر أن توجد منطقة أو مكان منعزل في العالم، ويدرك الانسان المكان بشكل مباشر بواسطة الحواس، وقد قسم حسن بحراوي أماكن الأقامة إلى أماكن اختيارية " البيوت - المدارس - أماكن العمل ... "، وأماكن إجبارية " السجن مثلا "، وجعل منها قطبين متناقضين، وفي جوهر هذه الأماكن يكمن مايعرف بالمفتوح والمغلق(1).

نجد أن التشكيل الرسمي للمكان يتخذ درجات متغيرة من الأهمية والتعقيد، ففي بعض الثقافات يكتشف المرء بسرعة أن بعض الاتجاهات مقدسة أو مفضلة، فأبواب هنود (نافاهو) يجب أن تواجه الشرق، ومساجد المسلمين يجب أن توجه نحو مكة، والأنهار المقدسة للهند تتدفق جنوبا، وهكذا تعطي التغييرات المكانية طابعا للاتصال، إنها تؤكد، وفي بعض الأحيان تهيمن حتى على الكلمة المنطوقة، إن تغير المسافة بين الناس والحركة المستمرة فيها أثناء تفاعلهم مع بعضهم البعض هو جزء لا يتجزأ من عملية الاتصال(2).

تتخذ الرواية طبيعتها الجدلية من موقفها بين الطرفين، من الوحدة الجوهرية للبطل والعالم، إن وحدة البطل ووحدة العالم مردها إلى الحقيقة القائلة بأن كل منهما متفسخ في علاقته بالقيم الأصلية، أما التعارض فمرده إلى الاختلاف بين طبيعة كل من التفسخين(3).

فلا يوجد بعد مكاني دون أن ينظمه تعيين الحدود، وللرواية دور حاسم في هذا التنظيم فهي تصف بالتأكيد، ولكن كل وصف هو أكثر من مجرد ضبط، إنه فعل ثقافي خلاق، والروايات هي محتدة بتناقض تبرزه العلاقة بين الحدود والجسور، أي بين المكان الأصل وبرانيته " الأجنبي "، وهناك تعريف شكله ميلر و جونسون ليرد حول وحدة قاعدية اصطلاحا عليها اسم " المنطقة " إنها لقاء بين برامج الفعل، والمنطقة هي المكان الذي يخلقه التفاعل، ولا تمل الرواية من وضع الحدود، تضاعفها في شكل تفاعلات بين شخصيات، أشياء، تتقاسم الفواعل المواقع، وفي الوقت نفسه المحمولات " صالح، ماكر، طموح... الخ "، والتصرفات " تقدم، تملص، تغرب، تقلب... الخ "، فرواية المكان هي في مستواها الأدنى لغة متحدث بها، بمعنى نسق ألسني يوزع الأمكنة(4).

(1) محمد أيوب: مرجع سبق ذكره، ص 105 - 106 .

(2) إدوارد تي هول: مرجع سبق ذكره، ص 227 - 236 .

(3) تودوروف و آخرون: القصة - الرواية - المؤلف، تر: خيرى دومة، (مصر: دار شرقيات للنشر والتوزيع، 1997)، ص 227 - 236 .

(4) ميشال دوسارتو: مرجع سبق ذكره، ص 227 - 238 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

إذا ذكرنا المدينة كمثال عن المكان المفتوح نجد أن الدرس النقدي عني بالمدينة موضوعا في الأدب بشكل عام ذلك أن تجربة المدينة لا تنفصل عن غيرها من التجارب الأخرى التي تسهم في صنع توليفتها وبناء تركيبها كالحزن و الاغتراب وغيرها من ملامح العصر بسبب إرتباط المدينة بالحضارة، وإرتباط كليهما بالنفس الانسانية التي لم تجد مفرا لها من الرضوخ لشرط التغير الحضاري، والشكل الجديد للبيئة، قبولا أو رفضا حيث أصبحت مركز ثقل إنساني فاستقطبت جهد الانسان واستدرجته، وبدأت مفاتنها(1)، وفي الوقت نفسه فإن فكرة المدينة تستثير جمهرة من الصور والإيحاءات المتناقضة: المباني والمناظر الرمزية، الثروة الظاهرة إلى جوار الفقر المدقع و الزحام(2)، وفي رواية " ليلة المليار " لغادة السمان تظهر مدينة بيروت كمكان رئيسي تنطلق منه الأحداث لكن ليس باستمراره على طول الخطاب الروائي بقدر ماهو هروب من الدمار والحرب " هارب من بيروت، وكل مايحيط به يبدو لعينيه راعشا... " (3) .

بالعودة إلى فكرة المكان المفتوح نجد أن هذه الكلمة إرتبطت إرتباطا وثيقا بفكرة العام مثل: حديقة عامة، وتتيح الأماكن العامة تفاعلا لا يقوم على الصلة الحميمية، بل يربط بين الغرباء كالتمشي في شارع المدينة، ويشعر الشخص العام المثالي في هذا الاستعمال بالراحة في خضم التنوع والتعدد الذي يطغى على المدن، في حين أثنت المحللة الحضرية **جين جاكوبس (jacobs)** ثناء شهيرا على الخاصية العامة التي تميز مدن القرن التاسع عشر أرسفة مشاتها، مقاهيها، المقياس الانساني، وتأسفت لفقدانها في تحولات القرن العشرين(4)، أما لفظة المكان المغلق فترتبط بكلمة الخاص، وتشير هذه اللفظة أحيانا إلى الحرمان والعزلة و الوحدة، وفي أواخر القرن الثامن عشر، وبواكير القرن التاسع عشر، صارت الرومانسية ترمز إلى هذا الاتجاه، غير أن الاهتمام بنوعية الحياة الخاصة كان قد إنعكس في الفن الحديث بوفرة مافيه من جماعات عائلية، وغرف داخلية، وهذا مأصفي على الأماكن الخاصة بالمعنيين الحرفي والمجازي معا قيمة جديدة(5) .

(1) **مريم جبر فريحات** " تأنيث المكان وتمكين الأنثى - دراسة في ثنائية المرأة - المدينة في شعر عبدالله رضوان "، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها 2 ، المجلد 3 ، (2007)، ص92 .

(2) طوني بينيت . لورانس غروسبرغ وآخرون : مرجع سبق ذكره، ص604 .

(3) **غادة السمان: ليلة المليار**، (ط1؛ لبنان: منشورات غادة السمان، 1986)، ص10 .

(4) طوني بينيت . لورانس غروسبرغ: ص464 .

(5) المرجع نفسه: ص317 - 318 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

نذكر مثال على الأماكن الخاصة والمغلقة " الغرفة "، في رواية ابنة القس لجورج أورويل تصف الشخصية أحد الغرف: " كانت الغرفة مغطاة بستائر كتيمة و هواءها فاسد ممزوج برائحة ذكورية "⁽¹⁾، وفي وصف إحدى الشخصيات للغرفة في الفندق " نزل ماري " تشبهها بالزنزانة " يا لله، أليست هي تلك الزنزانة القذرة التي ستضعك فيها "⁽²⁾ .

إن الحياة اليومية هي الملجأ المضمون، ومكان الإشارات المطمئنة، و المجال الانتقالي (على حد تعبير وينيكوت) للراشد، إنها الملجأ الذي يشعر فيه بأنه محمي وسط نسيج صلب من العادات والروتين، إن الحياة اليومية تنصب جسرا ضيقا بين العالم المراقب والهادئ المتوفر في البيت، و المصادفات والفوضى الظاهرة في الحياة الاجتماعية .

لاحظ جورج سيمل (george simmel) " أن علاقات الناس في المدن الكبيرة تتميز، إذا قورنت بتلك الموجودة في المدن الصغيرة، بتفوق لنشاط النظر على نشاط السمع، وهذا ليس فقط لأن اللقاءات في المدن الصغيرة التي تتم في الشارع هي في أغلب الأوقات عبارة عن تعارف يجري فيه تبادل بعض الكلمات، وينتج مظهرها لنا ثانية كل الشخصية - وليس فقط الشخصية الظاهرة- وإنما قبل كل شيء بسبب وسائل الاتصال العامة " .

إن إنتصار الهندسة المعمارية و التخطيط العقلاني للمدن الذي يشهد على خضوع المدينة لحركة سير السيارات لم يكن ملائما، إلا نادرا للتجربة الجسدية للإنسان، فإنسان المدينة إذا أراد أن يعيش في جو أوسع من الألفة مع جسده، سيجد في الريف مكانا للتسكع ملائم لنشر حواسه بشكل مميز، وعلاقة طبيعية مع الأمكنة التي يجوبها.

يعيش الغريبيون مثلا في بيوت متغيرة، ومع ذلك فالمساكن التي تؤلف المجمعات الكبرى، والبنائيات البرجية هي آلات للسكن على حد تعبير لو كورديزيه أكثر مما هي امتدادات مادية للجسد البشري إنها مكان و سكن بلا نوعية لإنسان بلا نوعية، وفي هذه الأمكنة أصبح البيت نوعا من أنواع الخيم من دون أن يتمتع ساكنه بحرية البدوي على حد تعبير أرنست جنجر⁽³⁾ .

(1) جورج أورويل: ابنة القس، تر: أسعد الحسين، (سوريا: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 2010)، ص11 .

(2) المرجع نفسه: ص166 .

(3) دافيد لوبرتون: إنثروبولوجيا الجسد والحدأة، تر: محمد عرب صاصيلا، (ط2؛ مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1997)، ص89 - 106 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

أما في المنزل التقليدي بالمقابل فكل تجربة جسدية تكون مستثمرة إنه مليء بالروائح فهو نوع من جسد لعضوي للانسان على حد قول ماركس يحميه من البيئة الخارجية ويشجع على حيوية الأسرة أو المجموعة، وقد كتب باشلار (**bachelard**) صفحات جميلة عن المنزل فهو في نظره: " أحد أكبر قوى الدمج بواسطة الأفكار والذكريات وأحلام الناس، إنه يستبعد الحوادث الممكنة ويضاعف مجالس الاستمرارية، وبدونه سيكون الانسان كائنا مبعثرا "، فهو مجال حسي متميز ملائم لنمو الخيال و لإقامة الألفة الأكثر سعادة⁽¹⁾، ومن هنا يتجلى لنا أن للمكان المفتوح والمغلق أبعادا دلالية تواصلية اتصالية لا تغيب عن العمل الروائي، ونذكر :

البحر :

في رواية زوربا للروائي نيكوس كازانتزاعي تقول إحدى الشخصيات عن البحر: " يالبحر اللعين، صانع الأرامل "⁽²⁾، ولكن نجد في موضع آخر أنه من تعلق الشخصية بالبحر فهو يقسم به " أقسم لكم بالبحر أيها الرفاق ... "⁽³⁾ .

النهر :

في رواية على نهر بييدرا جلست فبكيث للروائي باولو كويليو نجد أن النهر كمكان مفتوح يتحول إلى مكان مغلق عند الشخصية لأنه بداية الحكاية، أو بداية سرد حياة الشخصية : " على نهر بييدرا هناك جلست فبكيث، تزعم الأسطورة ... "، " على ضفاف نهر بييدرا كتبت هذه القصة ... "⁽⁴⁾ .

البيت :

في رواية القلعة البيضاء لأورهان باموق تصف الشخصية البيت بنوع من النفور : " كان بيته صغيرا ومملا وكرهها ... "⁽⁵⁾ .

(1) دافيد لوبروتون: مرجع سبق ذكره، ص107 .

(2) نيكوس كازانتزاعي : زوربا، تر: جورج طرابيشي، (ط3، لبنان: دار الآداب، 1978) ، ص8 .

(3) نيكوس كازانتزاعي: ص18 .

(4) باولو كويليو: على نهر بييدرا جلست فبكيث ، تر: بسام حجار، (لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2013)، ص19 .

(5) أورهان باموق: القلعة البيضاء، تر: عبد القادر عبد اللي، (ط1؛ سوريا: ورد للطباعة، 2000)، ص23

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

المبحث الخامس: المكان في النص الروائي الجزائري

هناك ما لا يقل عن ثلاثة تواريخ شائعة في كتابات الدارسين عن بداية الرواية الجزائرية وهي على التوالي :

- 1947 التي يربطونها بصورة غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو - رحمه الله - .

- 1957 مع ظهور الحريق لنور الدين بوجدره .

- 1972 بصدور رواية ريح الجنوب للروائي عبد الحميد بن هدوقة .

هناك اختلاف أيضا عن بداية هذه الرواية بعد الاستقلال، هل كانت البداية مع ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة أم مع اللّاز للطاهر وطار، أم مع رومانة للمؤلف نفسه، وهل يتم الحكم على ذلك بناء على تاريخ صدورها أم عن بداية كتابتها، أم على نية صاحبها في أنه كتب قصة ثم تبين له أنها رواية، فإذا كان الأمر مؤكدا أن بن هدوقة قد نشر روايته قبل وطار، فإن كتابته لها كانت متأخرة عنه، وهذا بالإستناد إلى مذكره وطار نفسه في مستهل رواية اللّاز تحت عنوان كلمة المؤلف إذ جاء فيها أنه شرع في كتابتها في شهر مايو 1965، وظل يكتبها بشكل متقطع إلى أن أنهاها سنة 1972، ولم تصدر إلا بعد سنتين من إنتهائه عنها، أي سنة 1974، علما أن بن هدوقة كان قد سجل تاريخ إنتهائه من كتابة ريح الجنوب في 5 نوفمبر 1970، إلا أنه لم يذكر تاريخ الشروع في الكتابة ولم يشر إلى أي انقطاع في كتابتها .

من جهة أخرى، كان الطاهر وطار قد نشر رواية رمانه لأول مرة في مجلة آمال سنة 1970، ثم نشرها ضمن مجموعته القصصية الطعنات الصادرة عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بإعتبارها قصة ليعود فينشرها مستقلة بذاتها سنة 1981 لدى الشركة نفسها، بإعتبارها رواية، وهو ما يطرح إشكالية تاريخية تحتاج إلى إجتهد للفصل فيها.

عندما ظهرت " حكاية العشاق في الحب والاشتياق " لمحمد بن إبراهيم المشهور باسم الأمير مصطفى في مطلع سبعينيات القرن العشرين من تحقيق الدكتور أبو القاسم سعد الله التي يعود تاريخ الإنتهاء من كتابتها إلى شهر مارس 1849، رأى بعض النقاد أنها تشتمل على المقومات الأساسية للرواية(1) .

(1) أحمد منور: ملامح أدبية - دراسات في الرواية الجزائرية - (الجزائر: دار الساحل، 2008)، ص9

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

لأجل كل ذلك يمكن أن تعد أول رواية عربية في العصر الحديث، لأنها سبقت زينب و الأجنحة المتكسرة لما يزيد عن ستين عاما، ولكن الاعتراض الذي يمكن أن يعترض به في هذه الحال، وهو اعتراض قوي يتمثل في أن هذه الرواية ظلت مخطوطة ولم تنشر في وقتها، وأنها ظلت من جهة أخرى تجربة معزولة بسبب ظروف الاحتلال فلم تشكل نموذجا يحتذى به، ولا أرست تقليدا أدبيا استمر من بعدها⁽¹⁾، وفي فترة الخمسينيات ظهرت عدة روايات بارزة منها الطالب المنكوب لعبد الحميد الشافعي التي صدرت سنة 1951، ورواية نجمة لكاتب ياسين سنة 1956، ورواية الحريق لنور الدين بوجدره سنة 1957، وفي الستينات عقب الاستقلال ظهرت رواية صوت الغرام لمحمد منيع، وبعدها تتالت الأعمال الأدبية الروائية سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية⁽²⁾.

أما بالنسبة لحضور المكان في النص الروائي الجزائري، يصرح الروائي رشيد بوجدره أن كل مدن العالم، وكل مدن الجزائر حاضرة بكثافة في أعماله الروائية كونه كاتباً مدينياً، ويأتي عنوان الرواية تيميمون ليؤكد هذه الصفة، ولكن لا يوجد حضور لهذه المدينة في المتخيل السردي للرواية ماعدا بعض اللقطات أو الومضات الفضائية المشخصة والمعلق عليها، تأتي مصاحبة لبعض الاسترجاعات المتنوعة والمتعلقة بتذكر بعض المواقع والشخصيات، وتعد هذه الفضاءات أماكن اتصال وعبور، وتتمركز هذه الأماكن في مدينة قسنطينة بخاصة، ثم الجزائر العاصمة، ثم جنيف، وهي - في الغالب - أماكن منزوية وحانات ومواخير، وأماكن عبور مؤقتة قصد التسلية والترفيه وقضاء الحاجات أو التعرف على فضاءات يحوطها غموض كبير فيقدر ماهي محظورة هي مرغوبة أيضا⁽³⁾.

ينص واسيني الأعرج في مستهل رواية المخطوطة الشرقية على أنها استمرار لليلة روايته السابقة رمل المائة : فاجعة الليلة السابعة، وهكذا أحضر المدينة الروائية نوميدا - أمدوكل من الرواية السابقة إلى المخطوطة الشرقية، وقد أتت الحرب عليها في الألف الثالث من الزمن الميت⁽⁴⁾.

(1) أحمد منور: مرجع سبق ذكره، ص 12 .

(2) أحلام معمرى " نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية " ، مجلة الأثر 20 ، (2014)، ص 57 - 59 .

(3) الطاهر رواينية " الفضاء السيري وتداعيات الصوت الراوي في رواية تيميمون لرشيد بوجدره " ، مجلة الخطاب 6 ، دورية أكاديمية محكمة، (2010)، ص 51 - 54 .

(4) نبيل سليمان: مرجع سبق ذكره، ص 47 .

الفصل الثاني ————— توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي

لقد مر مقهى المدينة باعتباره دالا في الرواية الجزائرية بمخاض عسير جعل خطابه تتناقض حيث أصبح وكرا تجتمع فيه مختلف طبقات وثقافات المجتمع، ومكانا منبوذا في العرف العام نظرا لكونه بؤرة تتسرب منها أسباب التلف القيمي، وهي الصورة التي يسوقها الطاهر وطار عن مقهاه الذي تم إنتاج دلالاته في ظروف كانت الجزائر فيها حديثة العهد بالمدينة وطقوسها السلبية، ويواجه الطاهر وطار فضاءات المدينة التي تستنبت العادات والسلوكيات المنافية لاخلاقيات المجتمع المحافظ على لسان بطله في رواية الزلزال " بوالأرواح " الذي نزل ضيفا على قسنطينة التي رأى مقاهيها وكرا للرديلة فلعنها، وهي المشاهد التي يصفها في مثل قوله في أحدها: " قابله مقهى معلق في الطابق الأول، ينبعث منه ضجيج اللاعبين، ودقات الحجر، وتمتم عندما قرأ لافتته عبارة (مقهى الانسراح) لا شرح الله لكم صدرا(1) "، كما نجد حضورا كبيرا للمكان في روايات عبد الحميد بن هدوقة مثل رواية ريح الجنوب 1971 التي تعكس الصراع الطبقي في الريف الجزائري، ومن خلال هذه الرواية صور المؤلف واقع الجزائر في صراعاتها، ورسم صور حية للغاية لأطراف الصراع، وتجري أحداث رواية نهاية الأمس 1975 في قرية نائية غداة انتهاء حرب التحرير الوطني، وقد حاز بن هدوقة بهذه الرواية على لقب الكاتب القروي، أما رواية بان الصبح المنشورة سنة 1980 فأحداثها تجري في العاصمة الجزائرية(2) .

من خلال هذا العرض للفصل الثاني نجد أن للمكان أبعاد اتصالية ودلالية تغطي على النص فتوظيف المكان في النص من قبل المؤلف لا يأتي بشكل عشوائي بل مخطط له حامل لرسالة يحمل في مضامينه رسائل اتصالية موجهة للقارئ، سواء أكان المكان مفتوح أو مغلقا فالشخصية الروائية في علاقتها مع المكان لا تعيش فيه فقط بل تحتك وتتواصل معه، وهذا ما يتجلى في ثنائية (الأننا / الآخر) فالآخر في بعض النصوص الروائية قد يكون مكان سواء أكان المكان المنبع - الأصل (الوطن) أو مكان بعيد (الغربة) مثلا، فالنص الروائي هو بنية تواصلية تحمل هذا الكل (الأماكن - الشخصيات - الأحداث) لتقدم للقارئ فكرة أو فهم أو استحضارا لواقع معاش يقوم القارئ بتأويله كل حسب خبرته، وهذا ما سننتظر إليه في الفصل الثالث من خلال تأويل النص الروائي .

(1) بحري محمد الأمين " سيميائية المسكوت عنه في الرواية الجزائرية من إنتاجية الدال إلى تسويق المدلول (روايات الطاهر وطار وأحلام مستغانمي نماذج) "، محاضرات الملتقى الخامس (السيميائية والنص الأدبي)، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2008، ص 426- 427 .

(2) شنان قويدر " البعد الاجتماعي في مدونة عبد الحميد بن هدوقة " حوليات الأداب واللغات 2 ، دورية علمية أكاديمية محكمة، جامعة المسيلة، (ديسمبر 2013)، ص 479 - 481 .

الفصل الثالث : تأويل النص الروائي

المبحث الأول : مفهوم التأويل

المبحث الثاني : مفهوم النص

المبحث الثالث : إسهامات الباحثين في ميدان

تأويل النص الروائي

الفصل الثالث : تأويل النص الروائي

بعد أن استعرضنا في الفصل الأول ماهية المكان في الرواية، وفي الفصل الثاني توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي، سنتطرق في هذا الفصل إلى تأويل النص الروائي فتوظيف المكان في الرواية يكون من خلال وصفه وذكر علاقته بالشخصية الروائية ليصل هذا المكان إل القارئ من خلال نص لغوي دلالي مكتوب، فتأويل المكان واستخراج دلالاته في النصوص الروائية يختلف من قارئ إلى آخر كل حسب إدراكه وخبرته مع المكان والواقع المعاش وكيفية فهمه لبنية النص، فهدفنا الأساسي من استعراض هذا الفصل هو البرهنة أن النص وحدة تواصلية إفهامية اتصالية، وقد قمنا بتقسيم هذا الفصل إلى ثلاث مباحث رئيسية سنتناول في المبحث الأول مفهوم التأويل، أما في المبحث الثاني سنتحدث عن مفهوم النص وسنركز على تعريفات كل من رولان بارت وجوليا كريستيفا و بول ريكور وتودوروف للنص، وفي المبحث الثالث والأخير سنتطرق إلى إسهامات الباحثين في ميدان تأويل النص الروائي خاصة الذين ينظرون للنص كوحدة تواصلية .

المبحث الأول: مفهوم التأويل (الهيرمونيظقا)

معنى التأويل لغة هو إظهار المقصود عن طريق الظن، والتأويل أيضا استجلاء الغموض في نص أو في خطاب معين أو تحويل معناه من لغة إلى أخرى أو إضفاء معنى محدد عليه قصد إدراكه .

أما تجليات التأويل interpretation ومقاصده عند الفلاسفة وعلماء البلاغة والمتصوفة والمعتزلة، فقد ذهبوا مذاهب شتى في تأويل القرآن لا يمكن حصرها، حتى اتسعت دلالاته وتشعبت معانيه بحسب السياقات، والقرائن والحجج والبراهين .

إذا كان التحليل العلمي يفصل بين دلالاتي التفسير والتأويل على أساس أن الكشف عن الحقائق ظني في التأويل، بينما يعد قطعيا في التفسير (1) .

هناك على مستوى تفسير النص الديني " القرآن الكريم " تلك التفرقة الحاسمة بين ما أطلق عليه التفسير بالمأثور، وما أطلق عليه التفسير بالرأي أو التأويل (2) .

(1) خيرة حمرة العين " الشعرية وانفتاح النصوص - تعددية الدلالة و لا نهائية التأويل - "، مجلة الخطاب 6 ، دورية اكااديمية محكمة، تيزي وزو، (2010)، ص16 - 18 .

(2) نصر أبو زيد " الهرمونيظقا ومعضلة تفسير النص "، مجلة فصول 3 ، المجلد الأول، الهيئة المصرية العام للكتاب، (1981)، ص141 .

الفصل الثالث - تأويل النص الروائي

ذلك على أساس أن النوع الأول من التفسير يهدف إلى الوصول إلى معنى النص عن طريق تجميع الأدلة التاريخية واللغوية التي تساعد على فهم النص فهما موضوعيا، أما التفسير بالرأي أو التأويل فقد نظر إليه على أساس أنه تفسير غير موضوعي لأن المفسر لا يبدأ من الحقائق التاريخية والمعطيات اللغوية، بل يبدأ بموقفه الراهن محاولا أن يجد في القرآن " النص " سندا لهذا الموقف، وقد أطلق على أصحاب الاتجاه الأول أهل السنة والسلف الصالح، ونظر إلى هذا الاتجاه نظرة إجلال و احترام وتقدير، بينما كانت النظرة إلى أصحاب الاتجاه الثاني وهم الفلاسفة والمعتزلة والمتصوفة نظرة حذر وتوجس⁽¹⁾.

أما بالنسبة للهيرمينوطيقا فلم تكن حقلا معرفيا مستقلا، إذ تميزت دوما بالتجاذب بين التفكير الفلسفي، ومجموعة من القضايا التقنية ومن قواعد التأويل، وقد كانت الهيرمينوطيقا أولا وقبل كل شيء فنا، الغاية منه شرح النصوص الأساسية، أدبية كانت أو قانونية أو دينية، وقد خضع شرح النصوص عموما لأهداف أخلاقية، إذ من التأويلات الرواقية إلى تأويلات آباء الكنيسة، كان الامتثال للأخلاق أو للإيمان هو الموجه لتلك التأويلات ومبررها الأساس.

ازدهرت الهيرمينوطيقا في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي، وبالخصوص الدينية والقانونية، ويرجع الفضل لـ **نشليرماخر** (1768 - 1834) في إعادة تصور برنامج طموح وعام إنبثقت منه الهيرمينوطيقا المادية المعاصرة، حيث حولها مما هو ديني إلى ماهو أدبي، ثم من الأدبي إلى الكتابي ومن الكتابي إلى الشفوي، طارحا بذلك لأول مرة مشكل هيرمينوطيقا المحادثة⁽²⁾، وكلمة هيرمينوطيقا بمعنى فن التأويل ظهرت لأول مرة في عنوان إحدى الكتب عند **دانهاور** سنة 1654⁽³⁾، و الهيرمينوطيقا تتخذ من الكتابة وضعية أولى لفتح الذات على الوجود بواسطة تأويل الرموز التي تتوسط العالم والفهم، لذا فإن ارتباط التأويل بالنص الأدبي هو ارتباط تاريخي ومعرفي لأنه النص الأكثر شحنا بالدلالات وأفعال التخيل والترميز وانفتاح الذات⁽⁴⁾.

(1) نصر أبو زيد: مرجع سبق ذكره، ص 141 - 142 .

(2) فرانسوا راستيني: **فنون النص وعلومه**، تر: إدريس الخطاب، (ط1؛ المغرب: دار توبقال للنشر، 2010)، ص 46 - 47 .

(3) هانس غيورغ غادامير: **فلسفة التأويل - الأصول و المبادئ والأهداف -**، تر: محمد شوقي الزين، (ط2؛ الجزائر، منشورات الاختلاف، 2006)، ص 64 .

(4) عمارة ناصر: **اللغة والتأويل " مقاربات في الهيرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الاسلامي "**، (ط1؛ لبنان : دار الفارابي، 2007)، ص 20 - 21 .

الفصل الثالث - تأويل النص الروائي

يرى غادمير أنه ليس ضروريا وضع منهج للفهم العلمي، الذي يهمننا هو المعرفة و الحقيقة، فالظاهرة التأويلية ليست مطلقا مسألة منهج " .

يوجد فرق جوهري بين النص والعالم حيث العالم صامت، والنص مكتوب منطوق، وفي مجالات تناول المصطلح يوضح بول ريكور (ricoeur) أن كلمة hermeneutik تعطي في الألمانية كافتراض لتحديد مادة تعليمية تمنح الوضع العلمي الدقيق لمفهوم التأويل كاستعمال هرمينوطيقي محض، أما في الفرنسية فيتعلق الأمر بالزوج (فهم / أول)، وبهذا تتميز كلمة هيرمينوطيكا عن كلمة تأويل بكون الأولى ذات كثافة فلسفية(1) .

المبحث الثاني : مفهوم النص

النص في اللغة هو الرفع بنوعيه الحسي والتجريدي وأقصى الشيء وغايته، وله صلة بالاستقصاء(2) .

أما اصطلاحا فيمكن الحديث عن مفهوم النص في التراث من خلال التطرق إلى جملة من المفاهيم :

- الجملة : وتعتبر أكبر وحدة لسانية قابلة للوصف اللساني، وقد درسها العلماء العرب القدامى دراسات متعددة تحت أبواب إعرابية ونحوية ودلالية، وتعرف بأنها أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بالفهم سواء أتركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر.

- البيان : إن مفهوم البيان ليس من اختصاص علماء البلاغة وحدهم على الرغم من كونهم قسموه إلى : " علم المعاني و علم البيان و علم البديع "، وإنما اهتمام علماء البلاغة بهذا العلم قد ظهر متأخرا.

إن كلمة بيان كلمة عربية لا يوجد مايقابلها في اللغات الأخرى، وهي أكثر الكلمات استعمالا في القرآن الكريم، فقد وردت مادة " ب، ي، ن " في القرآن الكريم أكثر من 250 مرة ثم أصبحت علما مستقلا بنفسه " علم البيان " وهو يتناول الدلالات الآتية: الفصل والوصل والظهور والوضوح والفصاحة والقدرة على التبليغ والإقناع(3) .

(1) عمارة ناصر: مرجع سبق ذكره، ص30 - 31 .

(2) بشير إبرير " مفهوم النص في التراث اللساني العربي "، مجلة جامعة دمشق، العدد 1، المجلد 23، (2007)، ص84 - 85 .

(3) المرجع نفسه: ص86 - 90 .

الفصل الثالث - تأويل النص الروائي

تطلق اللسانية كلمة نص text على مجموع الأقوال الخاضعة للتحليل، وأصل كلمة text يرتد إلى الأصل الاتيني textus بمعنى النسيج أو الضفيرة من الشعر.

يقارن رولان بارث (roland barthes) النص بالعلامة، فيرى أنهما مبنيان من دال ومدلول، ففي العلامة الدال هو اللفظ و المدلول هو المعنى، وفي النص الدال يتكون من الحروف المركبة في كلمات وجمل ومقاطع وفصول، والمدلول يؤديه هذا الدال المادي.

إن التعريف الابستمولوجي الأبرز للنص هو الذي قدمته الباحثة جوليا كريستيفا (kristeva): " النص أداة تتوسل اللغة وتعيد ترتيبها لإقامة علاقة بين الكلام الإبلاغي المباشر والأقوال السابقة والمعاصرة المختلفة " (1).

ينقسم كبار المنظرين الذين حاولوا تعريف النص إلى ثلاثة أقسام :

قسم يذهب إلى تعريفه مباشرة من خلال مكوناته ويمثله تودوروف* (todorov) ، وقسم يذهب إلى تعريفه من خلال إرتباطه مع الإنتاج الأدبي ويمثله رولان بارث (barthes)، ويذهب القسم الثالث في تعريفه مذهباً يربطه بفعل الكتابة ويمثله بول ريكور (ricoeur).

- تعريف تودوروف (todorov):

ينقسم تعريفه للنص إلى قسمين: قسم يتعلق بالمفهوم، وقسم يتعلق بالمكونات، ويقول في تعريفه للنص: " يمكن للنص أن يكون جملة، كما يمكنه أن يكون كتاباً تاماً، وهو يعرف باستقلاله وإنغلاقه " .

يقول في وصفه للنص: " إنه يكون نظاماً لا يجوز أن نطابقه مع النظام اللساني، ولكن أن نضعه في علاقة معه، إنها علاقة تجاور وتشابه في الوقت نفسه " .

أما بالنسبة لمكونات النص يقول تودوروف (todorov) : " إذا كنا نميز في الجملة الشفهية بين مكوناتها الصوتية والنحوية والدلالية، فإننا سنميز في النص مثيلها، ولكنها لاتأخذ الموقع نفسه في الحاليتين"، والوجد الدلالي للنص هو عبارة عن منتج معقد للمضمون الدلالي تنتجه الوحدات اللسانية(2) .

(1) لطيف زيتوني: مرجع سبق ذكره، ص 167 - 168 .

* تزيفيتان تودوروف : ولد في بلغاريا ومن مؤلفاته : الأدب والمعنى - مفهوم الأدب - الأدب في خطر.

(2) منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، (ط1؛ سوريا: مركز الإنماء الحضاري ، 2002)، ص 121 - 123 .

الفصل الثالث - تأويل النص الروائي

- تعريف رولان بارث (roland barthes)

ينطلق بارث (barthes) من العرف العام ليقف على التعريف الشائع، فيقول عن النص إنه: " نسيج الكلمات المنظومة في التأليف، والمنسقة بحيث تفرض شكلا ثابتا ووحيدا ما استطاعت إلى ذلك سبيلا" .

يقف في النقطة الثانية على كلمة نسيج التي وردت في النقطة الأولى محاولا أن يؤسس مفهوم النص أي *texte* كما في الفرنسية، على المعنى الاشتقاقي الذي يعني نسيج كما في اللاتينية *textus* فيربط بذلك بين معنى المنظومة ومعنى مشاركة النص في الأثر الأدبي، لأن النص كما يقول يشاطر الأثر الأدبي هالته الروحية، وهو مرتبط تشكيلا بالكتابة، ربما لأن رسم الحروف ولو أنه يبقى تخطيطا فهو إحياء بالكلام وبتشابك النسيج .

أما عن مهمات النص فيقول: " النص هو الذي يوجد الضمان للشيء المكتوب، جامعا وظائف صيانتته: الاستقرار، استمرار التسجيل الرامي إلى تصحيح ضعف الذاكرة، وعدم دقتها، هذا من جانب ومن جانب آخر شرعية الحرف الذي هو أثر يتعذر الاعتراض عليه".

ينتقل بارث (barthes) في رؤيته للنص وتعامله معه من الموقف السلبي للمتلقي إلى موقف آخر، يصير فيه النص فعالية كتابية ينضوي تحتها كل من الكاتب والقارئ، يقول بارث إن نظرية النص هي أولا نقد مباشر لأي لغة واصفة، ثم يجد في تعريف كريستيفا خاتمة الممارسة النصية التي ينشدها فيقدمه على النحو التالي: " أعدت جوليا كريستيفا بشكل أولي تعريفا للنص، جامعا و أصوليا، فقالت: " النص آلة نقل لسانی، إنه يعيد توزيع نظام اللغة فيضع الكلام التواصلي، أي المعلومات المباشرة في علاقة تشترك فيها ملفوظات سابقة أو مترامنة ومختلفة " .

- تعريف بول ريكور (paul ricoeur)

ينطلق ريكور (ricoeur) من فرضية تقوم على عنصرين : الأول، ويرى فيه أن الكتابة إنجاز يقارن مع الكلام ويحاذيه، والثاني يرى فيه أن تحرر الكتابة التي يضعها في مكان الكلام إنما هي فعل هو فعل لولادة النص⁽¹⁾ .

(1) منذر عياشي : مرجع سبق ذكره، ص 125 - 131 .

* بول ريكور: ولد في فرنسا ومن مؤلفاته : صراع التأويلات - الزمان والسرد - التناهي والعقاب .

الفصل الثالث - تأويل النص الروائي

- النص عند البنيويين :

كان الاعتقاد السائد قبل البنيوية، أن النص يقوم على المقومات التالية :

أ - الانغلاق : بحيث تكون بداية ونهاية ومنغلق على ذاته.

ب - الأحادية : أي له دلالة محددة، والقارئ المثالي هو من يمسك بها، وقد أرهقت النظريات نفسها في تحديد هذه الدلالة.

ت - سلطة الكاتب : الكاتب هو صاحب النص، وله السلطة العليا عليه، ودور القارئ هو الاهتمام إلى تلك الدلالة التي تكمن في وعي أو لاوعي الكاتب .

ينظر البنيويون إلى النص باعتباره بنية كبرى لنظام لساني معين، يستدعي سنن معينة لجعله موضع تواصل، أي رسالة موجهة من مرسل إلى متلق، والمنهج البنيوي يقطع النص عن مؤلفه أو مبدعه وسياقه الاجتماعي أو التاريخي حيث صار بعض المختصين يطلقون على الفكرة " موت المؤلف أو الكاتب " وهو طرح ينحى عن النص ميزات صاحبه، وبالتالي ينحى عن مؤلفه صفة الإبداع والعبقرية والشاعرية ويحوّله إلى مجرد مستخدم للغة، التي ورثها كما ورثها غيره ، وبالتالي فالنص لا خصوصية له، فهو منفتح على جميع التأويلات التي يشارك بها المتلقي .

- النص عند السيميائيين :

يرى جاك دريدا (jacques derrida) أن النص نسيج من التداخلات، فهو لعبة منفتحة ومنغلقة في آن واحد، وأن النصوص لا تمتلك أبا واحدا، ولا جذرا واحدا، إنما النص نسق من الجذور وهو يؤدي في النهاية إلى محو مفهوم الجذر والنسق، ثم إن الانتماء التاريخي لنص من النصوص، لا يكون أبدا في خط مستقيم، فالنص دائما من منظور دريدا له عدة أعمار متشعبة حسب الجذور التي أسهمت في تكوينه، أما بيير زيم (zima pierre) فيقيم سوسولوجيا النص التي ترى النص ذات طابع مزدوج فهو بالإضافة إلى كونه بنية مستقلة فهو كذلك بنية تواصلية، ويعتبر بيير زيم (zima pierre) أن السيميولوجيا هي التي بإمكانها أن تتيح نقل مفاهيم السرديات الشكلية إلى سوسولوجيا الأدب، ولذا فإن على سوسولوجيا النص الأدبي أن تستفيد من السيميولوجيا التي توفر لها الأساس الدلالي الذي لا يمكن أن يتوفر بين البنية السردية والبنية الاجتماعية إلا إذا تدخلت السيميائيات⁽¹⁾ .

(1) محمد مصايح " بين النص والخطاب مساءلة في المفاهيم "، مجلة أيقونات، العدد 3، مجلة دورية محكمة، منشورات سيما للبحوث السيميائية، الجزائر، (2001)، ص74 - 79 .

المبحث الثالث : إسهامات الباحثين في ميدان تأويل النص الروائي

تقول الناقدة اللبنانية يمنى العيد : " في كتابها " معرفة النص " : " إن المنهج البنيوي أثبت قدرته على كشف مالم يكن معروفا من خصائص الشكل والظاهر، وإستطاع أن يصل إلى العام والمشارك، وإلى ما هو علمي وما هو منطقي، كما اثبت هذا المنهج خصوبته، فاعتمده الباحثون في دراسة الأساطير وفي دراسة العقلية البدائية في ميادين عدة منها ميدان النقد الأدبي " ، ثم تقول: " يستطيع النقد بالإعتماد على المنهج البنيوي أن يضيء بنية النص، أن يرى حركة العناصر، أن يصل إلى الدلالات فيه "، و اهتمت الناقدة يمنى العيد بدراسات أقطاب البنيوية وجلهم من الماركسيين أمثال الفيلسوف الهنغاري مؤسس البنيوية التكوينية **لوكاتش " 1885 - 1971 "**، والباحث السوفيتي في المادية الاجتماعية **باختين (bakhtin)** " 1895 - 1975 "، الباحث في علم اجتماع الأدب **غولدمان " 1913 - 1970 "** (1) .

مادام الهدف الأول و الأخير للنص هو الإيصال والتواصل على حد تعبير اللسانيين الاجتماعيين فلا حرج أن يخترق جنس أدبي معين جنسا أدبي آخر، ولكن لا يحل محله، وإنما يستعين به فقط لتحقيق ماكان العرب يسمونه التوسع أي العدول باللغة عن فلكها الذي تدور فيه إلى فلك آخر جديد من أجل فهم دقيق للعملية الإيصالية والتواصلية(2) .

إن قراءة النص ذلك النظام الإيحائي، تحيل إيحائته، على عالمه الدلالي، وأشياءه التي عبر عنها ببنى لغوية، إن السيميولوجيا تنظر إلى النص من حيث خصوصيته الإنتاجية، لكن كدليل منفتح ومتعدد الدلالات، فالتحليل السيميولوجي يدرس النص وفق هذه المميزات منطلقا من اللسانيات، بإعتبار النص ينتج من خلال اللغة، ثم يتجاوزها إلى توليد النسيج اللساني، وتوليد الأنا وهذه العملية تسميها **كريستيفا (kristeva)** النص المكون **geno- texte**، وأما السيميولوجي الإيطالي **أمبرتو إيكو (ico)** فيركز اهتمامه على الخصائص الصوتية في النص الأدبي، والعلاقات الاستبدالية القائمة على محور التركيب والدلالات الإشارية والإيمائية، وعلى الفضاء الإيديولوجي، وذلك مايعطي التحليل طابعا حركيا(3) .

(1) **جودت الركابي " الحداثة والبنيوية في معرفة النص الأدبي "** ، آفاق الثقافة والتراث، مجلة فصلية ثقافية، العدد 10، الإمارات (1995)، ص 15 - 16 .

(2) **مازن الوعر " علم تحليل الخطاب وموقع الجنس الأدبي "** ، آفاق الثقافة والتراث، العدد 14، (1996)، ص 16 - 17 .

(3) **محمد مصابيح " بين النص والخطاب - مساءلة في المفاهيم - "**، مجلة إيقونات ، العدد 3، (2011)، ص 76 - 77 .

الفصل الثالث - تأويل النص الروائي

أما جاك دريدا (jacques derrida) " 1930 - 2004 " صاحب النظرية التفكيكية أي تفكيك النص الأدبي لأن اللغة في رأيه هي شبكة من الاختلافات، ومعنى الكلمة تقتضي أن نفهم مالا تعنيه، ولأن هذا الفرق لا يمكن أن يفهم فإن المعنى يبقى غامضاً أو يحتمل تفسيرات مختلفة(1) .

تقول الكاتبة الروائية البريطانية زادي سميث " المشكلة مع القراء، أن الفكرة التي أعطيت لهم، أن نموذج القارئ يماثل مشاهدة فيلم، أو مشاهدة التلفزيون، وبالتالي فإن المبدأ الذي ساد أود أن أجلس هنا وأحصل على التسلية، أما النموذج الكلاسيكي فيتمثل في فكرة القارئ باعتباره أحد الموسيقيين الهواة الذي يجلس إلى البيانو، لديه لحن موسيقي من تأليف شخص لا يعرف عنه شيئاً، وهذا النص الموسيقي على الأرجح أيضاً لا يمكن فهمه تماماً، لكن الهاوي لديه المهارة اللازمة لعزف هذه المقطوعة الموسيقية، وكلما زادت مهارة العازف، زادت إمكانية أن يعطي العازف للفنان والعكس صحيح، هذه فكرة كلاسيكية عن القراءة، لكنها صحيحة تماماً " (2)، ويقول الكاتب الإسباني خوان جويتيسولو عن النص : " لا تهمني سوى النصوص التي تتحداني، وإذا اقتحمت كتاباً حيث كل شيء واضح فإنه يسقط من يدي " (3) .

يرى باختين (bakhtin) أن الخطاب الروائي هو الوسط الحركي الديناميكي الذي يحدث فيه تبادل الآراء أو الحوار، إن توجه باختين بأكمله يركز على طريقة بناء الرواية يقول باختين (bakhtin) : " لا نجد المؤلف في لغة الراوي، ولا في اللغة الأدبية العادية التي تواجه القصة فيها نفسها، ولكن المؤلف يستخدم تارة هذه اللغة وتارة لغة أخرى، كي يتجنب أن يسلم نفسه لأي منها، فهو يستخدم هذا الأخذ والعطاء الشفهي، هذا الحوار بين اللغات في كل نقطة من عمله، كي يبقى محايداً بالنسبة إلى اللغة، طرفاً ثالثاً في عراك ما بين شخصين " (4) .

(1) جاك دريدا يهاجم حملات اللاسامية: مجلة جيل، العدد 8، المجلد 25، (2004)، ص 104 .

(2) مجلة العربي: العدد 667، شهرية ثقافية، الكويت، (2014)، ص 67 .

(3) مجلة العربي: العدد 654، شهرية ثقافية، الكويت، (2013)، ص 34 .

(4) جون ليشته : مرجع سبق ذكره، ص 35 - 36 .

الفصل الثالث - تأويل النص الروائي

كما دعا إليه رولان بارث (roland barthes) من موت المؤلف مقابل إحياء الاهتمام بالنص، وقد قصد بهذه الدعوة إلى الانتفاض على التقاليد النقدية الرائجة في الأوساط الأكاديمية من اتخاذ المؤلف المفتاح الأول والأخير للعمل الأدبي، وبالنسبة لبارث العكس هو الصحيح، ذلك أن العمل هو الذي ينبغي أن يقودنا إلى المؤلف (1).

ساهم غريماس (greimas) في بناء صرح السيميائيات السردية حتى إرتبط اسمه بهذه المدرسة بشكل مباشر بحيث شكل كتابه المعروف " الدلالة البنيوية " اللبنة الأساسية لهذه المدرسة السيميائية " مدرسة باريس "، كما أصدر فيما بعد مجموعة من الأعمال، أهمها : في المعنى ، فقد شكلت هذه الأعمال في مجملها أهم الدعائم المعتمدة في مقارنة النصوص السردية والأسس المعرفية لهذه المدرسة، لقد اهتم جريماس (greimas) أساسا بالشروط الداخلية للمعنى في النص، لأن التحليل حسب غريماس (greimas) يجب أن يكون محايا بحيث يقتصر الاشتغال النصي لعناصر المعنى دون إعتبار للعلاقة التي يقيمها النص مع أي عنصر خارجي لأن المعنى سيعتبر (كأثر وكنتيجة مستخلصة بواسطة لعبة العلاقات بين العناصر الدالة) مما يستوجب لتحديد ذلك التعرف أولا على الوحدات المشكلة للنص باعتباره نسقا وبنية، وذلك من أجل تحديد مستويات الوصف التي تتوزع على هذه العناصر قصد وصفها وضبط قواعدها المنظمة لها، ولعل هذا أول شيء عمل السيميائيون على تحديده وبهذا تم تقسيم النص إلى مستويين :

- المستوى السطحي niveau de surface - المستوى العميق niveau de profond

في المستوى السطحي يخضع فيه السرد بكل تمظهراته لمقتضيات المواد اللغوية الحاملة له بمعنى مجموعة العناصر التي تدرك من خلال التشخيص ذاته، ويتعلق الأمر في هذا المتوى بالنظر إلى النص السردية في تجلياته الخطية المباشرة كما يقرأه قارئ عادي ويشتمل هذا المستوى السطحي على تركيبين :

1 - تركيبية سردية : تعمل على ضبط التوالي و الترابط الخاص بالحالات والتحويلات، بحيث يتم في هذا المستوى على المكون السردية الذي يقوم بتنظيم تتابع حالات الشخصيات وتحولاتها (2).

(1) حسن بحراوي " رولان بارث - من الدرجة الصفر إلى لذة النص - ، مجلة الدوحة، العدد 99، قطر، ص 134 - 137 .

(2) سعيد بو عيطة " المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية - غريماس نموذجا - ، مجلة سيمات البحرين، (2013) ، ص 47 - 49 .

الفصل الثالث ————— تأويل النص الروائي

في هذا الإطار كان لزاما عليه القيام بعملية تشريح البنيات السردية لكونها عبارة عن جملة من الحالات والتحويلات التي تطبع الشخص من خلال الأدوار التي تؤديها في إجراء التحويل.

يتم هذا التحويل عبر مسار التحولات التي تعرفها بنية النص الداخلية، مسار ينطلق من الحالة الأولية وصولا إلى الحالة النهائية، تعمل هذه التحولات على استرجاع موضوع القيمة من أجل الامساك بجوهر الدلالة .

2 - دلالة سردية : تقوم على تحديد الترابط الخاص بالوجه ومولدات المعنى داخل النص، يتم في هذا المستوى تناول المكون الخطابى الذي يتحكم في تسلسل الصور وآثار المعنى.

يسعى هذا المستوى إلى إعطاء شكل محدد لانتشار الوضعيات والأحداث والحالات والتحويلات في الخطاب .

النص فيه عبارة عن متتالية من الحالية والتحويلات، ومنه تعنى السيميائية بنظرية الدلالة وإجراءات التحليل التي تساعد على وصف أنظمة الدلالة، خاصة السيميائية السردية، والتي تطرح دائما مشكلة المعنى من خلال وضع تصنيف للمفوضات السردية، والتي تعتبر أصغر الوحدات الخطابية المكونة للنص السردى تتعامل مع النص باعتباره فضاء لغويا ومحددا لعدد لامتناه من الاستطرادات الممكنة، كما حاولت تقليص المسافة بين الوجه المجرى للنظرية وبين وجهها المتحقق عبر مزج النظرية بالنص إلى الحد الذي تذوب فيه الفواصل بينهما ليصبح أثر ذلك التظير تطبيقا لأن دافعها هو البحث عن مولدات النصوص وتكويناتها البنيوية الداخلية، وتبحث جادة عن أسباب التعدد ولا نهائية الخطابات والنصوص والبرامج السردية(1) .

من خلال هذا العرض للفصل الثالث نجد أن النص بوصفه سلسلة لسانية محكية أو مكتوبة يشكل وحدة تواصلية، لا يهم أن يكون المقصود هو متتالية من الجمل، أو من جملة وحيدة، أو من جزء من الجملة، فالبنى النصية وإن كانت قد أنجزتها كينونات لسانية، إلا أنها تكون كينونات تواصلية، فالنص ليس بنية مقطعية ملازمة ولكنه وحدة وظيفية تنتمي إلى نظام تواصلى، وهذا ماسنحاول التطرق إليه في الجانب التطبيقي من الدراسة من خلال تسليط الضوء على المكان في النص الروائى الجزائري المعاصر، واستخراج الأبعاد الاتصالية للمكان خاصة في علاقته مع الشخصية الروائية .

الإطار

التطبيقي

الفصل الأول : الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

المبحث الأول : التعريف بعينة الدراسة

المبحث الثاني : تحليل الأبعاد الاتصالية لثنائية (قسنطينة / باريس) من خلال التقاطبات المكانية لباشلار ولوتمان

المبحث الثالث : تحليل الأبعاد الاتصالية لثنائية (قسنطينة / باريس) من خلال شجرة الوصف لجان ريكاردو

المبحث الرابع : تحليل الأبعاد الاتصالية لقسنطينة في نص بوكرزازة من خلال الوظائف اللغوية لرومان جاكبسون

المبحث الخامس : تحليل الأبعاد الاتصالية لقسنطينة في نص بوكرزازة من خلال المربع السيميائي لغريماس

الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

الفصل الأول : الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

بعد أن تطرقنا في الجانب النظري إلى ماهية المكان، وتوظيفه ودلالاته في النص الروائي، والأبعاد الاتصالية للمكان في النص الروائي، وتأويل النص الروائي كون النص وحدة تواصلية، وسنتناول في هذا الفصل الجانب التطبيقي أي توظيف الدراسات والأبحاث التي ظهرت حول تحليل النص الروائي حتى نستطيع استخراج الأبعاد الاتصالية للمكان في النص الروائي الجزائري المعاصر، وقد جاء الفصل الأول بعنوان الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب، وقسمناه إلى خمس مباحث سنتناول في المبحث الأول التعريف بعينة الدراسة " المؤلف وملخص الرواية " ، أما في المبحث الثاني فسنحدث عن الأبعاد الاتصالية لثنائية (قسنطينة / باريس) من خلال التقاطبات المكانية لباشلار ولوتمان، وسنتناول في المبحث الثالث تحليل الأبعاد الاتصالية لثنائية (قسنطينة / باريس) من خلال شجرة الوصف لجان ريكاردو، وسنتطرق في المبحث الرابع تحليل الأبعاد الاتصالية لقسنطينة في نص بوكرزازة من خلال الوظائف اللغوية لرومان جاكسون، أما المبحث الأخير فسنتناول فيه تحليل الأبعاد الاتصالية لقسنطينة في نص بوكرزازة من خلال المربع السيميائي لغريماس .

المبحث الأول : التعريف بعينة الدراسة

ولد الروائي والإذاعي والكاتب الجزائري مراد بوكرزازة في 15 / 04 / 1963 بقسنطينة، وهو خريج معهد الحقوق جامعة قسنطينة عام 1989، يكتب القصة القصيرة منذ 1983، ويعد وجها إذاعيا بارزا يقترن اسمه بمدينة قسنطينة وإذاعة قسنطينة الجهوية، نشر مقالات في عدة صحف وطنية منها: الشعب، أضواء، النهار، المساء، الشروق اليومي، كما نشر في عدة جرائد ومجلات عربية بتونس ولبنان والأردن والكويت والسعودية والمغرب.

نشرت أولى روايته شرفات الكلام عام 2001، وأعيد طبعها في الجزائر عام 2002، وفي سنة 2004 أصدر مجموعة قصصية بعنوان الربيع يخجل من العصافير، وفي سنة 2010 نشرت رواية ليل الغريب .

- ملخص رواية " ليل الغريب "

يتناول الروائي الجزائري مراد بوكرزازة في رواية ليل الغريب مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر المعاصر، تتعلق بفتنة سنوات التسعينات من القرن العشرين، أو مايعرف بالعشرية السوداء من خلال حكاية صحفي بالإذاعة يجد نفسه مجبرا على مغادرة البلاد بعد تلقيه تهديدا بالقتل حيث يلتقي فنانة " رسامة " هاربة هي الأخرى، وبين الهرب والعودة

الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

وذكريات الطفولة والمصير المأساوي، تتشكل قصة حب بلغة شعرية شفافة، لكنها تخفي واقعا دمويا ذهب ضحيته كثير من الأبرياء .

تصور الرواية حياة كاتب ومذيع جزائري اسمه رشيد عياد، يقرر مغادرة أرض الوطن (قسنطينة) هروبا من تهديدات الجماعات الإرهابية، ويلتقي بمطار بوضياف وردة أستاذة الرسم، وقد جمعتهما ظروف أمنية واحدة، وتهديه وردة بورتريه / صورة لجسر بعد أن رسمتها أثناء الرحلة .

يبدأ رشيد رحلة البحث عن وردة التي دخلت حياته دون استئذان، فقد كانت طلقتها عليه موجعة و استثنائية أحدثت زلزالا بداخله، وأثناء رحلة بحثه تلك كان يسترجع ذكريات ويقارن بين شوارع باريس وبذخها ومظاهر الحضارة فيها وبين قسنطينة المقفرة التي لا ترحم العشاق .

بعد مدة يلتقي رشيد وردة لتتشابك الحكاية من جديد، تجمعهما أشياء عديدة التهديد بالقتل والفن والمنفى، حيث يقرران العودة، وتتطور علاقتهما لتنتهي بالزواج، وفي ليلة من ليالي قسنطينة المرعبة استفاق رشيد ووردة مفزوعين، كانت الغرفة تعج برجال ملثمين، وفي لحظة كانا مربوطين ومعصوبي العينين بقسوة وحزم، ليتم نقلهما إلى منطقة جبلية بعيدة تدعى تغراست، يكتشف بعدها رشيد أن الملثم بالشارية الحمراء الذي كان يعطي الأوامر هو رضوان أخوه من أمه وأبيه، ثم يحدث أن يغتصب الأمير جمانة زوجته أمامه، ليتركها بعد ذلك لزملائه ليتداولوا عليها تباعا ويستمر مكوثه في الجبل 21 يوما، حيث يصادف في اليوم الأخير غياب كل عناصر السرية، باستثناء فتحي، الشاب الأشقر الذي كان يتفرس ملامحه في العديد من المرات وهو من سيدي بوعنابة، حيث يساعد رشيد على الفرار من قبضة الجماعة الإرهابية، ينقل رشيد إلى مستشفى جبل الوحش، وهو في حالة غيبوبة ويتناول كل أدوية المجانين، وذات يوم يسأل رشيد سامية أخته عن شحوب وجه أمه لتخبره بأنهم عثروا على رأس رضوان ملقى على قارعة الطريق، ويخفي رشيد مع ذلك ألمه وحكاية اختطافه مع زوجته من طرف أخيه، بعدها يعود رشيد إلى العمل بالإذاعة بعد يخبر مدير الإذاعة كل من يعرفه بأنه كان في رحلة علاج بالخارج، لتنتهي الرواية بالطريقة نفسها التي بدأت بها، وهي الكتابة التي تأخذ كل عمره المليئة بالأحزان والذكريات .

الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

المبحث الثاني : تحليل الأبعاد الاتصالية لثنائية (قسنطينة / باريس) من خلال

التقاطبات المكانية لباشلار ولوتمان

- ثنائية (الوطن / الغربية)

إن ثنائية (الوطن / الغربية) هي التقاطب الرئيسي الذي يميز رواية ليل الغريب، ومن خلال هذه الثنائية تنبثق ثنائيات أخرى تظهر خلال الحدث الروائي .

تمثل ثنائية (الوطن / الغربية) بؤرة النص ومنها تتفجر كل الدلالات، وتتفرع عنها ثنائيات أخرى، ومن الثنائية الأصل يتم تأطير سير الأحداث ، ويظهر جليا في نص الرواية الارتباط الشديد للشخصية الأساسية رشيد عياد بالمكان، وبالتحديد مدينة قسنطينة، فهي محور حياة رشيد ولا يستطيع العيش خارجها، مع أن الظروف تدفعه لمغادرتها إلا أنها تبقى حاضرة في ذهنه فهي بلده وهويته وجزء لا يتجزأ منه .

تأتي بلد country في اللغة الانجليزية من الكلمة اللاتينية contrata لتعطي معنى الجذر **مقابل** : " مايقع مقابلا أو مواجهها للنظر، والمشهد الذي يمتد أمام عيني المرء " ، فلهذه الكلمة معنيين المعنى الواسع للبلاد (الأرض الأصلية) والذي يتجلى خاصة في فترة الحرب مثلا يموت المرء شهيدا من أجل بلده، والمعنى الثاني (أي الأجزاء الريفية أو الزراعية منه)⁽¹⁾ ، والمعنى الأول هو الذي نجده حاضر من خلال شخصية رشيد وإرتباطه بقسنطينة حيث يقول : " بالمناسبة ... أكثر من مرة أفكر وبجد في أن أترك هذه المدينة إلى الأبد ... أكثر من مرة أحزم حقائبي وأقسم أنني لن أعود ثانية ... لكنني أنهزم عند بوابات المطار أو محطات القطار، فأجدني أمزق كل التذاكر الممكنة وأعود مرغما ثانية للحوض المائي الصغير الذي تعودت دفعه ، شراسته وقسوته ... " ⁽²⁾ .

فرشيد كل مرة يعقد العزم على ترك قسنطينة، ويوظف الأفعال التالية الدالة على قرار الرحيل " أفكر - أترك - أقسم - لن أعود " إلا انه يتراجع عن هذا القرار فهو كالسمة التي إذا خرجت من الحوض المائي تموت، فتأتي الأفعال التالية " أنهزم - أمزق - أعود " لتدل على العدول والتراجع عن قرار الرحيل.

(1) طوني بينيت . ميغان موريس وآخرون: مرجع سبق ذكره، ص145 - 146 .

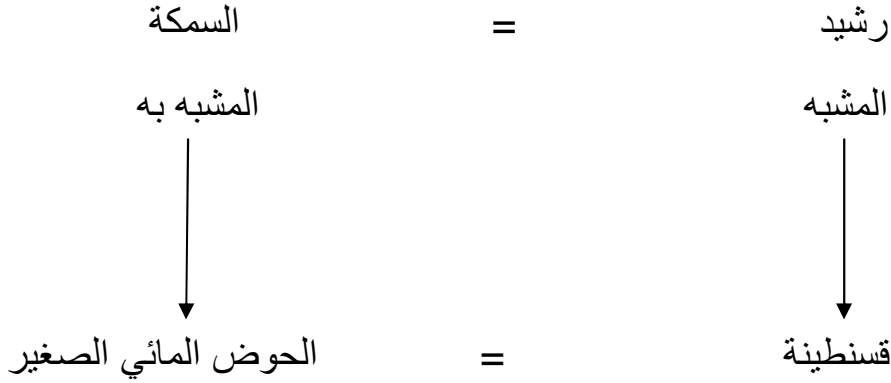
(2) مراد بوكرزازة: ليل الغريب، (ط3؛ الجزائر: دار الألفية، 2014)، ص9 .

الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

فهو في صراع بين ثنائية :

أترك ← قسنطينة → أعود

كما نجد أن رشيد يشبه نفسه بالسمكة في النص، مع غياب المشبه به " السمكة " وحضور المكان الذي تعيش فيه السمكة " الحوض المائي الصغير " ويدل الحوض هنا على مدينة قسنطينة .



يقول رشيد أيضا في موضع آخر " أذكر جيدا يوم غادرت قسنطينة، كنت أحمل غصة في الحلق وثقلا في صدري، لا اعرف كيف أسمىه، وأني صباحا كنت احمل حقيبة كأني كنت ممددا في نعش الوقت وأمضي إلى حتف لا أحب على الإطلاق " (1) .

إن البشر يرتبطون إرتباطا وثيقا وحيويا بالمكان الذي يعيشون فيه، فالانسان يعيش في جسده وبه، ويموت إذا أصيب هذا الجسد، ولكن هناك مساحة تجاوز جسد الانسان، ولا تقل أهمية بالنسبة لحياته، وهذه المساحة تختلف على المستوى الفردي أو الاجتماعي أو القومي، ولكنها محددة ومعروفة على هذه المستويات جميعا، وتمثل هذه المساحات دوائر مرتكزة تتسع من حيز فردي يمارس فيه الفرد حياته اليومية، إلى حيز جماعي تنظمه الجماعة لتحافظ على تماسكها وتناغمها، إلى حيز قومي تحارب الدول لحمايته(2)، إن أهمية المكان لا تكمن في بعده الحسي وحسب، بل لأنه الحيز الذي يحتوي عمليات التفاعل بين الأنا والعالم، من خلاله نتكلم وعبره نرى العالم ونحكم على الآخر، فهو موقع وموقف من الحياة مرهون بجدلية تفاعل الإنسان معه، سواء على مستواه الشخصي أو الجمعي (3) .

(1) مراد بوكرزازة : مرجع سبق ذكره، ص31 .

(2) سيزا قاسم وآخرون : مرجع سبق ذكره ، 60 .

(3) أحمد العدواني : بداية النص الروائي، (ط1؛ المغرب، المركز الثقافي العربي، 2011)، ص102 .

الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

تعلق رشيد بقسنطينة ظهر عليه حين غادر قسنطينة من خلال آثار وآلام جسمانية، فاختلف الألم النفسي بالألم الجسدي " غصة في الحلق - ثقلا في صدري - ممددا في نعش الوقت - أمضي إلى حتف لا أحب " .

وتأتي كلمة " حقيقية " المذكورة في النص لتخرج من معناها المادي الملموس إلى معنى معنوي حيث تدل الحقيقية هنا على الرحيل والسفر .

تزداد أهمية المكان إذا تحول في مفهومه كمكان مادي، أي إذا حصل تحول في علاقة الشخصية به⁽¹⁾ ، ومن هنا يتجسد الطابع الاتصالي للمكان " قسنطينة " وتبرز العلاقة الاتصالية بين رشيد عياد وقسنطينة، فمغادرة قسنطينة أحدثت في كيان رشيد التالي :

مغادرة قسنطينة ← غصة في الحلق - ألم جسدي ناتج عن ألم نفسي -
← ثقلا في صدري - ألم نفسي شديد -
← ممددا في نعش الوقت - ألم نفسي مرفق بالحيرة -
← أمضي إلى حتف لا أحب - ألم نفسي وإحساس بالضياع

من خلال ملكة الخيال نجد أن الأدباء يبدعون في رسم صورة المكان ليقدّموا المكان وفق إنطباعاتهم النفسية، ليمتد ذلك الموقف إلى القارئ أيضا، فمنذ الكلمات الأولى التي تعرض للحديث عن مكان ما يسترجع القارئ مكانا ينتسب إلى ماضيه، ويفتح بابا لأحلام اليقظة وللعادات المرتبطة بتلك الأحلام وذلك المكان، وكما أن المكان يسهم في تشكيل الإنسان (المزاج والخيال و البشرة والجسد ...) كذلك يقوم الإنسان بوسم المكان بمعان شتى وهو مايعني أن العلاقة بين الإنسان والمكان تقوم على التأثير المتبادل⁽²⁾ .

هكذا يظهر البعد الاتصالي للمكان من خلال الجمل التالية التي تعبر عن إرتباط الشخصية بالمكان(قسنطينة) :

(1) لطيف زيتوني : مرجع سبق ذكره، ص101 .

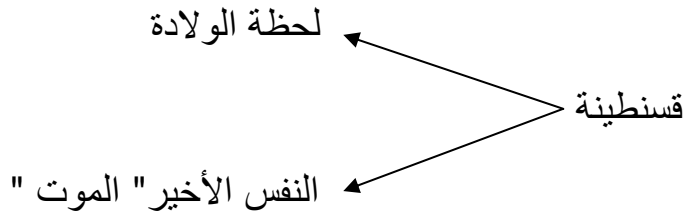
(2) أحمد العدوانى : مرجع سبق ذكره، ص102.

الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

الجمل المفتاحية الدالة على البعد الاتصالي لقسنطينة من خلال شخصية رشيد عياد
- أنهزم عند بوابات المطار أو محطات القطار .
- أجدني أمزق كل التذاكر الممكنة .
- أعود مرغما للحوض المائي الصغير الذي تعودت دفنه ...
- غصة في الحلق وثقلا في صدري .
- كأني ممددا في نعش الوقت .
- أمضي غلى حتف لا أحب على الاطلاق .

إن شعور رشيد بثنائية (الوطن / الغربة) تبدأ قبل الرحيل والسفر ومغادرة الوطن، خاصة عندما يصل إلى بوابات المطار ومحطات القطار فنجد هنا يعدل عن قرار الرحيل ويتراجع.

كما تبرز الدلالات الاتصالية لقسنطينة في قول رشيد " اسمي رشيد عياد، بقسنطينة ولدت، بها تمنيت أن أموت " (1) .



رشيد هنا يربط بين ثنائية " الحياة / الموت " في علاقته بقسنطينة، وهذا لشدة حبه لها وارتباطه بها، فالقيمة التي يضيفها الفرد على المكان تختلف من مجتمع إلى آخرن ولكن الظاهرة التي تجمع بين البشر جميعا هي أن الفرد يدافع عن مكانه، وكثيرا ما يمنع الآخرين من الولوج إليه (2) .

(1) مراد بوكرزازة : ص 36 .

(2) سيزا قاسم وآخرون : ص 60 .

الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

فبطاقة الهوية للشخصية مرفقة بالاسم مباشرة رشيد عياد تليها مكان العيش مع الأمانة المطلقة بالحياة والموت فيه .

إن للهوية identity علاقة بالتطابق مع الذات عند شخص ما أو جماعة اجتماعية ما في جميع الأزمنة وجميع الأحوال فهي تتعلق بكون شخص ما أو كون جماعة ما قادرا أو قادرة على الاستمرار في أن تكون ذاتها، وليس شخصا أو شيئا آخر⁽¹⁾، وهذا الكلام يتطابق تماما مع شخصية رشيد الذي ظل محتفظا بكونه قسنطيني حتى بعد سفره إلى باريس وإتخاذ قرار عودته لقسنطينة مرة أخرى رغم خطر الموت المحدق به .

نجد أن قسنطينة قد حظيت باهتمام عدد لا بأس به من الكتاب والمثقفين الذي حاولوا أن يؤرخوا لأحداثها السياسية والاجتماعية والثقافية، ويدونوا أخبارها القديمة والحديثة، ومن بين هؤلاء هناك أربعة كتبوا جميعا عن قسنطينة، وفي وقت واحد تقريبا ، وهو منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وهم :

- الشيخ الحاج أحمد بن المبارك بن العطار الميلي القسنطيني .

- الشيخ صالح بن العنتري .

- الشيخ محمد البابوري .

- المترجم المستشرق limby⁽²⁾ .

لذا فليس غريبا أن نجد حضورا طاغيا لهذه المدينة العريقة في الرواية الجزائرية المعاصرة، لما تملكه من تاريخ يعرفه القريب والبعيد، ومن بين الروائيين المعاصرين الذين وظفوا مدينة قسنطينة في رواياتهم الروائي باديس فوغالي الذي استشهد أيضا بأقوال بعض الشخصيات الأدبية العالمية عن قسنطينة، حيث يقول في روايته الموسومة ذاكرة الوشم :

" قسنطينة الجميلة، الفاتنة، التي قال فيها كاتب القصة الفرنسي جي دي موبيسان . إنها مدينة ظاهرة، فهي غريبة في منشئها، يشبه واديها الثعبان الحارس الرابض عند قدميها، إنه يحيطها بهوة سحيقة، مرعبة وملتوية بصخورها اللامعة..."⁽³⁾ .

(1) طوني بينيت وآخرون : ص700 .

(2) محمد الصالح بن العنتري: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلانهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، (طبعة مصححة؛ الجزائر: دار هومة، 2007) ، ص7 - 8 .

(3) باديس فوغالي : ذاكرة الوشم ، (الجزائر: منشورات الاختلاف، 2009)، ص73 .

الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

هذا الوصف المطول لمدينة قسنطينة من خلال الاستشهاد بأقوال أدباء عالميين يبرر كثرة حضورها في الرواية الجزائرية المعاصرة ، لكن في رواية ليل الغريب تحضر قسنطينة كثنائية فرغم إرتباط رشيد بها فهي المكان الاول والوطن إلا أن حياته مهددة بالقتل لذا يجبر على مغادرتها إلى باريس، يقول رشيد : " أنا الهارب من قسنطينة الموت إلى باريس الغربية والضياح ... " (1) .

" ... من قسنطينة التي حاولت جاهدة أن تغتالني بالإشاعة، بالحاجز المزيف، بالرصاص الطائشة، إلى باريس، باريس الأضواء، التواطؤ... " (2) .

فقسنطينة لم تعد الآن مكانا آمنا، لذا يضطر للرحيل إلى باريس حيث الغربية، الغربية المكانية، ويقصد بالغربة المكانية ذلك الاحساس الذي يشعر به الانسان في بعده عن أهله ووطنه، ويظل هذا الشعور بالغربة، والاحساس بالحرمان من تراب الوطن ورائحة الانتماء والتجذر قائما مادام هذا الوطن محفورا في الذاكرة(3) ، ولطالما إرتبط المكان إرتباطا لصيقا بمفهوم الحرية، ومما لاشك فيه أن الحرية - في اكثر صورها بدائية - هي حرية الحركة، ويمكن القول أن العلاقة بين الانسان والمكان تظهر بوصفها علاقة جدلية بين المكان والحرية، وتصبح الحرية في هذا المضمار هي مجموع الأفعال التي يستطيع الانسان أن يقوم بها دون أن يصطدم بحواجز أو عقبات، أي بقوى ناتجة عن الوسط الخارجي، لا يقدر على قهرها أو تجاوزها(4) .

إن التهديد بالقتل هو مادفع رشيد إلى اختيار باريس كغربة، ومكان يحتمي به، ولكن تظل الشخصية مهما إنتقلت إلى أمكنة أخرى مرتبطة بالأصل، لأنه منبع جذوره وهويته (5) .

(1) مراد بوكرزازة : ص 37 .

(2) المرجع نفسه : ص 39 .

(3) قمره عبدالعالي "الغربة والاعتراب والبحث عن الهوية في رواية " كريمة توريوم " سوناتا لأشباح القدس لواسيني الأعرج "، حوليات الآداب واللغات ، العدد 1 (2013)، ص 37 .

(4) سيزا قاسم وآخرون: ص 62 .

(5) أحلام معمري: بنية الخطاب السرد في رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي، (رسالة ماجستير)، جامعة ورقلة ، 2004، ص 53 .

الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية ليل الغريب

قسنطينة ← باريس

(الوطن - الموت) (الغربة - الحياة)

منه يمكننا أن نجمل الجمل الدالة على انقطاع الاتصال بين الشخصية وقسنطينة على المستوى الجسدي فقط والاحتكاك بالمكان، وليس على المستوى الروحي وما يرتبط بذاكرة المكان .

الجمل الدالة على انقطاع الاتصال بين قسنطينة ورشيد و عياد
- أنا الهارب ...
- من قسنطينة الموت ...
- أن تغتالني بالإشاعات ...
- بالحاجز المزيف
- بالرصاص الطائشة ..

- ثنائية (الاتصال / الانقطاع)

يقارن أ. مول، و إ. رومير المكان الذي يحيط بالانسان بالبصلة، فالفرد يحتل قلب البصلة وتمثل الأماكن المحيطة به طبقات البصلة، وتتسع هذه الطبقات كلما اتسعت مجالات أفعاله ونشاطه، فكل فرد تحيط به عدد من القواقع، أقربها إليه جلده، الذي يمثل الحد الفاصل بينه وبين العالم، ثم تنتالي القواقع تباعا: أقربها إلى الجلد الثياب، ثم الحركة، ثم الغرفة، ثم الشقة، ثم المبنى ثم الحي، ثم المدينة، ثم المنطقة، ثم البلد، ثم العالم⁽¹⁾ .

الجلد - الثياب - الحركة - الغرفة - الشقة - المبنى - الحي - المدينة - المنطقة - البلد - العالم

الاتصال

(1) سيزا قاسم وآخرون : ص 60 .

الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

من خلال هذه الدراسة نستطيع استخراج سلسلة مكانية تبدأ من جلد الانسان وتنتهي إلى العالم ككل، وهذا دليل كافي أنه في قلب احتكاكنا مع المكان هناك بعد اتصالي وهناك رسائل اتصالية من _____ إلى بين الشخصية والمكان .

لذلك من خلال ثنائية (الاتصال / الانقطاع) نتضح لنا ثنائية (البقاء / الرحيل)، ويمكن أن نوضح ذلك من في الجدول التالي :

البعد الاتصالي لقسنطينة من خلال شخصية رشيد عياد			
الانقطاع (الرحيل)		الاتصال (البقاء)	
الأفعال الدالة على الاتصال	الأفعال الدالة على الانقطاع	الأسماء الدالة على الاتصال	الأسماء الدالة على الاتصال
- الهارب	- حاولت	- مرغما	- أنهزم
- الموت	- تغتالني	- الحوض المائي	- أمزق
- الاشاعة		- غصة في حلقي	- أعود
- الحاجز		- ثقلا في صدري	- أمضي
- المزيف		- ممددا في نعش	- لا أحب
- الرصاصة		- الوقت	

يوضح هذا الجدول مبررات الاتصال، ومبررات الانقطاع رغم إرتباط الشخصية الشديد بالمكان من خلال صيغ لفظية " أفعال - أسماء " دالة، لم يقم المؤلف بتوظيفها في النص عبثا بل لتصف شعور الشخصية بشكل يجعل القارئ يحس به ويتخيل نفسه هو مكان الشخصية .

- ثنائية (هنا / هناك)

بعد التطرق لثنائية (الوطن / الغربة) وثنائية (الاتصال / الانقطاع) نجد ثنائية أخرى تحضر في النص عندما يصل رشيد إلى باريس، ويبدأ بمقارنتها بقسنطينة، وهي ثنائية (هنا / هناك) وتتبعها ثنائية (الخوف / الأمان) .

الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

يصف رشيد " هنا - الأمان " المتمثلة في باريس:

- " باريس التي دخلتها ليلا كانت تشبه الجنة، تشبه الأمانى المستحيلة، القبل المبتغاة، مثل تشبه الضوء الذي فاجأ الفراشة التي صدقت الربيع حين كذب على جناحيها، بالورد في الكهف حين تزوره الشمس ... " (1) ، "لفتني باريس كنساء الروايات التي نقرأها مئات المرات " (2) .

- " ماعدت باريس ترعيني - كما حدث الأمر عند البدء - ، صرت أدخلها مدعما بالأسرار ... " (3) ، " في زحام التنقل تسرقني باريس، أركض في أثر تفاصيلها فراشة أرهقها الضوء ألا يكفي أني أدخلها صباحا ... " (4) .

في حين يستحضر رشيد قسنطينة " هناك - الخوف " كالتالي :

- " خلفي كما لو أن الأمر ماثلا أمامي تركت شعبا من العشاق، مدينة حزينة، حد اليأس ... " (5) ، " خلفي كما لو أن الأمر ماثلا أمامي تركت مدينة تنام في السادسة مساء، تشبه الإدارة جدا في التوائها وكسلها ... " (6) .

- " خلفي كما لو أن الأمر كان ماثلا أمامي، تركت مدينة بضمير معنوه، وقلب مضروب في نبض مريض وتركت هاتفا يلغو، يهددني بالقتل حيناً، يتوعدني بالحريق حيناً آخر " (7) .

- " خلفي كما لو أن الأمر كان ماثلا أمامي، تركت مدينة لا تقرأ الشعر كثيراً، لا تحب العصافير، تطاردها حتى في السماءات البعيدة " (8) .

(1) مراد بوكرزازة : ص 39 .

(2) المرجع نفسه : ص 45 .

(3) المرجع نفسه : ص 55 .

(4) المرجع نفسه : ص 56 .

(5) المرجع نفسه : ص 41 .

(6) المرجع نفسه : ص 43 .

(7) المرجع نفسه : ص 45 .

(8) المرجع نفسه : ص 49 .

الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

يوضح الجدول التالي لنا أن باريس " هنا - الأمان " تتناقض تماما مع قسنطينة " هناك -
الخوف " ولا وجه للتشابه بينهما .

البعد الاتصالي لقسنطينة / باريس من خلال شخصية رشيد عياد			
قسنطينة		باريس	
الجمل الدالة على " الخوف "	الجمل الدالة على " هناك "	الجمل الدالة على " الأمان "	الجمل الدالة على " هنا "
- نبض مريض . - قلب مضروب . - هاتفها يلغو . - يهددني بالقتل . - يتوعدني بالحريق . - تطاردها حتى في السماءات البعيدة .	- تركت شعبا من العشاق . - مدينة حزينة . - حد اليأس القاتل . - تنام في السماء السادسة . - تشبه الإدارة في التوائها . - مدينة بضمير معتوه . - مدينة لا تقرأ الشعر كثيرا . - لا تحب العصافير	- دخلتها ليلا . - لفتني . - ماعادت باريس ترعبي .	- تشبه الجنة . - تشبه الأمانى المستحيلة . - القبل المبتغاة . - نساء الروايات . - تسرقني باريس . - أركض في أثر تفاصيلها .

الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

هكذا يتضح لنا بأنه يمكن ربط المكان بالمشاهد الوصفية في الرواية بدرجة أولى، غير أن الوصف المجرد لا يستطيع بمفرده بناء فضاء روائي، ما يعني أنه من الممكن تقديم المكان من خلال الشخصيات التي تعمره، أو من خلال الأحداث التي تجري عليه، أو من خلال تأملات شخوص الرواية وعوالمهم الداخلية، وبالتالي فليس المكان محصوراً في جانب الوصف فقط بل كذلك يعرض السرد المكان بطريقته الخاصة، انطلاقاً من وحدة العمل وتكامل عناصره .

إذا كان الوصف قادراً على تقريب المكان من القارئ، تبعاً لرسمه صورة بصرية تجعل إدراك المكان بواسطة اللغة ممكناً، فإن هذا الوصف مجرد تمهيد لاخترق الشخصيات المكان بوجهات نظرها الخاصة (1) .

المبحث الثالث : تحليل الأبعاد الاتصالية لثنائية (قسنطينة / باريس) من خلال شجرة الوصف لجان ريكاردو

إن تحديد أوصاف المكان في النص الروائي يساعدنا على استخراج واستنباط الرسائل الاتصالية المباشرة وغير المباشرة التي يحملها في جعبته .

فالعالم كما يقول ريكله : " العالم كبير، ولكنه في داخلنا عميق كالبحر " (2) ، فالحدود المكانية التي يرسمها الروائي تكون ضيقة أحياناً تعطي الشعور بأن الشخصية تعيش في نوع من السجن، أو تكون مفتوحة فتعطي الشعور بالانطلاق والحرية والحركة (3) ، ولا يتضح لنا هذا إلا من خلال الوصف .

حتى يتم وصف المكان بكل جزئياته وأبعاده ، يستثمر الروائي العناصر الفيزيائية للمكان بحيث يجعلنا نقف على الصور الطبوغرافية للمكان، والتي تخبرنا عن مظهره الخارجي، وهو إذ يفعل ذلك إنما يريد أن يدخل العالم الخارجي بجزئياته في عالم الرواية التخيلي، حتى يشعر القارئ أنه يعيش حقاً في عالم واقعي وليس في عالم متخيل (4) .

(1) أحمد العدواني : مرجع سبق ذكره، ص 104 - 105 .

(2) غاستون باشلار: جماليات المكان، مرجع سبق ذكره، ص 170 .

(3) لطيف زيتوني: ص 129 .

(4) سليم بركة: مرجع سبق ذكره، ص 6 .

الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

في رواية ليل الغريب يصف رشيد عياد قسنطينة بأوصاف معنوية أكثر منها مادية كون أحداث الرواية تدور حول فترة العشرية السوداء، الفترة الأكثر دموية في الجزائر.

- " ماأقل الذين يبكون في قسنطينة علنا" (1) .

- " عن الخيبات التي تجتهد قسنطينة في أن لا تلتفت إليهم " (2) .

- " تصر قسنطينة على سخافتها وابتذالها " (3) .

كل هذه الأوصاف المعنوية تعبر عن واقع قسنطينة من وجهة نظر رشيد عياد " قلة البكاء علنا - لا تلتفت إليهم - السخافة والابتذال " ، يحاول رشيد أن يتمرد على هذا الواقع أن يكون هو لا غيره، ولكن هذا الإداعي يهدد بالقتل .

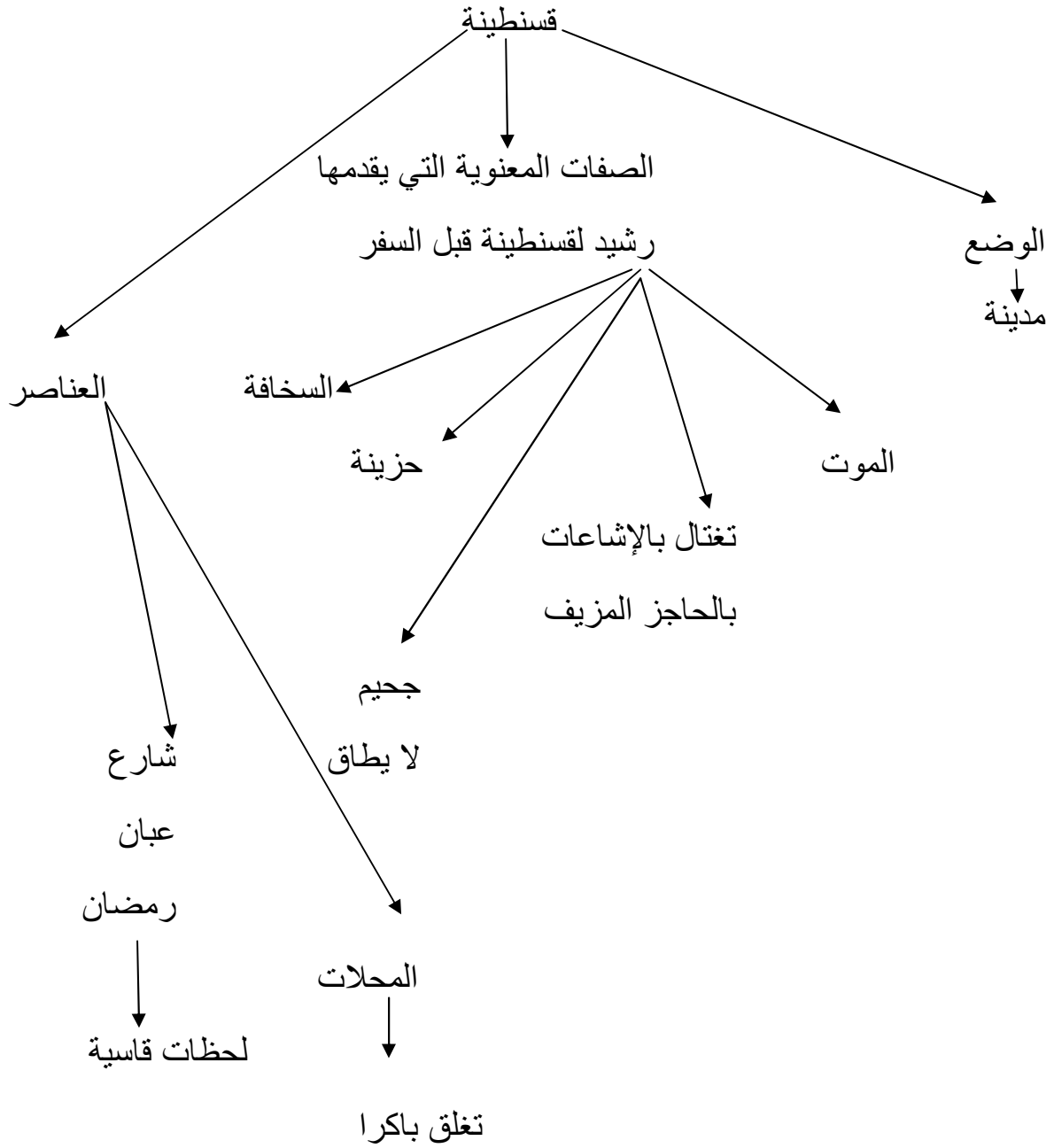
(1) مراد بوكرزازة : ص13 .

(2) المرجع نفسه : ص13 .

(3) المرجع نفسه : ص23 .

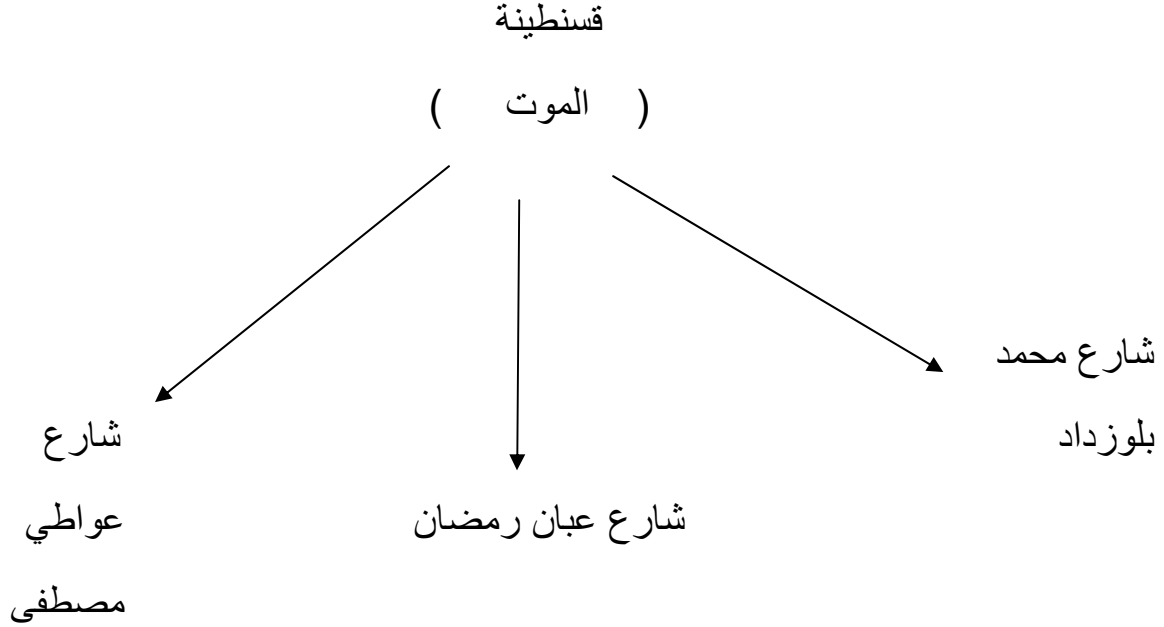
الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

إذا فقسنطينة حسب رشيد عياد هي كالتالي :



الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

قسنطينة كما جاءت في أحداث الرواية : " قسنطينة التي غادرناها يوماً هروباً من الموت نعود إليها وإليه " (1) .



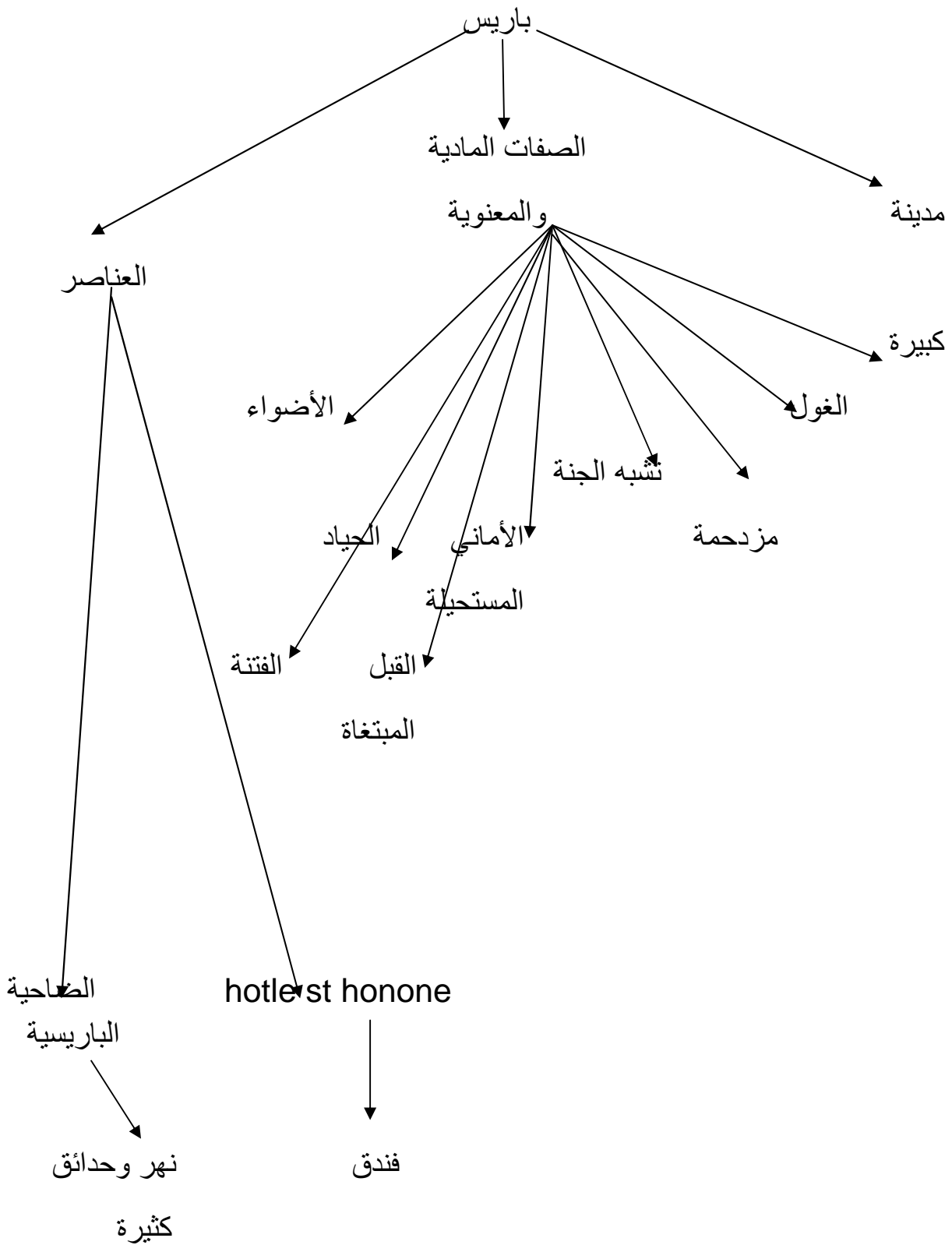
كل هذه الأماكن الفرعية تشترك مع المكان الرئيسي " قسنطينة " بأنها ملجأ للموت، كما أنها فوق ذلك كله تحرمك - حسب رشيد عياد - أن تعيش الوجد أن تجهر به، ولكن رشيد يفعل العكس " يروقتي جداً أن أمارس الحرفة إياها، أن أثبت لهم جميعاً أنني عامر بالأنهار، بالدمع، وإني مع كل حرقه تكوي الجفن أسافر لسماء بعيدة " (1) .

أما باريس مع أنها مكان الغربية والضياع، إلا أن رشيد فر إليها من التهديد وخطر الموت فيصفها " يدخل الناس باريس من زقاق ضيق ثم تبدأ الحكاية في الاتساع ... " (2) .

(1) مراد بوكرزازة : ص 13 .

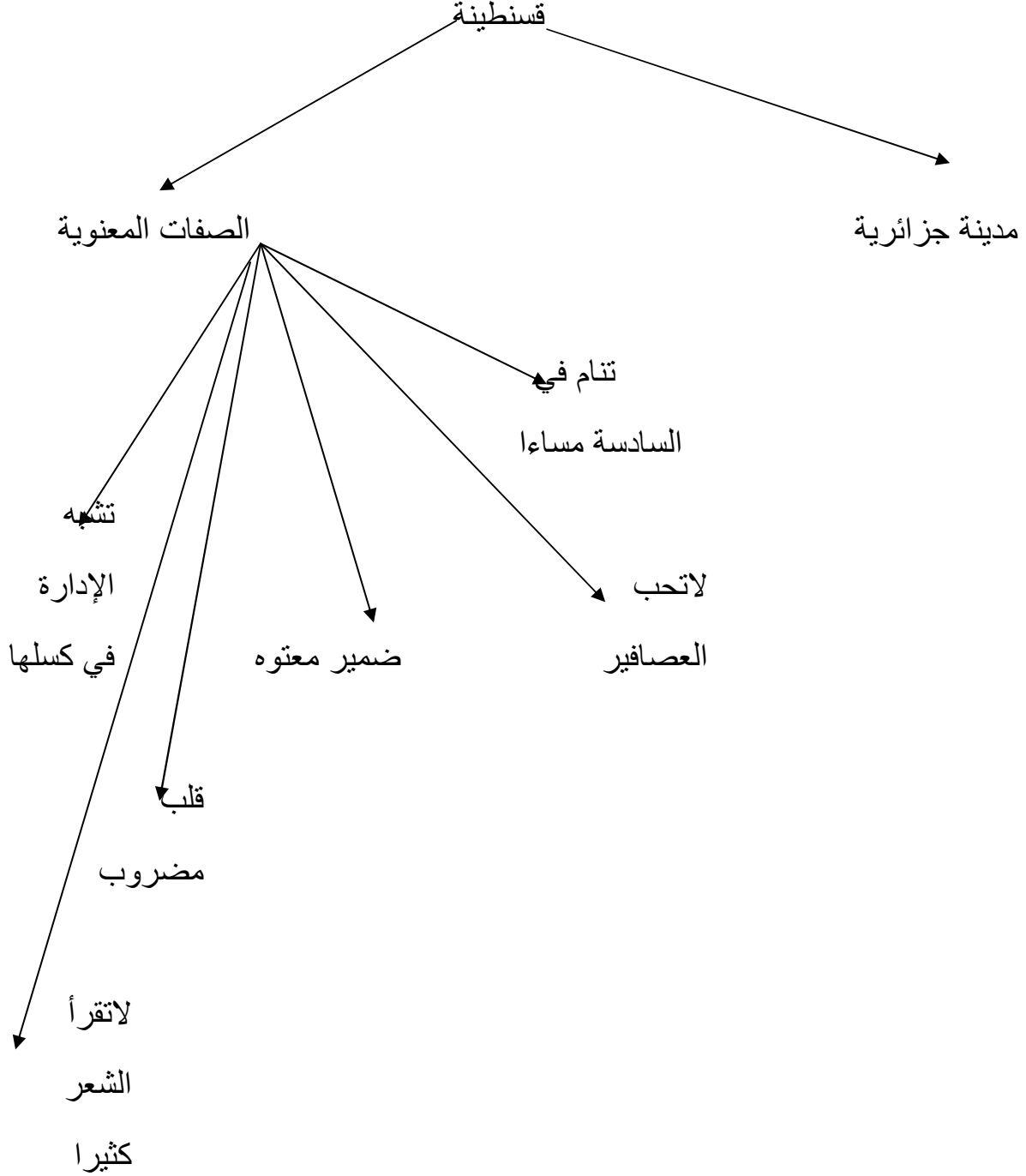
(2) مراد بوكرزازة : ص 40 .

الفصل الأول — الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب



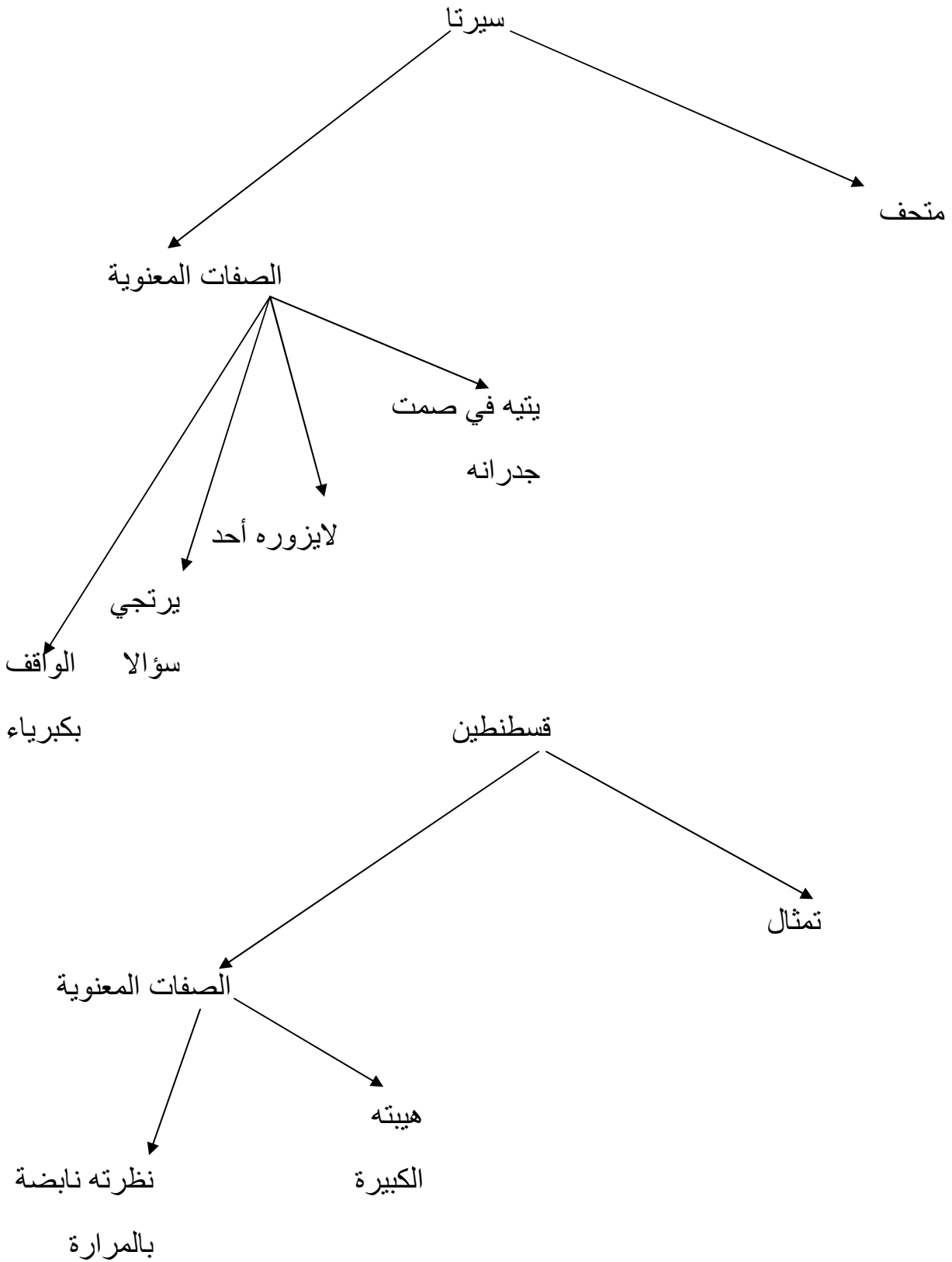
الفصل الأول — الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

في الأيام الأولى لاقامته في باريس بدأ رشيد عياد يستحضر قسنطينة ، قسنطينة الذاكرة فيصفها كالتالي :



الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

كما يصف بعض المعالم التاريخية في مدينة قسطنطينة مثل متحف سيرتا وتمثال قسطنطين



الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

هكذا نجد أن المكان يمثل قوة اتصالية خاصة على مستوى الذاكرة، فارتباط رشيد بقسنطينة جعله يصفها وكأن القارئ يراها أمام عينيه صورة مكتوبة لا عملية استحضار واسترجاع لمدينة عريقة، وخلال استحضاره لذاكرة المكان يستعيد الحنين إليها فيقول: " تركت مدينة هي الأحلى في الدنيا " (1) .

- " قسنطينة أغنية قاسية هي الغربية ... " (2) .

فمن خلال شجرة الوصف استطعنا معرفة مدى ارتباط رشيد بمدينة فهو يحفظ شوارعها وأحيائها عن ظهر قلب، ويخاطبها كأنها كائن حي " قسنطينة " .

المبحث الرابع : تحليل الأبعاد الاتصالية لقسنطينة في نص بوكرزازة من خلال الوظائف اللغوية لرومان جاكبسون

إن استحضار ذاكرة المكان، وتكرار اسم قسنطينة أعطى للمكان طابعا اتصاليا يمكن أن نبينه في هذه الخطاطة :

سياق " خبرات رشيد "

وظيفة مرجعية

قناة " المتخيل "

وظيفة انتباهية

مرسل ← الرسالة ← مرسل إليه

قسنطينة

" آلام وأوجاع الغربية "

رشيد " وظيفة انفعالية "

" وظيفة إفهامية "

وذكريات الماضي "

(1) مراد بوكرزازة : ص 52 .

(2) مراد بوكرزازة : ص 71 .

الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

ليعترف رشيد في الأخير بأنه : " صحيح إن باريس أجمل عاصمة بالدنيا، لكني كالأسماك لا تحسن العيش خارج المياه الإقليمية لمسقط القلب ونشأة الروح " (1)، وسنقوم بتحليل الخطاطة على النحو التالي :

- مرسل " وظيفة إنفعالية " :

كاتب وإذاعي اسمه رشيد عياد تضطره الظروف إلى السفر إلى باريس هروبا من التهديد بالقتل " تركت طردا بريديا وصلني منذ أيام فيه كفن وقطعة صابون رخيصة، تركت رسالة لم أقرأ غير سطورها الأولى المكتوبة بخط حاقد ردى : لك أن تختار الخاتمة يوم الخميس أو الجمعة ... " (2) .

- مرسل إليه " وظيفة إفهامية " :

يتمثل في قسنطينة التي يبث لها رشيد ما في جوفه من كلام وذكريات، ونجدها مذكورة بالاسم في كثير من أحداث الرواية .

- " ... وفي صمت قسنطينة ... " (3) ، " في زحام الموت كنا ننفلت لمدينة مشتركة: قسنطينة ... " (4) .

- الرسالة " وظيفة شعرية " :

يشكو رشيد لقسنطينة الغربية، ويتذكر طفولته وحياته فيها " قسنطينة بيني وبينك احتفال صاحب، يبدأ الاحتفال بكأس أولى " (5) ، " كنت في السابعة من عمري عندما اكتشفت وادي الرمال ... " (6) ، " كنت في قسنطينة أدخل البيوت كل اليوم ، أحمل أغنية وقصاصة صغيرة وأدجج ساعات الناس بالفرح العامر... " (7) .

(1) مراد بوكرزازة : ص83 .

(2) المرجع نفسه: ص45.

(3) المرجع نفسه: ص96 .

(4) المرجع نفسه: ص119 .

(5) المرجع نفسه : ص71 .

(6) المرجع نفسه: ص76.

(7) المرجع نفسه : ص78 .

الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

- القناة " وظيفة إنتباهية " :

تتمثل في المخيال أو المتخيل على حسب المواقف التي مر بها رشيد في باريس منها مشهد القبلية بين فتاة وشاب في باريس وتساءل " ماذا لو أن هذا الأمر حدث في قلب قسنطينة؟ " (1) ، " خلفي كما لو أن الأمر ماثلا أمامي، تركت شابا يصعد السلالم خفية، يفتح باب شقة... ومع كل قبلة يتوقع أن تأتي قسنطينة كل قسنطينة ترميه بالحجارة " (2) .

رشيد عند استرجاعه للذكريات والأحداث نجده يستعمل كلمة " خلفي " أو يقول قسنطينة مباشرة .

لفظ " خلفي " ← استرجاع واستحضار .

لفظ " قسنطينة " ← البوح والاعتراف .

- سياق " وظيفة مرجعية " :

يتمثل في خبرات رشيد بالمكان " قسنطينة " عند الخامسة مساءً أينام شارع الأمير عبد القادر، تبدو بيوته المتلاصقة، وأزقته الضيقة الخالية كالمقابر، تحوم رائحة الموت طويلا، في العاشرة تداهم دورية أحد البيوت... " (3) ، " ... وهو يدخل معي شوارع وأزقة قسنطينة ... " (4) .

فدور الاتصال هو نقل شكل الرسالة، ومع أن الاستحضار كان في حالة صمت أي أنه نوع من الاتصال غير اللفظي إلا أنه يعبر عن إحتكاك وإرتباط الشخصية بالمكان، وإتخاذ قرار العودة رغم الموت المنتظر الذي يفضي في الأخير إلى استقبال قسنطينة له بخبر وفاة أبيه، ثم إختطافه هو وزوجته لاحقا من قبل الجماعات الإرهابية، وإغتصاب زوجته من طرف أبوجمانة .

(1) مراد بوكرزازة : ص 41 .

(2) المرجع نفسه: ص 41 - 42 .

(3) المرجع نفسه: ص 76 .

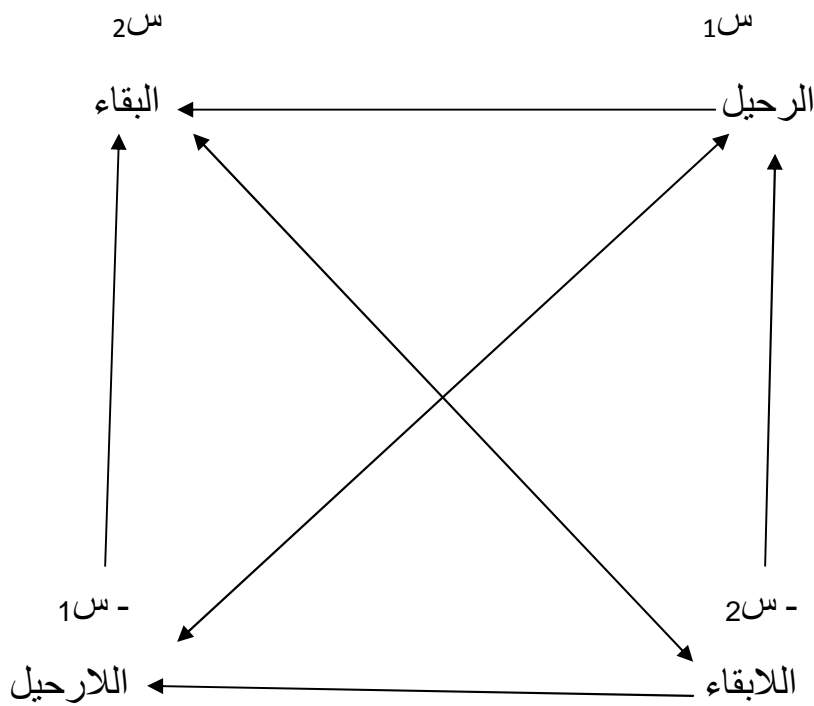
(4) المرجع نفسه: ص 83 .

الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

المبحث الخامس : تحليل الأبعاد الاتصالية لقسنطينة في نص بوكرزازة من خلال المربع السيميائي لغريماس

يقول رشيد عياد : " أكثر من مرة أفكر وبجد في أن أترك هذه المدينة إلى الأبد .. أكثر من مرة أحزم حقائبي وأقسم أنني لن اعود ثانية ... لكني أنهزم عند بوابات المطار أو محطات القطار، فأجدني أمزق كل التذاكر الممكنة وأعود مرغما " .

من خلال الفعلين " أترك - أعود " نستخرج ثنائية " الرحيل / البقاء " التي سنطبق عليهما المربع السيميائي :



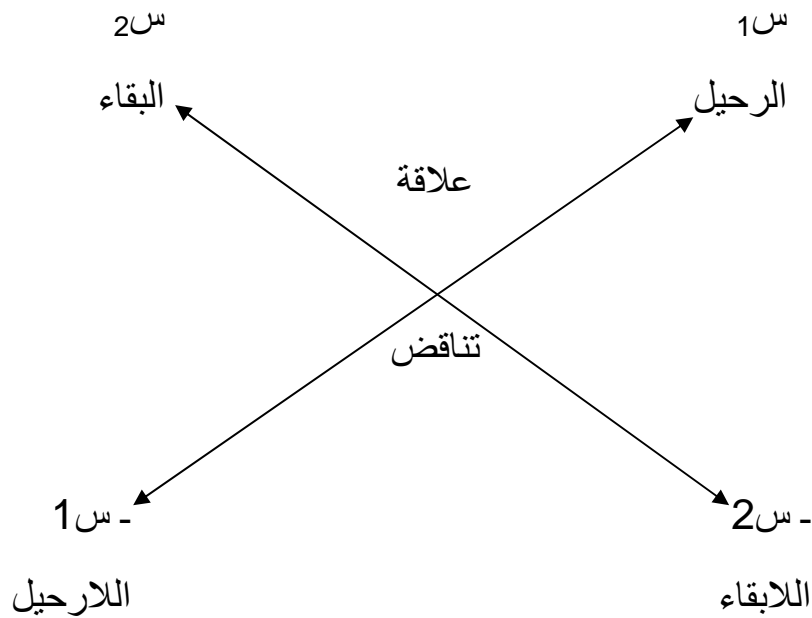
- نجد أن 1س (الرحيل) و 2س (البقاء) بينهما علاقة تعارض أو تضاد، فالمصطلح الأول يفترض الآخر .

1س ← 2س

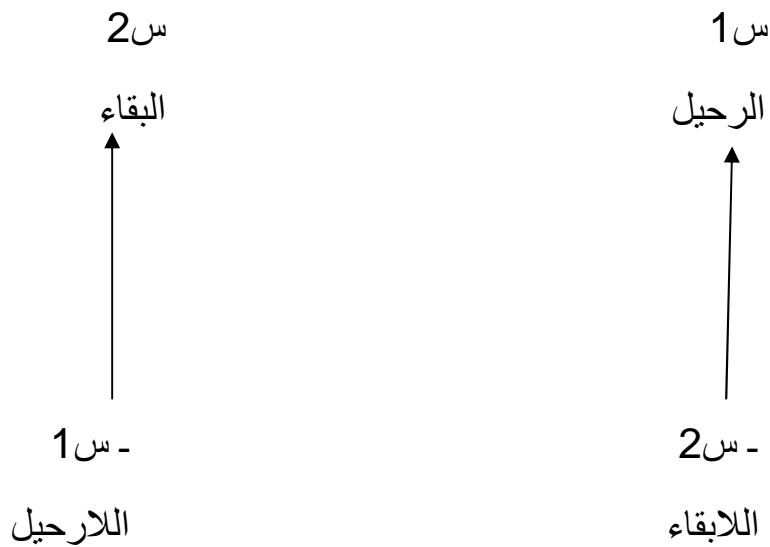
علاقة تضاد أو تعارض

الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

- نجد أن س₁ (الرحيل) و - س₁ (اللارحيل) بينهما علاقة تناقض، و س₁ تنقض - س₁ ،
وهناك أيضا علاقة تناقض بين س₂ (البقاء) و - س₂ (اللابقاء)، و س₂ تنقض - س₂ .



- أما - س₁ (اللارحيل) و س₂ (البقاء) بينهما علاقة تضمينية، و - س₁ تتضمن س₂ ،
وكذلك - س₂ (اللابقاء) بالمثل تتضمن س₁ (الرحيل) .



الفصل الأول _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب

وفقا لدوسوسير لا توجد دلالة إلا في الاختلاف، ووفقا ليلمسليف فإن اللغة أساسا ليست إلا نظاما من العلاقات، وعلى هذا ففي تحليل الدلالة، فإن السيميائية تنطلق من التعرف على الاختلافات إلى العلاقة التي تنهض عليها لذا فإن المربع السيميائي **semiotic square** ليس إلا تمثيلا مرئيا للبنية الأولية للدلالة، وهو التعبير المنطقي لأي مجموعة دلالية، وهذه البنية الأولية تحدد بثلاث علاقة :

- التباين أو التعارض .

- التناقض .

- التضمين (1) .

لذا نجد أن رشيد عياد يعيش حالة شعوية تجمع ما بين البقاء والارحيل و الرحيل والابقاء من قسنطينة وهناك تتوضح أكثر معالم العلاقة الاتصالية بين الشخصية الروائية (رشيد) والمكان (قسنطينة) كونه المنبع والوطن والأصل والهوية .

ومن خلال هذا العرض للفصل الأول من الجانب التطبيقي الموسوم بالأبعاد الاتصالية للمكان في ليل الغريب، نجد أن للمكان بعد اتصاليا في رواية ليل الغريب ويبرز ذلك أكثر من خلال إحتكاك الشخصية به، وإستحضارها له في الغربة ، وإتضح لنا ذلك من خلال الصيغ اللفظية الدالة الموجودة في النص الروائي .

(1) برنوين ماتن . فليزيتاس رينجهام: مرجع سبق ذكره، ص 167 - 168 .

**الفصل الثاني : الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية
تفنست**

المبحث الأول: التعريف بعينة الدراسة

**المبحث الثاني : تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان
(إليزي) من خلال ثنائية (المفتوح / المغلق)**

**المبحث الثالث : تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان
(قسنطينة) من خلال ثنائية (المفتوح / المغلق)**

**المبحث الرابع : تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان
(سوق الغرابية) من خلال ثنائية (المفتوح /
المغلق)**

الفصل الثاني ————— الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفنست

الفصل الثاني : الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفنست

بعد أن تطرقنا في الفصل الأول إلى الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية ليل الغريب، سنتناول في هذا الفصل الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفنست، وسنركز في عملية التحليل على ثنائية (المفتوح / المغلق)، وقد قسمنا هذا الفصل إلى أربع مباحث المبحث الأول بعنوان التعريف بعينة الدراسة، أما المبحث الثاني بعنوان تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان (إلزي) من خلال ثنائية (المفتوح / المغلق)، وسنتناول في المبحث الثالث تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان (قسطنطينة) من خلال ثنائية (المفتوح / المغلق)، وفي المبحث الرابع سنتطرق إلى تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان (قرية الغرابة) من خلال ثنائية (المفتوح / المغلق).

المبحث الأول : التعريف بعينة الدراسة

الروائي عبد الله حمادي خريج جامعة مدريد المركزية complutense بإسبانيا عام 1980 متخصص في الأدب الأندلسي واللاتينوأمريكي يعمل أستاذ الأدب العربي واللغة الإسبانية بجامعة منتوري بقسنطينة وهو متقاعد حاليا .

تولى رئاسة مختبر الترجمة في الأدب واللسانيات، ويدير مجلته " حولية مخبر الترجمة " كما أشرف على العديد من الأطروحات الجامعية باللغة العربية والإسبانية والفرنسية .

شارك في العديد من الملتقيات الدولية بأوروبا وآسيا والشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية، أحرز العديد من الجوائز والتكريمات كجائزة سعود البابطين المخصصة لأفضل ديوان شعري على ديوانه " البرزخ و السكين " الذي أعدت حوله أزيد من عشر أطروحات جامعية .

رئيس سابق لاتحاد الكتاب الجزائريين مابين 1996 و 2000، ومدير سابق للمركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ورئيس سابق للجنة الوطنية الجامعية لترقية الأساتذة المحاضرين .

فهو شاعر ومترجم وروائي أنجز العديد من الدراسات العلمية والتحقيقات الأدبية ومن أعماله:

أ - الدواوين المنشورة :

- الهجرة إلى مدن الجنوب(1981) .

- قصائد عجزية (1983) .

الفصل الثاني ————— الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفنست

- ديوان comverdo con elclvido حوار مع النسيان باللغة الإسبانية .
- تحزب العشق ياليلي، مع مقدمة تنظيرية " لوازم الحداثة والمعاصرة للقصيدة العمودية " (1985) .
- أنطق عن الهوى (2011) .
- ب - الدراسات الأكاديمية :
 - غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية (1983) .
 - إقترابات من شاعر الشيلي الأكبر بابلو نيرودا .
 - مدخل إلى الشعر الإسباني المعاصر (1985) .
 - دراسات في الأدب المغربي القديم (1986) .
 - المورسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس (1492 - 1616) .
 - مساءلات في الفكر والأدب (1994) .
 - الحركة الطلابية الجزائرية (1871 - 1962) .
 - تحفة الإخوان في تحريم الدخان لعبد القادر الراشدي القسنطيني (1997) .
 - أصوات من الأدب الجزائري الحديث .
 - الشعرية العربية بين الإلتباع والإبتداع .
 - مختارات من الشعر الجزائري الحديث (2001) .
 - أندلسيات (غرناطة والشعر) (2004) .
 - الأندلس بين الحلم والحقيقة (2008) .
 - سيرة المجاهد خير الدين بربروس في الجزائر (2008) .
 - ديوان أحمد الغوالي (2005) .
 - فكاهات الأسمار ومذاهبات الأخبار والأشعار لابن هذيل الغرناطي (2004) .

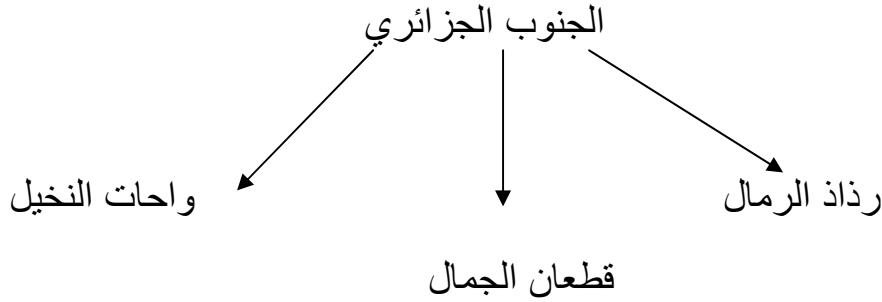
الفصل الثاني _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفتنت

- ملخص رواية تفتنت :

تتكلم رواية تفتنت عن شخصية أحموت التارقي، الذي عاش فترة في قرية الغرابة بتونس أثناء حرب التحرير، وتبدأ الرواية عندما يسترخي أحموت في أريكة القطار يعيش حالة استحضار واسترجاع لذكرياته وطفولته الماضية، فيستحضر لثامه الأبيض، وعمله مع يوميات الباطرول، كما يستحضر سيرتا المعقدة بين الأمل واليأس وشوارعها ونسائها وأساطيرها وحماماتها، وتتنوع مضامين الرواية لتأتي في آخر المطاف نحو خدمة لفظ تفتنت فهي شغلت حيزا محدودا يتجلى في الفصلين السادس والسابع، ثم تنطلق الاسترجاعات للماضي وتتداعى على صور التجربة الترقية التي تمفصلت عبر فصول الرواية التي تتباين في ظلها أبعاد الرواية من شعبية وتاريخية وثقافية .

المبحث الثاني : تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان (إيزي) من خلال ثنائية (المفتوح / المغلق)

يصف الراوي الجنوب الجزائري قائلا : " نحو الجنوب المعمق بعبق الأندلس، أو برذاذ الرمال، وقطعان الجمال السيارة في البراري والمهامه الخالية، أو وسط واحات النخيل الملوحة بعراجين البلح، ... في حين يظل نسيم الجنوب اللافح رابضا خلف الستائر المنسدلة يتربص الخارجين والداخلين ... " (1) .



يصف الراوي الجنوب الجزائري بمكوناته الثلاثة التي تميز المكان " الرمال ، الجمال ، النخيل " فهذه هي الصورة الأولى التي ترتسم في ذهن القارئ عندما يقرأ كلمة الجنوب .

(1) عبد الله حمادي : تفتنت ، (ط2؛ قسنطينة ، دار اللمعية ، 2013)، ص11 .

الفصل الثاني ————— الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفنست

من المعروف تاريخيا أن الجنوب الجزائري في فترة الاحتلال الفرنسي ظل إلى غاية العهود الأولى من القرن التاسع عشر صعب المنال .

هذا مايفسر إقدام فرنسا على القيام بالعديد من الرحلات الاستكشافية للمناطق الجنوبية، حيث أن الاهتمام الفرنسي بالصحراء كان قبل الغزو الفرنسي، وتعتبر رحلة روني كابي renie caibe (1824 - 1828) من أوائل الرحلات التي قام بها المغامرون الفرنسيون بجنوب الجزائر حيث ان الاهتمام الفرنسي بها كان من خلال نقطتين أساسيتين هما : أهميتها التجارية و ثرائها الكبير.

زاد الاهتمام بها أكثر بعد نشر المهندس دوين شال dunponchel كتابه حول مد خط حديدي صحراوي لربط أوروبا بإفريقيا، والذي شرع في التخطيط له بعد إصدار الكتاب، فقامت فرنسا بإرسال البعثات الاستكشافية، وأهمها بعثة فلاتير flatters ، والتي أكد من خلالها أن المعطيات الطبوغرافية للمنطقة مؤهلة لإقامة خط حديدي، إلا أن الحظ لم يحالف فلاتير لإكمال مشروعه بعد أن قام الطوارق بقتله .

قال الجنرال ديغول خلال زيارته للجزائر في ديسمبر 1958 " أن الصحراء هي أرض المستقبل وشريط بين عالميين، عالم البحر المتوسط، وعالم إفريقيا، وبين المحيط الأطلسي وعالم النيل والبحر الأحمر " (1) .

منه يتضح أهمية الصحراء الجزائرية خلال فترة الاحتلال الفرنسي وأطماع فرنسا فيها، أما في رواية تفنست وصفها الراوي وصفا فنيا له علاقة بحاسة المشاهدة العينية " رمال ، جمال ، واحات ، النخيل " .

إلا أن شساعة الصحراء وقسوة مناخها تنذر سكانها بالتيه والضيع والجذب والقحط يقول الراوي في وصف مدينة إليزي : " يوحى المنظر برائحة الفانية ، وهي تطبق على كل شيء ، وتحيل الكل إلى رذاذ من رماد، فينغلق مجال الرجاء والرغبة في الحياة أما الأعين الحالمة بغد أفضل " (2) .

فالجمل التالية " رذاذ من رماد - نغلق مجال الأمل " تحول الصحراء من مكان مفتوح واسع إلى مكان لا حياة فيها ، وبذلك ينقطع الاتصال مع المكان .

(1) شهرزاد شلبي " الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية " ، مجلة كان التاريخية ، العدد 11 ، (مارس 2011)، ص 84 .

(2) عبد الله حمادي : تفنست، ص 12 .

الفصل الثاني _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفنست

الجمل اللفظية الدالة على اللاحركية المكان " الصحراء - إليزي "
- الصمت المخيم
- الظلام المنسدل
- يطفئان الشعلة
- يسكتان نقر الطبول
- ترهق مصابيح أنوارها غيرة جراء رذاذ الصحراء
- رائحة الفانية
رذاذ من الرماد
ينغلق مجال الرجاء والرغبة

هكذا يستحضر أخموت إليزي وهو جالس على أريكة في القطار، وجاء وصف هيئة أخموت في النص الروائي كالتالي : " أخموت التارقي مهووس بالتداعيات واستحضر الزمن المفقود، فيه لوثة من بروسست الذي كلما رشف رشفة من اليانسون، ودخن سيجارة تنتزل عليه فيوضات ذياب الهلالي فيستحيل إلى ممارس للحرية التعبيرية بامتياز لا تحكمه شروط ولا تحده قيود " (1) .

هنا نجد أن أخموت قد ورث صفات من المكان " الصحراء " كونه مثلها لا تحكمه شروط ولا تحده قيود فالسيطرة على الصحراء وإقامة مخطط عمراني فيها صعب جدا، وهكذا هي شخصية أخموت .

(1) عبد الله حمادي : مرجع سبق ذكره، ص43 .

الفصل الثاني ————— الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفنست

أخموت ← لا تحكمها شروط ولا تحدّهما قيود → إليزي

إليزي تتمثل صعوبة السيطرة في الطبيعة الجغرافية للمكان، أما أخموت فتتمثل صعوبة السيطرة في الشخصية مما يعني أن :

البيئة الجغرافية لإليزي = شخصية أخموت

ومنه

أخموت = إليزي

العلاقة الاتصالية بين الشخصية الروائية والمكان

يحول السارد هنا الصحراء المتقشفة المواد إلى لغة تحول الفقر المكاني لإليزي إلى عالم سردي، ويتمثل ذلك عندما يقوم أخموت باستحضار ذكريات عمله فيه .

- " تمخر سيارة الباطرول الرباعية الدفع وسط كثبان الرمال فيتشقق الغبار أمام سرعة الدفع المضاعفة " (1) .

- " أخموت، وهو يسترخي في أريكة عربية القطار يستحضر لثامه الأبيض وفروسيته مع يوميات الباطرول " (2) .

خلال استحضار أخموت للمكان يذكر علامة ثقافية للمكان والمتمثلة في " اللثام الأبيض " والمعروف أن رجال الطوارق في الجنوب الجزائري يرتدون اللثام الأبيض .

فالمجتمعات الصحراوية في الجنوب الجزائري ماتزال متمسكة بكثير من مظاهر ثقافتها الشعبية (3)، ومنه تظهر ثنائية المكان (المفتوح / المغلق)، فالإليزي والجنوب عامة مكان مفتوح للداخلين والخارجين، ولكنه مكان مغلق لسكانها ورمز للفناء والحزن .

(1) عبد الله حمادي : مرجع سبق ذكره، ص12 .

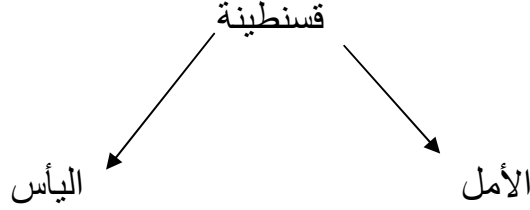
(2) عبدالله حمادي : ص12 .

(3) عاشور سرقمة : تاريخ الثقافة والحياة الإجتماعية في الصحراء الكبرى - الصحراء الجزائرية نموذجاً - ، (مجلة الواحات) العدد 12 ، 2011 ، ص191 .

الفصل الثاني _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفنست

المبحث الثالث : تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان " قسنطينة " من خلال ثنائية " مفتوح / مغلق "

يصف الراوي قسنطينة " سيرتا " قائلا " إنها سيرتا المعلقة بين الأمل واليأس ... " (1) .



يربط الراوي قسنطينة بمتناقضين الأمل واليأس، ويتابع قائلا : " بأشطان من برق ونوبة من رمل المايا، رثة الأسمال، معروفة الوجدان كالشجاع أثنى جراحا... " (2) ، والسبب أنها كانت على " موعد دائم مع الوافدين يعركونها بشرستهم " (3) .

فهي كما يصفها " معلقة منفصلة " (4) صامدة كمدينة لها تاريخ وحضارة رغم كل مامر بها من " الصخر والوادي والحصارات المتتالية لبرابرة الأوراس، غارات ابن الأحرش الزاحف من جبال كتامة حين تشتد عليه وطأة الشتاء، وقلة ذات اليد مع مواسم زحف ثلوج الشمال ... " (5) .

(1) عبد الله حمادي: ص 17 .

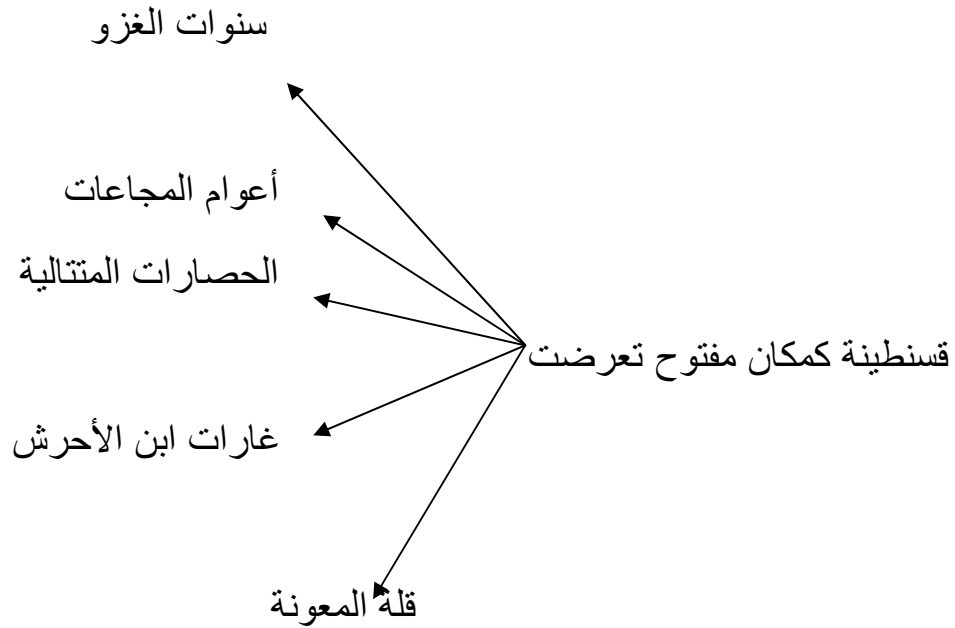
(2) المرجع نفسه : ص 17 .

(3) المرجع نفسه : ص 17 .

(4) المرجع نفسه : ص 11 .

(5) المرجع نفسه : ص 17 .

الفصل الثاني ————— الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفتست



كما تحضر في الرواية ثقافة المكان والخرافات المتعلقة به : " تلك المغارات العجيبة أين تختبئ أسرار فجائع قسنطينة وويلاتها كما جاء في أخبار أم الحواضر المذكورة بالقصور التي تسكنها الشياطين، والحمامات التي تتدفق بالماء الساخن الفالق للصخر، والتي تسكنها السلاحف التي تعتقد جميلات قسنطينة أنهن شياطين ... فإذا اتفق وأن أصيبت إحدى النساء بالحمى أو غيرها تقول أن سبب ذلك يرجع إلى السلاحف وللتخلص من الداء تذبح حينها دجاجة بيضاء في قدر بريشها الكامل، ثم تربط حول القدر الشموع وتحملها إلى عين " فريجة " وتترك القدر هناك ظنا منها أنها ستكون طعاما للشياطين ... " (1) .

هنا يتحدث الراوي عن ثقافة المكان وإرتباطه بالخرافة ويذكر الحمامات التي تسكنها السلاحف التي تعتقد جميلات قسنطينة أنهن شياطين ، والحمام لغة : حمّ حمه : قصده ، والحة بتشديد الميم هو العين الحارة يستشفى بها، وحممت الماء بفتحتين سخنته، والحميم الماء الحار، واستحم بمعنى إغتسل، والجمع حمامات .

لقد عرف بناء الحمام العام لغرض الاستحمام في مناطق الحضارات القديمة، ولاسيما منطقة بحر إيجة منذ العهد البرونزي في الألف الثالث قبل الميلاد، ثم تطورت تطورا كبيرا خلال الفترة الرومانية، ومن ثم استلهمها المسلمون في عمارتهم لما استتب لهم الأمر (2) .

(1) عبد الله حمادي : ص 19 .

(2) محمد بن حمو: "خصائص الحمامات العثمانية في الجزائر من خلال نماذج مقارنة بالحمامات المرابطية " ، دورية كان التاريخية ، العدد 20 (جوان 2013)، ص 31 .

الفصل الثاني ————— الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفتست

لقد كان عدد الحمامات في المدينة حسب تطورها ونموها ديمغرافيا ومعماريا، وانقسمت إلى نوعين :

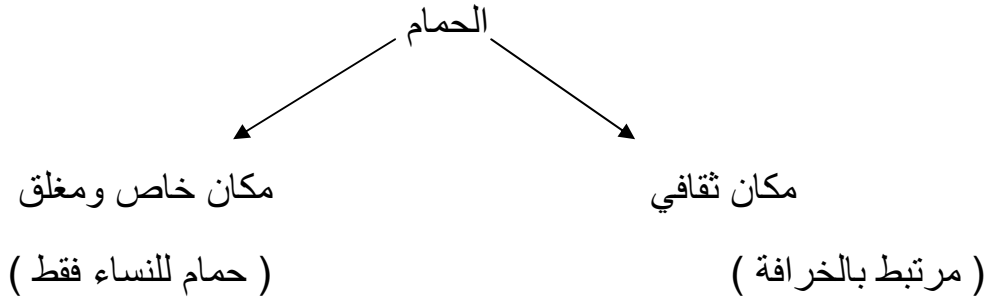
- حمامات خاصة :

وهي تلك التي وجدت في منازل بعض الأثرياء بشكل عام.

- حمامات عامة :

وهي تلك التي كانت لعامة الناس .

يقول وليم سبنسر الذي قضى مدة في الجزائر عن حمامات العاصمة مثلا : " لقد بنيت حمامات واسعة من طرف حسن باشا، ومحمد بن صالح رايس قائد البحرية الجزائرية الكبير، وجهزت بالماء الساخن والبارد، وكانت تضاهي أحسن حمامات القسطنطينية " (1) .



هذا يبين أن هناك علاقة اتصالية دلالية ثقافية للحمام فهو ليس مكان للاستحمام والاستشفاء فقط، بل مكان للدردشة ونشر المعتقدات والخرافات، والدليل أن النسوة يضعن القدر بما فيها من دجاجة كاملة بريشها، وربط القدر بالشموع في " عين فريجة " ظنا منهم أنها ستكون طعاما للشياطين .

كما نجد في الرواية ما يعرف بدار البورديل أو " الماخور " وهي أماكن مغلقة وخاصة، وينفر منها الناس المحافظون لدرجة أن الناس تسميها " دار البورديل " وليس " بيوت الدعارة " باللغة العربية الفصحى وذلك احتراما للغة كونها لغة الدين الإسلامي والعبادة.

" إنها بيوتات المتعة المنصوبة والتي تسميها العامة دار البورديل مفضلين هذه التسمية النصف أعجمية على التسمية العربية بيوت الدعارة وكأني بهم يربأون بالعربية الفصحى عن التدنيس كونها لغة الدين والعبادة " (2) .

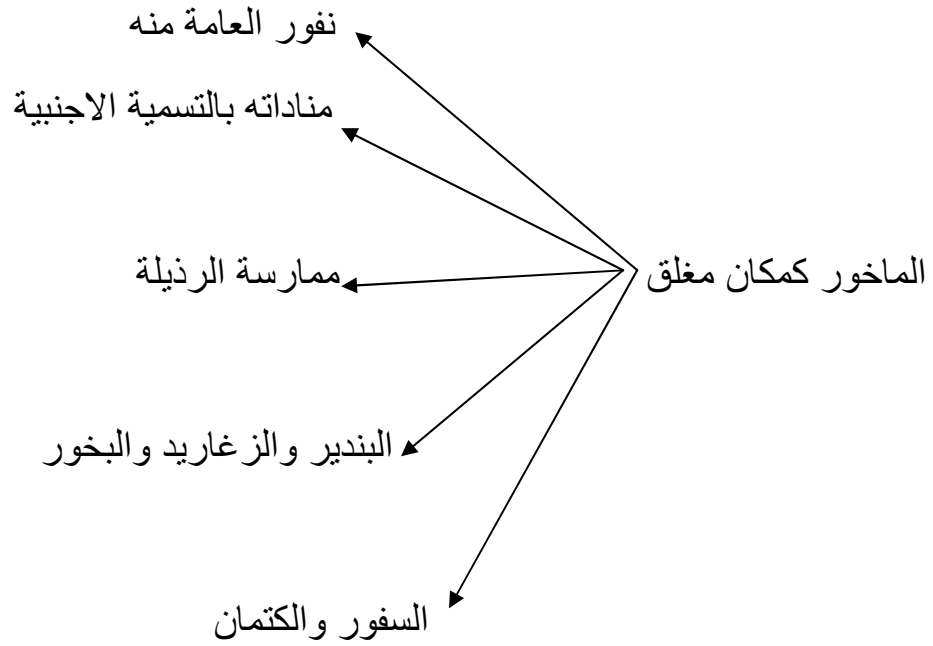
(1) محمد بن حمو : مرجع سبق ذكره، ص 32 .

(2) عبد الله حمادي : ص 20 .

الفصل الثاني ————— الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفتست

يرتبط وجود الماخور بالمدينة، مكان الحريات والمتناقضات، وهو مكان للإنفلات الأخلاقي والخيانات الزوجية، تتم المتاجرة فيه بالجسد.

يرتاد هذا المكان الرجال النافذين وغيرهم، طلبا للمتعة أو دفن المكبوتات، وبالمقابل ترتاده النسوة للإسترزاق والعمل لكسب المال (1).



المبحث الرابع : تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان " قرية الغرابة " من خلال ثنائية " المفتوح / المغلق " .

يستحضر أخموت ذكريات طفولته في قرية الغرابة " وجد أخموت نفسه مستقرا في بيت ريفي، وفي قرية ريفية يقال لها قرية الغرابة في سنوات كانت إرهاصات توحى بإندلاع ثورة التحرير الجزائرية " (2).

(1) جوادي هنية : مرجع سبق ذكره ، ص155 .

(2) عبد الله حمادي : ص20 .

الفصل الثاني ————— الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفتست

القرية النائية

قرية الغرابة " مكان مغلق - الأمان "

بعيدة عن رائحة الحريق " الحرب "

يقول الراوي في النص " تلك القرية التي يقال لها قرية الغرابة نظرا لكونها باتت مأهولة بأعراش أجبرتهم معارك فرنسا الدامية مع الفلاحة على الإستقرار بها، ومن هناك استمدت القرية اسمها من الوافدين عليها، ويمكن قبول الاحتمال الآخر كون الوافدين عليها هم من الغرباء ومن هنا صارت قرية الغرباء " (1) .

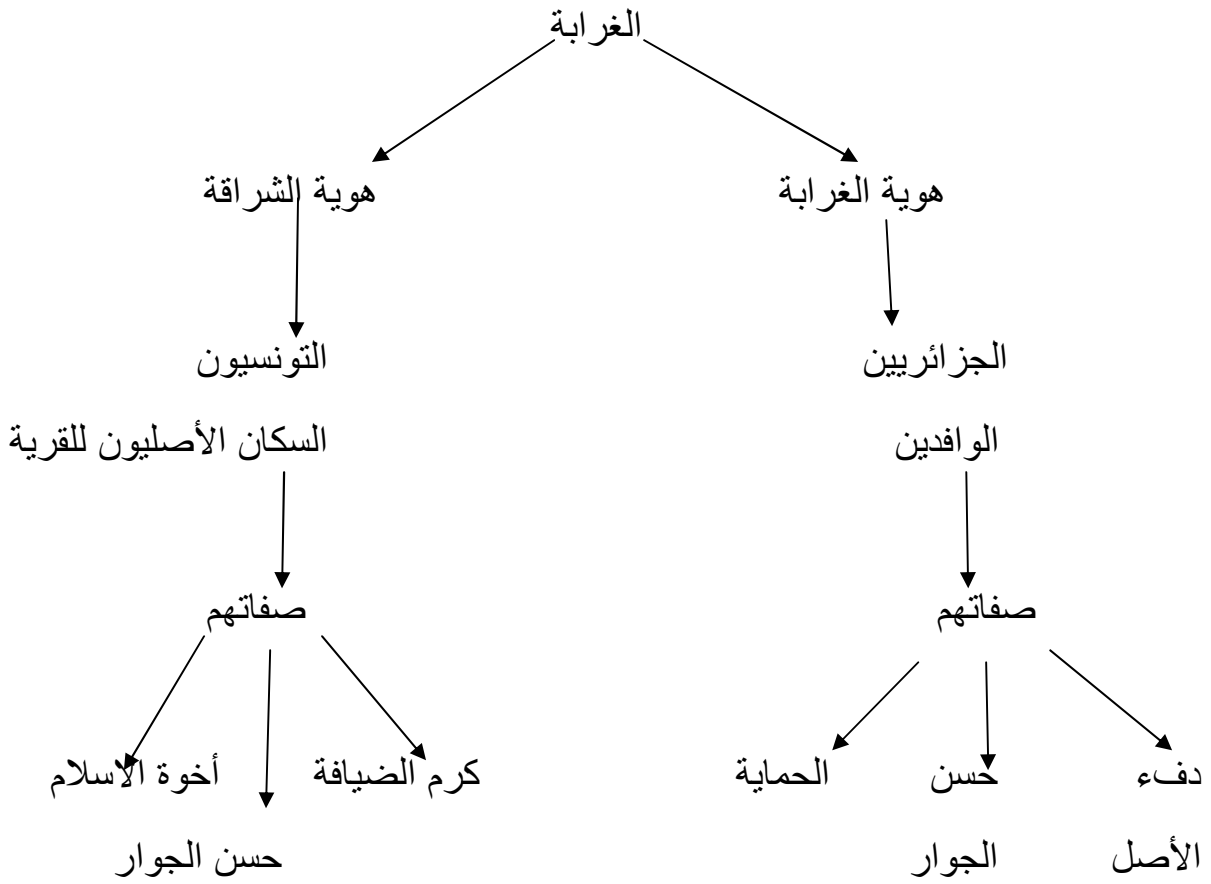
لقد بدأ أحموت يشعر بالغرابة والبعد عن الوطن في هذه القرية " يقع كوخ أحموت الذي لايمت بصلة لكل هذه العروش، والصلة الوحيدة التي تربطه بهذه العروش هي صلة الغرابة القصرية بأعراش الغرابة، والصلة العرقية التي تفصله عن أعراش سكان القرية الأصليين : مثل التركيبات العشائرية شكلت هويتين : (هوية الغرابة) التي تعني الجزائريين المهجرين أو اللاجئين، و(هوية الشراقة) وهو التونسيون سكان القرية الأصليين، وبين الهويتين تقع هوية أحموتالتارقي الذي كان يستمد مقومات بقائه من ميعة إلى أعراش الغرابة الذين يجد فيهم دفء الأصل، وحسن الجوار والمنعة من الضيم، كما وجد في أعراش الشراقة كرم الضيافة وحسن الجوار وأخوة الاسلام والعروبة " (2) .

(1) عبد الله حمادي : ص 84 .

(2) المرجع نفسه : ص 88 .

الفصل الثاني ————— الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفنست

ومن خلال الحدث الروائي تتمثل العلاقة الاتصالية بين أحموت وقرية الغرابة فيما يلي :



نتائج الدراسة

الفصل الثاني ————— الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفتست

لقد كان عدد الحمامات في المدينة حسب تطورها ونموها ديمغرافيا ومعماريا، وانقسمت إلى نوعين :

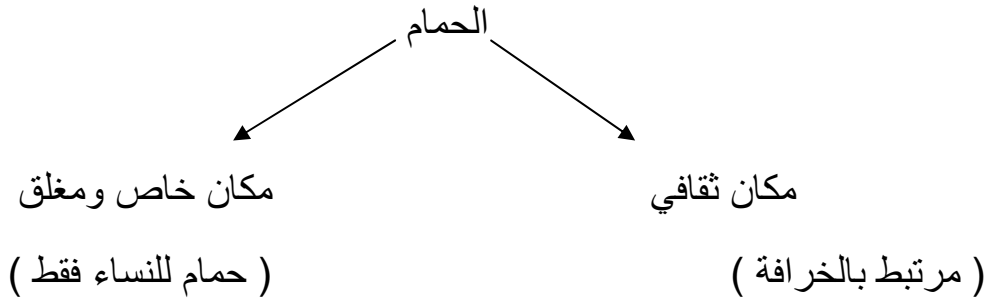
- حمامات خاصة :

وهي تلك التي وجدت في منازل بعض الأثرياء بشكل عام.

- حمامات عامة :

وهي تلك التي كانت لعامة الناس .

يقول وليم سبنسر الذي قضى مدة في الجزائر عن حمامات العاصمة مثلا : " لقد بنيت حمامات واسعة من طرف حسن باثاء، ومحمد بن صالح رايس قائد البحرية الجزائرية الكبير، وجهزت بالماء الساخن والبارد، وكانت تضاهي أحسن حمامات القسطنطينية " (1) .



هذا يبين أن هناك علاقة اتصالية دلالية ثقافية للحمام فهو ليس مكان للاستحمام والاستشفاء فقط، بل مكان للدردشة ونشر المعتقدات والخرافات، والدليل أن النسوة يضعن القدر بما فيها من دجاجة كاملة بريشها، وربط القدر بالشموع في " عين فريجة " ظنا منهم أنها ستكون طعاما للشياطين .

كما نجد في الرواية ما يعرف بدار البورديل أو " الماخور " وهي أماكن مغلقة وخاصة، وينفر منها الناس المحافظون لدرجة أن الناس تسميها " دار البورديل " وليس " بيوت الدعارة " باللغة العربية الفصحى وذلك احتراما للغة كونها لغة الدين الإسلامي والعبادة.

" إنها بيوتات المتعة المنصوبة والتي تسميها العامة دار البورديل مفضلين هذه التسمية النصف أعجمية على التسمية العربية بيوت الدعارة وكأني بهم يربأون بالعربية الفصحى عن التدنيس كونها لغة الدين والعبادة " (2) .

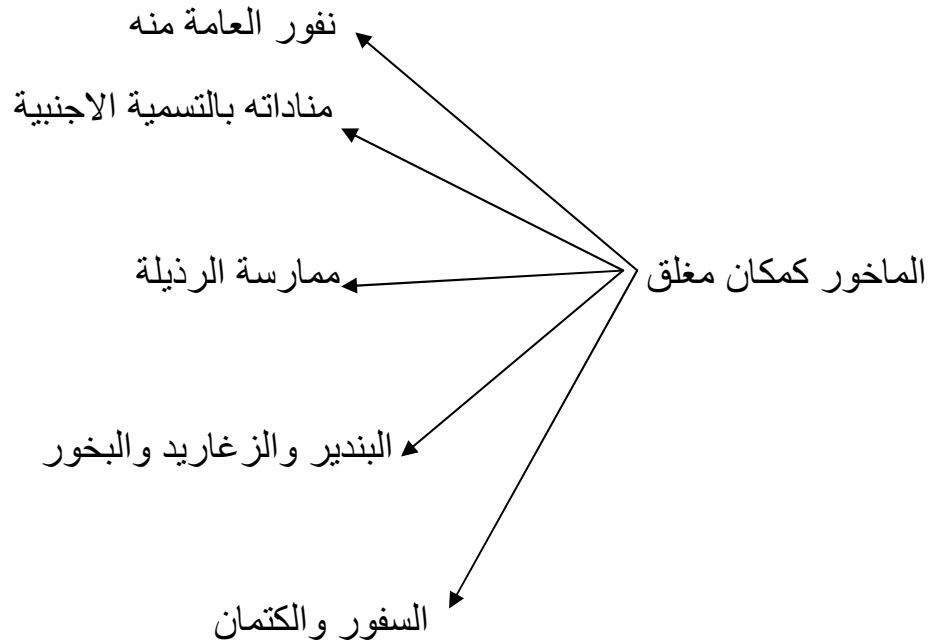
(1) محمد بن حمو : مرجع سبق ذكره، ص32 .

(2) عبد الله حمادي : ص20 .

الفصل الثاني _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفنست

يرتبط وجود الماخور بالمدينة، مكان الحريات والمتناقضات، وهو مكان للإنفلات الأخلاقي والخيانات الزوجية، تتم المتاجرة فيه بالجسد.

يرتاد هذا المكان الرجال النافذين وغيرهم، طلبا للمتعة أو دفن المكبوتات، وبالمقابل ترتاده النسوة للإسترزاق والعمل لكسب المال (1) .



المبحث الرابع : تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان " قرية الغرابة " من خلال ثنائية " المفتوح / المغلق " .

يستحضر أحموت ذكريات طفولته في قرية الغرابة " وجد أحموت نفسه مستقرا في بيت ريفي، وفي قرية ريفية يقال لها قرية الغرابة في سنوات كانت إرهابات توحى بإندلاع ثورة التحرير الجزائرية " (2) .

(1) جوادي هنية : مرجع سبق ذكره ، ص155 .

الفصل الثاني _____ الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفتست

القرية النائبة

قرية الغرابة " مكان مغلق - الأمان "

بعيدة عن رائحة الحريق " الحرب "

يقول الراوي في النص " تلك القرية التي يقال لها قرية الغرابة نظرا لكونها باتت مأهولة بأعراش أجبرتهم معارك فرنسا الدامية مع الفلاحة على الإستقرار بها، ومن هناك استمدت القرية اسمها من الوافدين عليها، ويمكن قبول الاحتمال الآخر كون الوافدين عليها هم من الغرباء ومن هنا صارت قرية الغرباء " (1) .

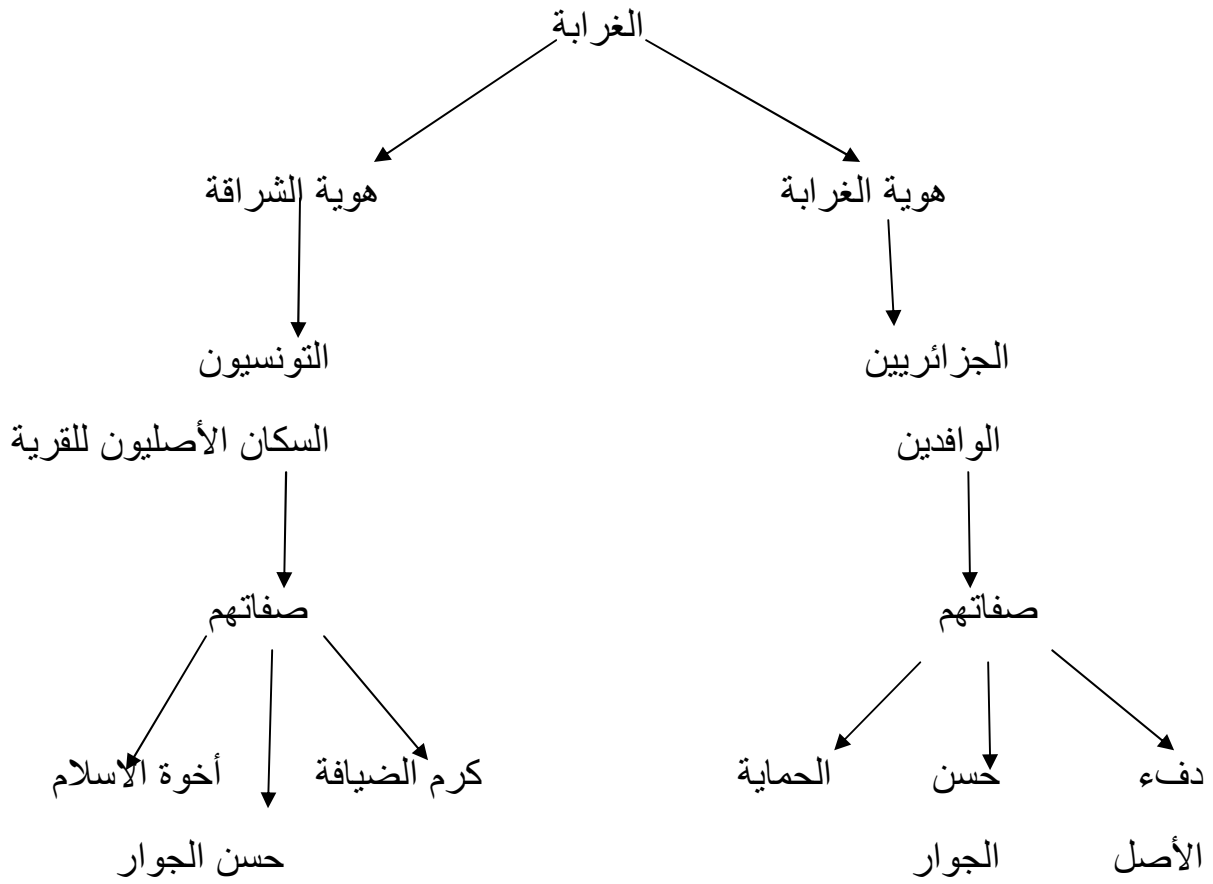
لقد بدأ أحموت يشعر بالغرابة والبعد عن الوطن في هذه القرية " يقع كوخ أحموت الذي لايمت بصلة لكل هذه العروش، والصلة الوحيدة التي تربطه بهذه العروش هي صلة الغرابة القصرية بأعراش الغرابة، والصلة العرقية التي تفصله عن أعراش سكان القرية الأصليين : مثل التركيبات العشائرية شكلت هويتين : (هوية الغرابة) التي تعني الجزائريين المهجرين أو اللاجئين، و(هوية الشراقة) وهو التونسيون سكان القرية الأصليين، وبين الهويتين تقع هوية أحموتالتارقي الذي كان يستمد مقومات بقائه من ميله إلى أعراش الغرابة الذين يجد فيهم دفاء الأصل، وحسن الجوار والمنعة من الضيم، كما وجد في أعراش الشراقة كرم الضيافة وحسن الجوار وأخوة الاسلام والعروبة " (2) .

(1) عبد الله حمادي : ص 84 .

(2) المرجع نفسه : ص 88 .

الفصل الثاني ————— الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية تفنست

ومن خلال الحدث الروائي تتمثل العلاقة الاتصالية بين أحموت وقرية الغرابة فيما يلي :



الفصل الثاني

نتائج الدراسة

- وظف الروائي وسائل متعددة لإبراز دلالة المكان، فلجأ إلى المواد والحوار والوصف والتداعي كما في رواية ثفنست حيث أنه من خلال الاسترجاع والتداعي استطاع الراوي أن يصف سيرتا وقرية الغرابة وهو جالس في القطار، فالبعد الإتصالي للمكان في هذه الرواية يظهر من خلال التداعي والاسترجاع لذكريات الشخصية مع المكان أو الأماكن التي عرفتھا الشخصية .

- دلالة المكان في رواية ليل الغريب تعبر عن الواقع الجزائري خلال فترة العشرية السوداء، فقسنطينة تحتل مكان الخوف عند الشخصية التي اختارت الهرب إلى باريس الأمان لإنقاذ نفسها من خطر الموت ومع ذلك يبقى البعد الاتصالي لقسنطينة حاضرا في الرواية من خلال استرجاع الشخصية لذكرياته في قسنطينة وهو في أرض الغربة (باريس).

- إحتلت الأماكن المفتوحة في روايتي (ثفنست - ليل الغريب) مساحة أوسع وأكثر دلالة من الأماكن المغلقة خاصة في رواية ليل الغريب لأنها تحكي عن مرحلة مست كل شرائح المجتمع الجزائري ألا وهي العشرية السوداء .

- تقدم الأماكن في عينة الدراسة رسائل اتصالية في مضامين النص الروائي ويظهر ذلك أكثر من خلال احتكاك الشخصية بالمكان وإرتباطها بها .

- للشخصية مع المكان علاقة تأثير وتأثر، فالشخصية فاعلة في المكان، كما أن المكان فاعل فيها، فكلاهما يلعب دور الفاعل والمفعول .

- الشخصية الروائية في إرتباطها بالمكان في رواية ليل الغريب تحمل رمزا ورؤية خاصة بالعالم فرشيد عياد شخصية إذاعية واعية رغم تعلقها بقسنطينة إلا انه ليس مشابها لسكانها الذين يخلجون من البكاء ومن الحب وحتى من الحياة .

- إن المكان مشتق من الوجود الإنساني ومدى إرتباط الإنسان به وتعميق شعور الانتماء به لذا نجد أن الشخصية الروائية في عينة الدراسة رغم أنها غادرت الموطن الأصل ولو مؤقتا لكنه ظل متجذرا داخلها، وظلت الشخصية تفسر نظرتها للأماكن الأخرى من خلال معاشته في المكان الأم .

- استندت مسألة المكان في رواية ليل الغريب على خلفية الوطن / الغربة باعتبارها مسألة مصيرية في حياة الشخصية فتواصل الشخصية مع المكان الأم ظل مستمرا حتى بعد مغادرته .

الفصل الثاني

- وظفت عينة الدراسة العديد من الأمكنة ذات البعد الاتصالي سواء على مستوى المفتوح أو المغلق فنجد الحمامات كما في رواية ثفنست وسوق الغرابة والماخور والمدن الكبيرة أما في رواية ليل الغريب فتم التركيز على مدينة قسنطينة ومدينة باريس .

- التزام الروائيين عبد الله حمادي ومراد بوكرزازة بقسنطينة وذكرها في العديد من أعمالهم كونها تمثل بالنسبة لهم مكان النشأة والذكريات .

خاتمة

خاتمة

تمثل هذه الدراسة محاولة قراءة مكون أساسي من مكونات النص الروائي وهو المكان، حيث ثمة وعي حاد بالمكان وإحساس قوي بحضوره والانتماء إليه فقدم نفسه وفق أبعاد اتصالية ثقافية .

إن المكان هو المدخل الأكثر قربا الذي يؤسس عليه المبدع رؤيته الفنية بطابعه الانساني، فمن المكان تنبثق وتتنامى الرؤية لتكون مشهدا حيا في كثير من الأحيان يأخذ أبعادا تخيلية حين يعمد المبدع إلى دمج بعالم انساني متخيل، لينتج لنا صورة تتمثل فيها الصلة الحميمية والاتصالية بين الذات والمكان .

إن إرتباط الشخصية الروائية بالمكان في النص الروائي يبرز دلالات كثيرة فكلاهما وحدة لا تقوم بذاتها وإنما تستمد ديمومتها من خلال العلاقة النفسية القائمة التي تؤدي إلى خلق نوع من الديمومة والحياة لكلا الجانبين بغض النظر عن مدى التأثير والتأثر الناتج عن هذه العلاقة، وهذا ماحاولنا إبرازه في عينة الدراسة خاصة علاقة رشيد عياد بمدينة قسنطينة في رواية ليل الغريب .

إن التعمق في دلالة المكان يثير إحساسا بالإنتماء حتى لنحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء من دونه، فالمكان الواحد يمكن له أن يصبح عدة رموز مختلفة في آن واحد، ويحمل في مضامينه رسائل اتصالية تثري تجارب الشخصية الروائية، فكل رمز وكل دلالة وكل رسالة ترتبط بواقع الإنسان في تلك اللحظة .

هكذا ومن خلال مااستنتجناه من دراستنا نجد أن الانسان والقارئ للنص الروائي يستطيع أن يتفاعل مع المكان من خلال القراءة، أكثر من تفاعله معه سمعيا، لأن التفاعل بين الكلمات يرتبط مع المكان بصورة أوضح وأوسع مما يتلقاه المستمع فتكون الدلالة أدق والأبعاد الاتصالية تتجلى بسهولة خلال القراءة للنص الروائي .

قائمة
المصادر
والمراجع

المصادر والمراجع

- أولاً : القرآن الكريم .

- ثانياً : الكتب العلمية :

1 - الأيوبي ياسين : واقعية الأدب في رواية آنا كارنينا لتولستوي (ط1؛ لبنان : الدار النموذجية، 2001) .

2 - الأحمر فيصل : معجم السيميائيات (ط1؛ الجزائر: منشورات الإختلاف، 2010) .

3 - أبادي محبوبة محمدي محمد : جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية (سوريا: منشورات الهيئة العامة للكتاب، 2011) .

4 - العدوانى أحمد : بداية النص الروائى (ط1؛ المغرب : المركز الثقافي العربي، 2011) .

5 - الأحمر فيصل : دراسات في الآداب الأجنبية (ط1؛ الجزائر: دار الألمعية، 2013) .

6 - العمامي محمد نجيب : البنية والدلالة في الرواية - دراسة تطبيقية - (ط1؛ السعودية : مطبوعات نادي القصيم الأدبي، 2013) .

7 - أيوب محمد : دراسات في الأدب والنقد (دار الصداقة للنشر الإلكتروني، ب.ت) .

8 - باشلار غاستون : جماليات المكان ، تر. غالب هلسا (ط2؛ لبنان: المؤسسة الجامعية للنشر، 1984) .

9 - بدوي عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة (ج1، ط1؛ بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984) .

10 - باختين ميخائيل : الخطاب الروائى ، تر. محمد برادة (ط1؛ القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر، 1987) .

- 11 - برنس جيرالد : المصطلح السردى ، تر. عابد خزاندار (ط1؛ مصر: المجلس الأعلى للثقافة، 2003) .
- 12 - بن العنثري محمد الصالح : فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة (طبعة مصححة، الجزائر: دار هومة، 2007) .
- 13 - بومزبر الطاهر : التواصل اللساني والشعرية - مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون - (ط1؛ الجزائر: منشورات الاختلاف، 2007) .
- 14 - باشلار غاستون : جماليات الصورة، تر. غادة الإمام (ط1؛ لبنان: دار التنوير، 2010) .
- 15 - بينيت طوني . موريس ميغان وآخرون : مفاتيح اصطلاحية جديدة، تر. سعيد الغانمي (ط1؛ بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010) .
- 16 - بن ميمون موسى : دلالة الحائرين، تر. حسين آتاي (مكتبة الثقافة الدينية، ب.ت) .
- 17 - تزيفيتان تودوروف : ميخائيل باختين - المبدأ الحوارى - (ط2؛ الأردن: دار الفارس للنشر والتوزيع، 1996) .
- 18 - تودوروف وآخرون : القصة - الرواية - المؤلف ، تر. خيرى دومة (مصر: دار شرقيات للنشر والتوزيع، 1997) .
- 19 - تشاندلر دانيال : أسس السيميائية، تر. طلال وهبة (ط1؛ بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2008) .
- 20 - حمودة حسن : الرواية والمدينة - نماذج من كتاب الستينات فى مصر - (مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2000) .
- 21 - دورتيي جان فرنسوا : فلسفة عصرنا - تياراتها - مذاهبها - أعلامها - قضاياها ، تر. إبراهيم صحراوي (ط1؛ لبنان : الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009) .

- 22 - دوسارتو ميشال : إبتكار الحياة اليومية فنون الأداء العملي، تر. محمد شوقي الزين (ط1؛ المغرب: دار الأمان، 2011) .
- 23 - راستيي فرانسو : فنون النص وعلومه، تر. إدريس الخطاب (ط1؛ المغرب: دار توبقال للنشر، 2010) .
- 24 - زيتوني لطيف : معجم مصطلحات نقد الرواية ، (ط1؛ لبنان: دار النهار للثقافة والفنون والآداب، ب.ت) .
- 25 - سيرنج فيليب : الرموز في الفن - الأديان - الحياة، تر. عبد الهادي عباس (ط1؛ سوريا: دار دمشق، 1992) .
- 26 - سليمان نبيل : أسرار التخيل الروائي، (سوريا: منشورات إتحاد الكتاب العرب، 2005) .
- 27 - شارودو باتريك . دومنيك منغو: معجم تحليل الخطاب، تر. عبد القاهر المسيري. حمادي صمود(تونس: المركز الوطني للترجمة، 2008) .
- 28 - صدوق نورالدين : البداية في النص الروائي، (ط1؛ سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، 1994) .
- 29 - عياشي منذر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، (ط1؛ سوريا: مركز الإنماء الحضاري، 2002) .
- 30 - عمارة ناصر: اللغة والتأويل - مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، (ط1؛ لبنان: دار الفارابي، 2007) .
- 31 - غادامير هانس غيورغ : فلسفات التأويل - الأصول والمبادئ والأهداف - تر. محمد شوقي الزين (ط2؛ الجزائر: منشورات الإختلاف، 2006) .
- 32 - فتحي إبراهيم : معجم المصطلحات الأدبية (تونس: التعااضدية العمالية للطباعة والنشر، 1986) .
- 33 - فاولر روجر: اللسانيات والرواية، تر. أحمد صبرة(مصر: مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، 2009) .

- 34 - قاسم سيزا. حازم شحاتة وآخرون: جماليات المكان (ط2؛ الدار البيضاء، عيون المقالات، 1988) .
- 35 - كريس نانسي: تقنيات كتابة الرواية، تر. زينة جابر إدريس (ط1؛ لبنان : الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009) .
- 36 - لوبرتون دافيد: إنثروبولوجيا الجسد والحداثة ، تر. محمد عرب صاصيلا (ط2؛ مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1997) .
- 37 - لودج ديفيد : الفن الروائي، تر. ماهر البطوطي (ط1؛ القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2002) .
- 38 - ليتشه جون: خمسون مفكرا أساسيا معاصرا - من البنيوية إلى ما بعد الحداثة - تر. فاتن البستاني (ط1؛ بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2008) .
- 39 - لوتمان يوري : سيمياء الكون ، تر. عبد المجيد نوسي (ط1؛ المغرب: المركز الثقافي العربي، 2011) .
- 40 - مونسي حبيب: فلسفة المكان في الشعر العربي - قراءة موضوعاتية جمالية - (دمشق: منشورات إتحاد الكتاب العرب، 2001) .
- 41 - محبك أحمد زياد: متعة الرواية - دراسة نقدية - (ط1؛ لبنان: دار المعرفة، 2005) .
- 42 - منور أحمد: ملاحم أدبية - دراسات في الرواية الجزائرية - (الجزائر: دار الساحل، 2008) .
- 43 - ماتن برنوين . فليزيتاس رينجهام: معجم مصطلحات السيميوطيقا، تر. عابد خزاندان (ط1؛ مصر: المركز القومي للترجمة، 2008) .
- 44 - موسى سلامة : فن الحياة (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ب.ت) .
- 45 - مرتاض عبد المالك : في نظرية الرواية (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ب . ت) .

46 - هول إدوارد . تي : اللغة الصامتة، تر. لميس فؤاد اليحيى (ط1؛ الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، 2007) .

47 - مجموعة من المؤلفين: تقنيات الكتابة، تر. عبد الجليل جواد (ط1؛ سوريا: دار الحوار، 1995) .

ثالثا : الروايات :

1 - السمان غادة : ليلة المليار، (ط1؛ لبنان منشورات غادة السمان، 1986) .

2- أروويل جورج : ابنة القس، تر. أسعد الحسين (سوريا: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 2010) .

3 - بور دو هنري : الابن الضال، تر. حلمي مراد (بيروت: دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع، 1999) .

4 - باموق أورهان: القلعة البيضاء، تر. عبدالقادر عبد اللي (ط1؛ سوريا: ورد للطباعة، 2000) .

5 - بوكرزازة مراد: ليل الغريب، (ط3؛ الجزائر: دار الألمعية، 2014) .

6 - حمادي عبد الله: ثفنست (ط2؛ قسنطينة : دار الألمعية، 2013) .

7- كازانتزافي نيكوس: زوربا، تر. جورج طرابيشي (ط3؛ بيروت: دار الآداب، 1978) .

8 - كويليو باولو : على نهر بيدرا جلست فبكيت، تر. بسام حجار (لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2013) .

رابعا : الرسائل الجامعية :

1 - الرشيدى بدر نايف: صورة المكان في شعر أحمد السقاف، (رسالة ماجستير في اللغة العربية)، جامعة الشرق الأوسط، 2012 .

2 - بن يحيى سعدية: دلالة المكان في رواية عابر سرير، (رسالة ماجستير في الأدب الجزائري)، جامعة الجزائر، 2007 .

- 3 - بنتقة سليم: الريف في الرواية الجزائرية - دراسة تحليلية مقارنة - (رسالة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009 .
- 4 - جوادي هنية: صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، (رسالة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري)، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012.
- 5 - دحماني سعاد: دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ - دراسة تطبيقية - (رسالة ماجستير)، جامعة الجزائر، سنة 2007 .
- 6 - معمري أحلام: بنية الخطاب السردي في رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي (رسالة ماجستير)، جامعة ورقلة، 2004 .

خامسا : المقالات :

- 1 - نصر أبوزيد " الهرميناوطيقا ومعضلة تفسير النص "، مجلة فصول، العدد 3، المجلد الأول، الهيئة المصرية للكتاب (1981) .
- 2 - أسعد سامية " القصة القصيرة وقضية المكان " مجلة فصول، العدد 4، المجلد الثالث، مجلة فصلية، مصر (1986) .
- 3 - جودت الركابي " الحداثة والبنوية في معرفة النص الأدبي " آفاق الثقافة والتراث، مجلة فصلية ثقافية، العدد 10، الإمارات (1995) .
- 4 - مازن الوعر " علم تحليل الخطاب وموقع الجنس الأدبي " آفاق الثقافة والتراث، العدد 14، (1996) .
- 5 - الطيب ولد العروسي " الغربية من الآباء إلى الأحفاد - علي أفيلال - " مجلة جيل ، العدد 8، لبنان (2004) .
- 6 - أبوبشير بسام علي " جماليات المكان في رواية باب الساحة لسحر خليفة " مجلة الجامعة الإسلامية، العدد 2، المجلد الخامس، (2007) .
- 7 - إبرير بشير " مفهوم النص في التراث اللساني العربي " مجلة جامعة دمشق، العدد 1، المجلد 23، (2007) .

8 - الشتيوي صالح علي " تجليات المكان في شعر علي بن الجهم " مجلة جامعة دمشق، العدد2، المجلد24، سوريا(2008) .

9 - الخشاب وجدان توفيق " وتحدث الوقائع في المكان - قراءة المكان في قصص غانم الدباغ " مجلة دراسات موصلية، العدد21، فصلية محكمة،(العراق)، 2008.

10 - الرحاوي فارس عبدالله بدر " ثقافة المكان وأثرها في الشخصية الروائية - رواية الملاك - أنموذجا " مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، العدد2، المجلد11، العراق (2011) .

11 - البنداق محمد علي " الفضاء المكاني في رواية حقول الرماد (المواصفات - المكونات - الوظائف) المجلة الجامعة، المجلد الثالث، العدد15(2013) .

12 - بحري محمد الأمين " سيميائية المسكوت عنه في الرواية الجزائرية من إنتاجية الدال إلى تسويق المدلول(روايات الطاهر وطار وأحلام مستغانمي نموذجاً) محاضرت الملتقى الخامس (السيمياء والنص الأدبي) جامعة محمد خيضر، بسكرة (2008) .

13 - بتقة سليم " تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي " مجلة المخبر، العدد6، (2010) .

14- بونشادة نبيلة " الشخصية من المستوى المحسوس إلى المستوى المجرد في رواية غدا يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة " مجلة المخبر، العدد7، بسكرة(2011) .

15 - بورملي رقية رستم . فاطمة شيرزاده " التقاطب المكاني في قصائد محمود درويش الحديثة " مجلة دراسات في اللغة وآدابها، العدد9(2012) .

16 - بن حمو محمد " خصائص الحمامات العثمانية في الجزائر من خلال نماذج مقارنة بالحمامات المرابطية " دورية كان التاريخية، العدد20، (جوان 2013).

17 - بو عيطة سعيد " المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية - غريماس نموذجاً - " مجلة سيما، البحرين (2013) .

- 18 - **بوناب عبدالحق منصور** " واقعية المكان في قصص السائحي " حوليات الآداب واللغات، العدد1، دورية علمية أكاديمية محكمة، جامعة المسيلة (2013).
- 19 - **بحراوي حسن** " رولان بارث - من الدرجة الصفر إلى لذة النص - " مجلة الدوحة، العدد6، قطر.
- 20 - **حمرة العين خيرة** " الشعرية وانفتاح النصوص - تعددية الدلالة ولانهائية التأويل - " مجلة الخطاب 6، دورية أكاديمية محكمة، تيزي وزو(2010) .
- 21 - **حمدي بان صلاح الدين محمد** " الفضاء في روايات عبد الله عيسى سلامة " مجلة ابحاث كلية التربية الأساسية، العدد1، المجلد11، العراق(2011) .
- 22 - **حمدان عبدالرحيم حمدان** " بناء الشخصية الرئيسية في رواية عمر يظهر في القدس للروائي نجيب الكيلاني " المؤتمر الخامس لكلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، (مايو 2011) .
- 23 - **حسين هيثم** " الرواية والحياة " كتاب الرافد، العدد41، دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة(2013) .
- 24 - **خضر خالدة حسن** " المكان في رواية الشماعية لعبد الستار ناصر " مجلة كلية الآداب 102،العراق.
- 25 - **رواينية الطاهر** " الفضاء السيري وتدايعيات الصوت الرواي في رواية تميمون لرشيد بوجدره " مجلة الخطاب 6، دورية أكاديمية محكمة(2010).
- 26 - **زوزو نصيرة** " بنا المكان المفتوح في رواية - طوق الياسمين - لواسيني الأعرج " مجلة المخبر، العدد8، جامعة محمد خيضر، بسكرة (2012) .
- 27 - **سرقمة عاشور** " تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية في الصحراء الكبرى - الصحراء الجزائرية نموذجاً - " مجلة الواحات ، العدد12(2011) .
- 28 - **شلبي شهرزاد** " الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية " مجلة كان التاريخية، العدد11،(مارس 2011) .

- 29 - شلاش غيداء أحمد سعدون " المكان والمصطلحات المقاربة له - دراسة مفهوماتية - مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية 2، المجلد 11(2011) .
- 30 - صالح فخري " الهوية الوطنية الفلسطينية - غسان كنفاني - " مجلة العربي، العدد654، شهرية كويتية، الكويت(2013) .
- 31 - عطوي نسيم " دلالة المكان في رواية - نزيف الحجر - لإبراهيم الكوني " حوليات الآداب واللغات، العدد1، دورية أكاديمية محكمة، المسيلة(2013) .
- 32 - عبد العالي قمر " الغربية والاعتراب والبحث عن الهوية في رواية كريماتوريوم (سوناتا لأشباح القدس لواسيني الأعرج) " حوليات الآداب واللغات، العدد1(2013) .
- 33 - فريحات مريم جبر " تأنيث المكان وتمكين الأنثى - دراسة في ثنائية المرأة - المدينة في شعر عبدالله رضوان " المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، العدد2، المجلد3(2007) .
- 34 - قويدر شنان " البعد الاجتماعي في مدونة عبد الحميد بن هدوقة " حوليات الآداب واللغات، العدد2، دورية علمية أكاديمية محكمة، جامعة المسيلة (ديسمبر2013) .
- 35 - مصابيح محمد " بين النص والخطاب مساءلة في المفاهيم " مجلة أيقونات، العدد3، مجلة دورية محكمة، منشورات سيما للبحوث السيميائية، الجزائر(2001) .
- 36 - معمرى أحلام " نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية " مجلة الأثر، العدد20(2004) .
- 37 - مدقن كلثوم " دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب الصالح " مجلة الأثر، العدد4، جامعة ورقلة(2005) .
- 38 - مصابيح محمد " بين النص والخطاب - مساءلة في المفاهيم - " مجلة أيقونات، العدد3(2011) .

39 - ناوي كريمة " رواية الغريب لألبير كامو من الرواية غلى الفيلم " مجلة الخطاب، العدد6، دورية أكاديمية محكمة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو(2010) .

40 - يونس محمد عبدالرحمن " مقارنة نظرية في مفهوم الفضاء الروائي وبنيته ودوره السردي في النص الروائي " مجلة جامعة ابن رشد، العدد2، دورية أكاديمية محكمة، هولندا (2001) .

41 - القسم المعماري جامعة العلوم والتكنولوجيا " الزمان والمكان في العمارة الاسلامية بين التأثير والتأثر " مجلة العلوم والتكنولوجيا، المجلد12، وهران(2007) .

سادسا : المجالات :

1 - جاك دريدا يهاجم حملات اللاسامية : مجلة جيل، العدد8، المجلد25(2004).

2 - مجلة العربي: العدد 654، شهرية ثقافية، الكويت (2013) .

3 - مجلة العربي : العدد 667، شهرية ثقافية، الكويت (2014) .

سابعا : المراجع باللغة الأجنبية :

1 ANDREW BENNETT . NICOLAS ROYLE : INTRODUCTION TO LITERATURE : CRITICISM AND THEORY (THIRD EDITION .BRITIAN ; PEARSON LONGMAN ; 2004).

2 DAVID CRYSTLE : DICTIONARY OF LINGUISTIC AND PHONETICS(SIXTH EDITION : UK . BLACK WELL PUBLISHING;2008).

3 IRA MARK MILNE : LITERARY MOVEMENTS FOR STUDENTS (SECOND EDITION : USA; GALE CENGAGE LEARNING.2009).

4 M.H.ABRAMS : A GLOSSARY OF LITERARY TERMS (EDITION 7; USA: HEINLE ET HEINLE .1999).

5 PETER CHILDS . ROGER FOMIER : **THE ROUTLEDGE
DICTIONARY OF LITERARY TERMS** (EDITION 3.USA:
ROUTLEDGE TAYLOR ET FRANCIS GROUP;2006).

6 TOM MC ARTHUR : **THE OXFORD COMPANION TO
ENGLISH LANGUAGE** (USA; OXFORD UNIVERSITY PRESS:
1992).

الفهرس

الإهداء

شكر

مقدمة

الإطار المنهجي

الإشكالية 2 - 1

أهمية الدراسة 2

أهداف الدراسة 2

منهج الدراسة 10 - 3

عينة الدراسة 11

الدراسات السابقة 19 - 12

مفاهيم الدراسة 22 - 20

الإطار النظري

الفصل الأول : ماهية المكان في الرواية 25

مفهوم المكان 34 - 25

المقاربة الاصطلاحية للمكان والفضاء 37 - 34

أنواع المكان 41 - 38

مفهوم المكان في الرواية 45 - 42

العلاقة بين المكان والوصف في الرواية 51 - 46

الفصل الثاني : توظيف المكان كبعد اتصالي في النص الروائي 54

توظيف المكان في الرواية 59 - 54

64 - 59	دلالات المكان في النص الروائي
69 - 65	الشخصية الروائية والبعد الاتصالي والثقافي للمكان
74 - 70 ...	الأبعاد الاتصالية الدلالية للمكان المفتوح والمغلق في النص الروائي
77 - 75	المكان في النص الروائي الجزائري
79.....	الفصل الثالث : تأويل النص الروائي
81 - 79.....	مفهوم التأويل
84 - 81	مفهوم النص
88 - 85	إسهامات الباحثين في ميدان تأويل النص الروائي
	الإطار التطبيقي
91.....	الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية ليل الغريب
92 - 91.....	التعريف بعينة الدراسة
103 - 93.....	تحليل الأبعاد الاتصالية لثنائية (قسنطينة / باريس) من خلال التقاطبات المكانية لباشلار ولوتمان
110 - 103	تحليل الأبعاد الاتصالية لثنائية (قسنطينة / باريس) من خلال شجرة الوصف لجان ريكاردو
112 - 110.....	تحليل الأبعاد الاتصالية لقسنطينة في نص بوكرزازة من خلال الوظائف اللغوية لرومان جاكسون
115 - 113	تحليل الأبعاد الاتصالية لقسنطينة في نص بوكرزازة من خلال المربع السيميائي لغريماس
117.....	الفصل الثاني : الأبعاد الاتصالية للمكان في رواية ثفنست
119 - 117.....	التعريف بعينة الدراسة

تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان (إليزي) من خلال ثنائية (المفتوح / المغلق)
122 - 119.....

تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان (قسنطينة) من خلال ثنائية (مفتوح / مغلق)
126 - 123.....

تحليل الأبعاد الاتصالية للمكان (قرية الغرابة) من خلال ثنائية (المفتوح/
المغلق).....
128 - 126

نتائج الدراسة
130 - 128.....

قائمة المراجع

الملاحق